وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية

الغربة والاغتراب في شعر الأبيوردي (ت ٥٠٧ هـ)

رسالة تقدمت بها الطالبة

جنه تقي عبيد سلطان العرد

الى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة كربلاء

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور

فهد نعيمه مخيلف البيضاني

١٤٤٤ هـ ٢٠٢٢ م

إقرار المُشرف

أشهد أنَّ إعداد هذه الرسالة الموسومة ((الغربة والاغتراب في شعر الابيوردي)) والمقدمة من الطالبة (جنه تقي عبيد) قد تم تحت إشرافي في كلية التربية / جامعة كربلاء / وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

الإمضاء:

المشرف: أ د فهد نعيمه البيضاني

التاريخ :١٦/ ١٠/ ٢٠٢٢ م

تأييد رئيس قسم اللغة العربية

بناءً على التوصيات المتوافرة ، أرشح هذه الرسالة للمناقشة

الإمضاء :

الاسم : أ . د ليث قابل عبيد الوائلي

التاريخ :١٦ /١٠ / ٢٠٢٢م

إقرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة ، نشهد أنّنا قد اطّلعنا على رسالة الماجستير الموسومة (الغربة والاغتراب في شعر الابيوردي"ت٥٠٧") التي قدّمتها الباحثة (جنه تقي عبيد سلطان) ، وناقشناها في محتوياتها وفي ما له علاقة بها ، ونرى أنّها جديرة بالقبول بتقدير (جيد جدا) لنيل شهادة الماجستير في فلسفة اللغة العربيّة ، وآدابها .

الإمضاء :

الاسم: أ.د. محمد عبد الحسن حسين

رئيس اللجنة

التاريخ: ١٨/ ١٢/ 2022م

الإمضاء:

الاسم:أ.م.د. علي ذياب محي

عضوًا

التاريخ: / / 2022م

الإمضاء:

الاسم:أ.م.د. فلاح عبد علي سركال

عضوًا

التاريخ: ١٨/ ١٢/ 2022م

الإمضاء:

الاسم:أ.د. فهد نعيمة مخيلف

عضوًا، ومشرفًا:

التاريخ: ١٨/ ١٢/ 2022م

صدّقها مجلس كلية التّربية للعلوم الإنسانية

الإمضاء:

الاسم:حسن حبيب الكريطي

عميد كلية التّربية للعلوم لإنسانية

جامعة كربلاء

التّاريخ: 26/ 12 / 2022م

الإهداء

إلى روح والديَّ

مغفرة ورحمة

إلى الحاضر الغائب

أخي رحمه الله

إلى من أخلصت لي بدعائها

أختي الغالية

إلى من مضغ معي الصبر وجدّد

الأمل زوجي الغالي

إلى من أناروا طريق العلم

والمعرفة ساتذتي الأفاضل

إلى قرّة عيني وثمرة فؤادي

ولداي محمد حسين ، فاطمة

إليكم جميعاً أهدي جهدي

المتواضع

شكر وامتنان

((إلهي أذهلني عن أقامة شُكرِكَ تتابع طَولِك ، وأعجزني عن إحصاء ثنائك فيض فضلك)) فلله الحمد والشكر والمنَّة على إتمام هذه الدراسة .....

وانَّ هذا البحث لا يتم إلاَّ بجهود أُناس أصلاء وأخصُّ بالذكر الأستاذ الدكتور فهد نعيمه البيضاني المشرف على هذا البحث إذ كان مصداقاً حقيقياً للمشرف العلمي ومثالاً للأخ الحريص والمخلص فضلاً عن ملاحظاته وتصويباته التي قوّمت البحث ، وكرمه في أعارة المصادر من مكتبته الخاصة ، فله مني جزيل الشكر والامتنان وأسال الله تعالى أن يوفقه لكلّ خير ، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأقدم شكري وامتناني الى عمادة كلية التربية المُتمثلة بالأستاذ الدكتور حسن حبيب الكريطي ، ورئاسة قسم اللغة العربية المُتمثلة بالأستاذ الدكتور ليث قابل الوائلي وأعضاء الهيأة التدريسية ، لما كان لهم من فضل في تذليل الصعاب التي يواجهها طالب الدراسات العليا ، فشكري وامتناني ومحبتي لهم جميعاً.

كما لا يفوتني أن أشكر كوكبة من أساتيذي في قسم اللغة العربية الذين أمدّوا البحث بالمصادر أو بموقف إنساني لاسيما الدكتور علي كريم المسعودي ، والدكتورة سها صاحب القريشي التي أمدّت البحث ببعض البحوث القيمّة والدكتورة رفل حسن طه ، كما لا يسعني إلا أن أوجه الشكر الجزيل للأخ المخلص الدكتور حيدر عبد علي العامري الذي لم يبخل عليَّ بنصائحهِ وتقويمه للبحث فجزاهم الله عني خير الجزاء.

كما أوجه شكري وامتناني الى العاملين في المكتبات وأخص بالذكر المكتبة العلوية في النجف الأشرف ، ومكتبة العتبتين الحسينية والعباسية في كربلاء المقدسة ، ومكتبة التربية للعلوم الإنسانية في جامعة كربلاء ، وكل الذين أعانوني وقدّموا مساعدة في سبيل إتمام هذا البحث ومنهم الأستاذ ياسر أحمد المشرف على طباعة وتنضيد الرسالة وإخراجها بالشكل الجميل ، كما أتوجه بالشكر لأهلي ولزوجي وأولادي لِماَ تحملوه معي من عناء طوال سنتي الدراسة ، وأشكر مساعدتهم ووقوفهم بجانبي إذ غمروني بحنانهم وعطفهم وصبرهم وتحملهم مرارة الانتظار فجزاهم الله عني خيرا.

أما أعضاء لجنة المناقشة الذين تجشموا قراءة بحثي هذا وتصويبه فلهم مني الثناء الوافر ، والتقدير الكبير وأعِدهم بأنني سألتزم بما سيدلون به من ملاحظ ، وتصحح ما أعوج من هذه الدراسة.

سائلة المولى عز وجل الموفقية والنجاح للجميع

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١ ــ ٥
التمهيد: في السيرة والمفهوم	٦ ــ ١٧
الفصل الأول	
الغربة	١٨ ــ ٦٠
المبحث الأول: الغربة المكانية	٢٠ ــ ٤٨
المبحث الثاني: الغربة الزمانية	٤٩ ــ ٦٠
الفصل الثاني	
الاغتراب السياسي	٦١ ــ ٩٦
المبحث الأول: النقد السياسي	٦٨ ــ ٨٣
المبحث الثاني: التفاخر والتطلع القومي عند الشاعر الابيوردي	٨٤ ــ ٩٦
الفصل الثالث	
الاغتراب الاجتماعي	٩٧ ــ ١٣٢
المبحث الأول: النقد الاجتماعي	١٠٢ ــ ١١٧
المبحث الثاني: غربة الأصدقاء	١١٨ ــ ١٣٢
الخاتمة	١٣٣ ــ ١٣٧
المصادر والمراجع	١٣٨ ــ ١٥٣
الملخص باللغة الانكليزية	١٥٤ ــ ١٥٥

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص

الحمد لله نحمده ونستعين به ، والصلاة

والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين

وبعد: فيُعدُّ الأدب في العصر العباسي من أهم العصور ، لِماَ حُظي من إهتمام من قبل الشعراء والأدباء والنقاد والبلاغيين ، أما الأَدب في العصر السلجوقي فيلفهُ الاضطراب والانشقاق والغموض فهو من العصور المهجورة ، إذا قورنت بغيرها من مراحل الأدب ، فهو عصر إنحطاط أو عصر وسيط ، وبما أَنّهُ لا يمكن دراسة الأدب بِمَعزلٍ عن الظروف والمؤثرات السياسية والثقافية والفكرية ، فضلاً عن المؤثرات الخاصة بالشاعر الأبيوردي (ت ٥٠٧هـ) التي كانت سبباً مباشراً في غربته واغترابه.

فالغربة مفهوم شامل لجوانب الحياة كافة ، فهي حنين الإنسان المغترب الى أرض الوطن وثقافته وعدم ارتياحه لثقافة المكان الذي يعيش فيه ، فضلاً عن عدم تحقيق الأهداف والغايات ، فيسبب غربة العصر والزمن وغربة النفس والروح ، لما فيها من بُعد مكاني ، وتكون في الشعر على شكل معاناة وقلق وضياع وموقف الشاعر من الحياة بما يجعل المتلقي يعايش الشاعر بما يعانيه من الآلام.

والاغتراب من الظواهر الأدبية الإنسانية المثيرة التي عانت منه النفوس البشرية ، فهو شعور داخلي ينبع من الذات ، إِذ يُعدُّ ظاهرة إنسانية موجودة منذ القدم ، منذ أَن وطأت قدم الإنسان على هذه الأرض الموحشة ، ونالَ أهتمام كثير من

الفلاسفة والمفكرين ، وبدأ يشق طريق المعاناة مع الذات والبيئة. لهذه الاسباب اخترتُ دراسة هذه الظاهرة.

يُعدُّ الابيوردي (ت ٥٠٧هـ) شاعراً كبيراً ، فهو من اشهر شعراء القرن الخامس الهجري ومطلع القرن السادس الهجري ، وتُمثلّ أَشعاره مناراً ومرجعاً لمن أراد تذوق الشعر العباسي الأصيل ، وقد سبقتني دراسات اكاديمية درست النتاج الادبي لهذا الشاعر منها:-

١. عراقيات الأبيوردي ((دراسة تحليلية)) ، للباحث عماد جغيم عويد العبودي ، أطروحة دكتوراه الى مجلس كلية الآداب ، جامعة البصرة ٢٠١٠م ، مر كزاً على المنهج السيميائي والنقد الثقافي .
٢. دراسة شعر الأيبوردي ((دراسة أَسلوبية)) للباحث أكرم علي عنبر الرُّبيعي ، أطروحة دكتوراه الى مجلس كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ،٢٠١١م ،
٣. دراسة ((الأنا والآخر في شعر الأبيوردي)) للباحثة آلاء جهاد فاضل المالكي ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة ، ٢٠١٨م.

والجدير بالذكر ان الباحث عماد جغيم العبودي في أطروحته عراقيات الأبيوردي ((دراسة تحليلية)) قد عرض موضوع الاغتراب الخاص بقسم العراقيات فقط ، وهذا ما شجعني لدراسة الغربة والاغتراب في ديوان الشاعر كاملاً بقسميه العراقيات والنجديات كما نشره مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيق عمر الأسعد، محاولة الكشف في جوانب أخرى كان لنا الحظ الوافر في الوقوف عليها.

ولم يكن أختيار الموضوع من فراغ ، وإنما بتوجيه من أستاذي الدكتور الفاضل ((فهد نعيمه البيضاني))، فأخذ الموضوع مكاناً من العناية والأهمية ، فالخوض في مضمار الادب العباسي الثاني ما كنت أرجوه فضلاً عن كون الشاعر جديراً بالدراسة.

وقد أتخذت منهجاً تحليلياً في دراسة الحس الاغترابي عند الشاعر، ولم أفرض سلطة التحليل على النص وإنما انطلقت منه بوصفهِ اطاراً فني كشف دلالته الاغترابية وأضاء معالم النص الشعري.

واشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة ثم قائمة بالمصادر والمراجع .

عرضت في التمهيد مفهوم الغربةِ والاغتراب لغةً واصطلاحاً والفرق بينهما ولم أتوسع فيهما لكثرة الدراسات التي سبقت هذه الدراسة منها:

١. الغربة والحنين في الشعر العربي الاندلسي ، للدكتور احمد حاجم ١٩٨٣م.
٢. الغربة في العصر الإسلامي ، للباحثة زينب كامل ، ٢٠٠٠م.
٣. الاغتراب في الشعر الجاهلي ، للباحث أحمد صالح الزعبي٢٠٠٤م، وغيرها من الدراسات الجادة في معالجة الموضوع ورصد تلك الظاهرة.

وعرضت في التمهيد شذرات عن حياة الشاعر الأبيوردي والعصر الذي عاش فيه والظروف المحيطة به .

ثم جاء الفصل الأول بعنوان (الغربة) وتضمن مبحثين هما: الأول : الغربة المكانية والآخر: الغربة الزمانية ، فبرزت هذه الظاهرة جلية في شعر الشاعر ، ولارتباط الحنين بالغربة ارتباطاً وثيقاً فبرزت نماذج الحنين الى الوطن بروزاً مكانياً يشتاق إليه الشاعر والحنين الى نجد التي أشار اليها الشاعر في ديوانه باب النجديات وحنينه الى أيام الشباب والصبا إشارة للغربة الزمانية والأَثر الحسي في نماذج الشعر كما تتعاضد منها بعض نماذج الاغتراب المكاني والزماني لكون كل اغتراب يولد غربة وليس العكس.

أما الفصل الثاني جاء بعنوان (الاغتراب السياسي) وتضمن مبحثين هما : الأول : النقد السياسي والآخر : التفاخر والتطلع القومي عند الشاعر الأبيوردي .

يُعد الاغتراب السياسي أحد أنماط الاغتراب الرئيسة عند الشاعر ؛ لأنه يمثل السبب الأول في اغترابه مكانياً وزمانياً واجتماعياً ونفسياً ، إذ كان للظلم السياسي السائد الذي فرضه الحكام العباسيون على الشاعر فظهرت آثاره في شعر الشاعر وتذمره متخذاً الشعر وسيلة لبيان الإحساس الرافض للسياسات الخاطئة ونقد تلك السياسة ، أما افتخار الشاعر بنفسه وحسبه وشعره فجاء للتخفيف من وطأة الاغتراب لديه وجاءت النصوص الشعرية تؤيد ظاهرة الاغتراب بالاحساس الوطني والقومي محاولة منه درء الأعداء عن البلاد العربية واستنهاض الأمة للدفاع عن أرض الوطن.

أما الفصل الثالث جاء بعنوان (الاغتراب الاجتماعي) فتضمن مبحثين هما الأول : النقد الاجتماعي والآخر: غربة الأصدقاء.

ودراسة النصوص الشعرية الاغترابية بما تحمل من دلالات ومعاني النقد واصلاح المجتمع من براثن العادات والسلوكيات الخاطئة ، ومن يسعى الى ذلك يعيش في غربة لتفرق الناس من حوله وابتعادهم عن قول الحق .

كما تهدف الدراسة الى الاقتراب من نصوص الغربة والاغتراب عند الشاعر الأبيوردي (ت ٥٠٧هـ) وقراءته قراءة تحليلية فنية جمالية.

وقد نأتْ الدراسة عن عرض الجانب الفني إذ تكفلت بالخوض فيه أطروحة دكتوراه مقدمة الى مجلس كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، تحت عنوان ((الصورة الفنية في شعر أبي المظفر الأبيوردي (ت ٥٠٧هـ))) للباحث حمادة عزيز فرحات إبراهيم عام ٢٠١٧م.

ولا يسعني إلا أَن أقدم أريج الوّد والاحترام لأستاذي الدكتور فهد نعيمه البيضاني ، لكونه تابع مجريات الرسالة بدقة واجتهاد.

وختاماً .... أرجو أن تكون هذه الدراسة قد أَوفت الموضوع حقه وقد بذلت في ذلك جهداً مضنياً ، وكانت غايتي الوصول الى الحقيقة ، فإن وفقت فذلك مبتغاي ،

وإن أخطأت فتلك صفة الإنسان ، ولم أدخر جهداً في سبيل إتمام هذا العمل ، وما الكمال إلا لله وحده ، فما أنا إلا مبتدئة حاولت كشف جانب مهم في شعره لم يُسلط عليه عدسة البحث والدراسة ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب وآخر دعوانا إن الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

التمهيد

في السيرة والمفهوم

شذرات من سيرة الشاعر الأبيوردي

الأبيوردي شاعر عباسي ، من أَشهر شعراء العصر الخامس الهجري ومطلع القرن السادس (ت ٥٠٧ هـ) ، وقد عاش معظم حياته متنقلاً من مدينة الى أخرى ، ومن حاكم الى آخر ، وتجرع مرارة البعد والفراق عن أهله وذويه.

فالأبيوردي هو أبو المظفر محمد بن العباس أحمد بن محمد إسحاق بن أَبي العباس القرشي الأموي المعاوي المعروف بالأبيوردي [١] الشاعر الشهير. وقد اتفقت المصادر على أنه ينتمي الى معاوية الأصغر من سلالة أبي سفيان لا معاوية بن ابي سفيان [٢].

ولد في كوفن في خراسان ، وقد اختُلف حول تأريخ ميلاده ، ولم تذكر كتب التراجم ذلك ، ولو بشكل تقريبي ، ولكن من خلال بعض الإشارات التي ذكرت في ديوانه ، ومنها القصيدة التي مدح فيها الوزير نظام الدين الملك في سنة ٤٧٧هـ ، فلو قُدّر عمر الشاعر

---

[١] الأبيوردي: بفتح الهمزة، وكسر الباء الموحدة، وسكون الياء التحتية وفتح الواو، وسكون الراء بعدها الدال المهملة ، نسبة الى أبيورد ، ويقال لها أباورد ، وباورد وهي بلدة في خرسان بين سرخس ونسأ. وأول من سكنها من هذه الأسرة معاوية الأصغر ـ الذي ينتمي اليه الأبيوردي ، وهو الذي نصب فيها المنبر ، اذ كان احد قرائها ، ينظر معجم الادباء ، ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦) هـ ، تحقيق د. إحسان عباس ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٣م، ٥/ ٢٣٩٠. وخريدة القصر وفريدة العصر (قسم شعراء العجم): عماد الدين الاصفهاني (ت ٥٩٧) ، تحقيق :د. عدنان محمد آل طعمة ، مرأة التراث ، ط١ ، طهران ، ١٩٩٩م: ٢١٧/٢ – ٢١٨ ، وفيات الاعيان وأنباء الزمان : ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) تحقيق : د. احسان عباس ، دار الفكر للطباعة ، النشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٦٨م ، ٤٤٥/٤. وسير أعلام النبلاء للذهبي ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٩١٦م ، ١٩ / ٢٨٣ – ٢٨٤ ، والبداية والنهاية : ابن كثير الدمشقي : تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت (ر.ت) : ١٧٦/١٢. وتاريخ الادب العربي : كارل بروكلمان ، ترجمة : رمضان عبد التواب ٢٣/٥ ، والكنى والالقاب : عباس القمي : ١٠/٢ ، وروضات الجنات : للخو نساري ، تحقيق : محمد تقي الكشفي ، الدار الإسلامية ، بيروت ، ١٩٩١م ، ١٩/٨ – ٢٠، والشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي من أواسط المئة الخامسة ، أواسط المئة السادسة ، علي جواد الطاهر ، ١٦ / ١١٠ ، وأدب الطف وشعراء الحسين من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر : جواد شُبّر ٣ / ٩-١٤ ، وتاريخ الادب العربي (عصر الدول والامارات) : د. شوقي ضيف ، ٦٠٠.

[٢] معجم الأدباء ، ياقوت الحموي : ٥ / ٢٣٦٠ ، وفيات الأعيان ، ابن خلكان ٤ / ٤٤٩ ، وخريدة القصر وجريدة العصر ، عماد الدين الأصفهاني الكاتب : ٢ / ٢١٧ – ٢١٨.

آنذاك بعشرين سنة تكون ولادته حوالي سنة ٤٥٧ هـ [١]. وعمره حين وفاته خمسين سنة.

عاش الشاعر الأبيوردي حياة مفعمة بالفتن والاضطرابات والمؤامرات وقد مرَّ بثلاثة أطوار:

الأول: طور نشأته في مسقط رأسه كوفن وأبيورد ، واتصاله بعلماء اللغة والأدب والشعر والأنساب وأصبح وحيد زمانه في تلكم العلوم [٢].

والثاني: طور شهرته ببغداد فهو سعى وراء المجد والشهرة وليمرن لسانه على العربية الفصحى وقد ذكر السمعاني إن الأبيوردي قال:" كُنت ببغداد عشرين سنة حتى أمرِّنَ طبعي على العربية ، وبعد فأنا أرتضخ لُكْنة" [٣].

مستعيناً بالخلفاء والسلاطين والأُمراء لبلوغ الشهرة وإحراز الأَمجاد ولعلَّ ذلك سبب رحيله الى بغداد .

الطور الثالث: هو طور غربته ومفارقته بغداد ، وقد ذكر السبكي بقوله: " ثم كان رشح بقوله من كلامه نوع تشبث بالخلافة ..... فاضطره الحال الى مفارقة بغداد ، ورجع الى همذان ، فأقام بها يُدرس ويفيد ويُصنف مدة " [٤] .

وأخذ يتنقل بين البلدان وبين مدائن خراسان حتى أستقرّ به المقام في أصفهان ، إذ مات مسموماً سنة (٥٠٧هـ).

لُقب الشاعر بفخر الرؤساء ، وجمال العرب ، وأفضل الدولة ، وأوحد العصر ، وتاج خراسان [٥].

---

[١] ديوان الأبيوردي : أبي المظفر محمد بن أحمد بن أسحاق ت ٥٠٧هـ ، تحقيق : د. عمر الأسعد ، ج١ العراقيات ، مطبعة زيد بن ثابت ١٩٧٤ / ١٣.

[٢] ينظر معجم الأدباء : ياقوت الحموي : ٥ / ٢٣٦٤.

[٣] المصدر نفسه : ٥ / ٢٣٦٥.

[٤] طبقات الشافعية ، تاج الدين ابي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ) ، تح: محمود محمد الطناحي ، عبد الفتاح محمد الحلو ، طبع في مطبعة عيسى الباجي الحلبي وشركاؤه ، ط١ ، ١٦٦٤ : ٤ / ٦٣.

[٥] ينظر: الديوان عمر الأسعد ، ديباجة القصيدة الأولى من العراقيات: ١ / ٩٧.

وقد وردت هذه الألقاب في ديوانه قسم العراقيات ، وكان الأبيوردي أديباً مشهوراً ، وشاعراً ظريفاً ، وقد صنف في علوم عِدَّة ، ولم يبق منها سوى ديوانه وكتابيه : المختلف والمؤتلف وزاد الرفاق ، وقد قال في حقه الباحثون " أنه شاعر عالي الطبقة مؤرخ عالم بالادب " [١].

ويرى الدكتور علي جواد الطاهر أنَّ " الأبيوردي من أكبر شعراء عصره ويأتي بعد الطغرائي في قائمة شعراء الدرجة الثانية" [٢] .

ويمكن القول إنَّ الأبيوردي أستطاع أنْ يبلغ منزلة أدبية مرموقة بين أدباء عصره وما تركه من شعر ومؤلفات تشهد له بالإبداع والبراعة ، وعكست غربته واغترابه ، وصلابته في مواجهة مواقف الحياة ، وما عانى فيه من ظلم ، وألم ، وإقصاء ، فصنع لنفسه حضوراً شعرياً فاعلاً لمواجهة الاغتراب.

[١] الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، ط١٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٢م / ٦ / ٢٠٩.

[٢] الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي ، د. علي جواد الطاهر ، مطبعة المعارف ، بغداد / ١٩٥٨ ، ١٥٢.

مفهوم الغربة والاغتراب:

إنَّ البحث في موضوع (الغربة والاغتراب) يقتضي قبل كل شيء تحديد معنى هاتين اللفظتين ، لأن كلاً منهما ربما يحتمل دلالات عِدَّة ، وذلك لأن كل باحث أو دارس ينظر لهما من زاوية معينة ، ويُكون لهما فهماً خاصاً ، ويمنحهما معنى متميزاً.

ومن هذا المنطلق نبين المعنى اللغوي لمفهومي الغربة والاغتراب ثم دلالاتها الاصطلاحية.

أولاً: الغربة والاغتراب لغة:

إذا رجعنا الى قواميس اللغة نجد مفهوم الغربة عند الجوهري تعني " التغريب النفي عن البلد الذي وقعت فيه الجناية، وغرب بعد ، وأغرب عنّي أي تباعد" [١].

في حين ورد في لسان العرب في مادة غرب بمعنى " الذهاب والتنحي عن الناس وقد غَرَبَ عنا يغربُ غرباً وغَرَّبَ وأغربَ وغرَّبه وأغربه: نَحاَّهُ ، والغُربة والغُرب النزوح عن الوطن ، والاغتراب والتغرب كذلك ؛ تقولُ منُه : تَغَرَّب ، واغتربَ ، وقد غربَهُ الدهرُ ورجلٌ غُرُبٌ بضم الغين والراء ، وغريب بعيد عن وطنه الجمع غُرَباء والانثى غريبة ، والاغتراب افتعال من الغربة رباء" [٢].

وفي الحديث إنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سُئل عن الغرباء ؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) " إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء" [٣].

والجدير بالذكر أنَّ لفظة (الغربة) و(الاغتراب) وردتا بمعنى واحد في معاجم اللغة ، أي بمعنى الذهاب والبعد عن الوطن .

---

[١] تاج اللغة وصحاح العربية : الجوهري ت ٣٩٣ – ٤٠٠هـ ، تحقيق احمد عبد الغفور العطار ، ط٢ ، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ١ / ١٩٠.

[٢] لسان العرب: ابن منظور (ت ٧١١هـ) ، مادة غرب ، الدار المصرية للتأليف والكتاب ، ط مصورة ، مطبعة بولاق ، بالقاهرة ، ١٨٨٢، ٥ / ٣٢٢٥.

[٣] صحيح مسلم: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، د . ط ، ١٩٥٥م ، ١٣٠/١.

كما يستدل من مجمل التعريفات اللغوية على أَنَّ (الغربة) تقترن بالمكان وتركه فهي تفيد معنى مغادرة المكان ، أو الابتعاد عنه ، أو النفي عنه أو النزوح عن الوطن ، والفراق عمن فيه من الأهل والأصحاب.

اما الاغتراب فهو شعور نفسي يتملك الإنسان بسبب ما ، فيشعر بأنه غريب حتى لوكان في قلب وطنه ؛ فهو يتمخض من معاني الغربة في ان " أغرب الغرباء من صار غريباً في وطنه [١] " فينضوي مفهوم الاغتراب تحت لواء الغربة الذاتية ، إذ لا تدعو للنأي والبعد فحسب ، وأنما الانفصال مجتمعياً عن العلاقات التي تقضي للهفوات [٢] ، فالاغتراب ((هو معنى أجتماعي بلا جدال)) [٣] .

وردت لفظة الغربة في القرآن الكريم بمعنى الابتعاد عن وجه الأرض كما في قوله تعالى : ((وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ)) [٤] ، ووردت اللفظة في الشعر العربي القديم بمعنى الغربة والابتعاد عن الاهل والوطن ويتمثل ذلك في قول الشاعر جرير [٥] :

كَفى حَزَناً فِراقَهُمُ وَأَنّي غَريبٌ لا أَزارُ وَلا أَزورُ

---

[١] الإشارات الإلهية: أبو حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ) ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت دار القلم ، بيروت (مشترك) ، ط١ / ١٩٨١ / ١١٥.

[٢] ينظر: الغربة والحنين في شعر القرنين السابع والثامن الهجريين في العراق ((دراسة موضوعية فنية ، زينب فاضل احمد النعيمي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، في اللغة العربية وآدابها ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ، ٢٢ .

[٣] الاغتراب سيرة مصطلح: محمود رجب ، منشأة المعارف المصرية بالإسكندرية : ١٩٧٨ / ٤٣.

[٤] سورة الكهف : ١٧.

[٥] شرح ديوان جرير : شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م / ١٧٥.

ثانياً: مفهوم الغربة والاغتراب أصطلاحاً:

الغربة: هي النزوح والبعد عن الأوطان لأسباب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو دعائية [١].

أما الاغتراب هو انعدام السلطة ، والانفصام عن الذات ، والتذمر ، والعداء ، والاعتزال ، والانفصال ، والنفور ، والانزعاج ، والعجز عن التلاؤم ، والاخفاق ، وعدم التكيف مع الأوضاع السائدة ، وقد يكون الاغتراب لظروف اقتصادية أو لأسباب دينية تسبب العزلة والتصوف للنفس المغتربة [٢].

فالاغتراب مصطلح ثري مثير للجدل لكثرة التعريفات التي وضعت له ، حتى أخرجه بعض الباحثين من مضمونه الجوهري ، وهذا أحد أسباب اتهام المصطلح بالغموض أحياناً فهو يحمل معاني ودلالات فلسفية لا تحده قوانين ثابتة ، فهو لدى علماء النفس معنى ، وعند علماء الاجتماع له معنى مختلف ، وعند الفلاسفة له معنى آخر ، فهو مصطلح يعاني الكثير من الغموض ، ومن الصعب تحديد تعريف دقيق له [٣] .

وقد أطلق كلمة (اغتراب) على ذلك الشيء ((الذي يتمثل في ضياع الإنسان في المجتمع وانفصاله عن ذاته)) [٤] .

وهناك نوعان من الاغتراب : الإيجابي والسلبي، الإيجابي يقصد به (ان يسلم الإنسان ذاته الى الكل،وان يضحي في سبيل هدف نبيل وكبير كقيام المجتمع او دفاعاً عن الوطن) [٥] [٥] اما السلبي منه فهو " أن يتحول الإنسان الى سلعة تطرح للبيع في سوق الحياة او بمعنى

---

[١] ينظر: الحنين الى الوطن في الادب العربي حتى نهاية العصر الاموي ، محمد إبراهيم حوَّر ، ط٢ دار القلم ، الامارات العربية المتحدة ، ١٩٨٩م/ ٦ ، ٧ ، ٨.

[٢] الاغتراب في شعر المتنبي ، أ.د. فليح كريم خضير الركابي ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، مجلة المورد ، م٣٦ ، ع٢ ، ٢٠٠٩م / ٨٥.

[٣] ينظر: التمهيد : احمد أبو زيد ، مجلة عالم الفكر ، مج١٠ ، ع١ ، ١٩٧٩م / ٤.

[٤] الاغتراب سيرة ومصطلح: محمود رجب /١١ .

[٥] ابن باجة وفلسفة الاغتراب ، محمد إبراهيم الفيومي ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ١٩٩٨ م / ٨٢ .

أصح أن يصبح الإنسان شيئاً من الأشياء ويفقد الإنسان فيه ومن خلاله ذاته ووجوده الشرعي الأصيل". [١] .

فالاغتراب ظاهرة إنسانية قديمة ظهرت مع المجتمعات الأولى ، بسبب الأزمات التي كانت تتمخض فيها بشكل وبآخر ، وواجهها الفرد حسب قدراته العادية والروحية ، وقد كانت تقوده في بعض الأحيان الى التمرد والعصيان وفي بعضها الآخر الى الاستسلام والانعزال والانغلاق على الذات [٢].

والاغتراب بالمعنى الإسلامي " اغتراب عن الحياة الاجتماعية الزائفة ، الجارفة ، واغتراب عن النظام الاجتماعي غير العادل ، فالغرباء قاوموا الحياة ومغرياتها بطريقة ابجابية سلبية فقهروا السلطتين جميعاً سلطة الحكم وسلطة النفس بترويضها على الطاعات والمجاهدات واعتزالهم الناس" [٣].

وبين فتح الله خليف " أنَّ غربة العلماء هي أَشد أنواع الاغتراب لقلتهم بين الناس وقلة مشاركة الناس لهم وانفرادهم بأعمال الفكر والعقل " [٤] .

ومن مصاديق الغربة غربة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يعاني من تعذيب أهل وطنه له ، لأنه يفارق معتقداتهم التي ألفوها فيضيق عليه الكون ، فتخرج آهة الغربة [٥] في قوله : ((اللّهُمّ إلَيْك أَشْكُو ضَعْفَ قُوّتِي ، وَقِلّةَ حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ ، أَنْتَ رَبّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبّي ، إلَى مَنْ تَكِلُنِي ؟ إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهّمُنِي ؟ أَمْ إلَى عَدُوّ مَلّكْتَهُ أَمْرِي ؟)) [٦].

---

[١] ابن باجة وفلسفة الاغتراب : محمد إبراهيم الفيومي : ٨٢ .

[٢] ينظر: الاغتراب في الشعر العراقي ، محمد راضي جعفر ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٩م / ١ .

[٣] الاغتراب في الإسلام : فتح الله خليف ، عالم الفكر ، عدد١ ، اصدار ١ / ٤ / ١٩٧٩م / ٨٨ .

[٤] الاغتراب في الإسلام : فتح الله خليف / ٩٢ .

[٥] ينظر: تحول المثال دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي ، صالح زامل ، ط١ ، ٢٠٠٣ ، بيروت ، دار الفارس للنشر ، ١٦ .

[٦] بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الأطهار: الشيخ محمد باقر المجلسي ، مؤسسة الوفاء بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨٣ ، ٩١ / ٢٢٥.

وبرز مفهوم الاغتراب لدى بعض الفلاسفة العرب المسلمين، إذ هو نوعٌ من الهرب من الواقع المعاش والدعوة الى عالم المثل ، إذ يهرب الإنسان بفكره وروحه من عالمه الذي أرهقه وجوده فيه الى عالم أقرب ما يكون الى الخيال الذي يستحق تحقيقه ، فالفارابي (ت٣٣٩هـ) يدعو الى إنشاء مدينة فاضلة تخلو من الشرور ، وتملأ عدلاً وسلاماً ، وهو ردُّ فعلٍ طبيعي للاغتراب الذي عاشه بسبب معاناته الخاصة في حياته ، فمدينته حلم (طرباي) بمدينة حكماء مستقبلية ، طالما راود الفلاسفة منذ أفلاطون في جمهوريته الى عصور قريبة [١] .

وتتخذ فكرة الاغتراب عند التوحيدي (ت٤١٤ هـ) بعداً دلالياً جديداً رسم فيه جانبين من جوانب الاغتراب ؛ تمثل الأول بالاغتراب المادي المحسوس بالابتعاد عن الوطن ، ومفارقة الأهل والخلان ... وقد عبّر عن هذا الجانب بوصفه للغريب فيقول "هذا وصف غريبٍ نأى عن وطن بُني بالماء والطين وبَعُد عن أُلاّف له عهدهم الخشونة واللبن" [٢].

أما الجانب الثاني فقد تمثل بالاغتراب النفسي النابع من الواقع الاجتماعي ؛ وقد تجلت من خلال فلسفته الخاصة تجاه الحياة والأحياء ، فقد كان يعيش هذا المفكر حياة بائسة إذ كان يعيش على الوراقة، ويرى الدكتور شوقي ضيف " أن بؤسه كان بؤساً نفسياً أكثر منه بؤساً مادياً ، فقد كان يرى كثيرين ارتفعوا في الحياة وهم دونه في الثقافة والمعرفة والأدب والكتابة، فقد كان يشعر بضجر شديد وبشقاء لاحد له يملأ قلبه حسرة ولوعة " [٣].

ورسالته عن (الغريب والغربة) والتي جاءت فيها عبارته الشهيرة التي جسدت معنى الاغتراب الاجتماعي " وأغرب الغرباء من صار غريباً في وطنه ، وأبعد البعداء من كان بعيداً في محل قربه" [٤] .

"وقد رسم التوحيدي صورة واضحة وجلية للمغترب الذي يعاني من انفصاله مع بني جنسه وشعوره بالحزن والأسى مما أَثر ذلك في نفسيته عن طريق هذه الرسالة الطويلة

---

[١] ينظر: الاغتراب في شعر المتنبي ، صالح زامل حسين ، ١٨/١٧.
[٢] الإشارات الإلهية : أبو حيان التوحيدي / ١١٣ .
[٣] عصر الدول والامارات (الجزيرة – العراق – إيران) د. شوقي ضيف / ٤٥٥ .
[٤] الإشارات الإلهية : أبو حيان التوحيدي: ١/ ٨٠ وما بعدها.

تحدث عن ثلاثة أنماط للاغتراب وهي اغتراب عن الوطن واغتراب داخل الوطن وعن المجتمع واغتراب عن الذات" [١] .

ويأخذ الجانب الفكري بعداً آخر لهذا المصطلح ، فكثير من الباحثين استعملوا مصطلح الاغتراب بمعانٍ عِدَّة ، إذ امتزجت مع بعضها مما يصعب إعطاء مفهوم محدد له بسبب التداخل الحاصل بين أنواعه ؛ لأنَّ الحياة الإنسانية قائمة على أنظمة مترابطة لا يمكن تفكيكها ، بمعنى آخر أَنَّ الاغتراب السياسي مثلاً يؤثر في الاغتراب الاجتماعي وبدورهما يؤثران في الاغتراب النفسي[٢].

◈ الفرق بين الغربة والاغتراب:

في ضوء ما عرض من معانٍ ودلالات لمفهومي الغربة والاغتراب في اللغة والاصطلاح ، وجدنا أَنَّ كلا المصطلحين جاءا بمعنى متقارب في المعنى اللغوي وهو الذهاب والتنحي عن الناس . أما من حيث الاصطلاح فيمكن القول إنَّ الفرق بينهما يكمن في :

إنَّ الغربة تكون لأسباب قاهرة ، وأسباب خارجية ترتبط في الأعم الأغلب بمعايشة لمكان غريب ، أو بعدم التكيّف الاجتماعي والنفسي مع المجتمع الذي يعيش فيه.

أما الاغتراب فيقع بإرادة الإنسان واختياره طوعاً لا كرهاً ، فالاغتراب افتعال الغربة ، والخروج على القيم والأعراف والتقاليد التي يؤمن بها المجتمع ، وكذلك عجز عن التأثير في المجتمع وصنع قراراته [٣].

وقد فرق الدكتور شاكر نوري بين الغربة والاغتراب في قوله: " الغربة تعني الشعور بالابتعاد المكاني عن الوطن والاحساس بالغربة بسبب المسافة التي تفصل بين الإنسان عن مجتمعه ومعارفه وعالمه أما الاغتراب فيختلف عن الغربة اختلافاً جوهرياً إذ يعني فقدان

---

[١] الاغتراب في الشعر العباسي ، القرن الرابع الهجري : د. سميرة سلامي / ٢١.

[٢] ينظر: الاغتراب في شعر أبي العلاء المعري ، رفل حسن الطائي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية (ابن رشد) ،جامعة بغداد ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م / ٧ .

[٣] ينظر: الغربة في الشعر الجاهلي ، عبد الرزاق خشروم ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٨٢ / ١٢ .

القيم والمثل الإنسانية والخضوع لواقع اجتماعي يتحكم في الإنسان ويستبعده حينئذ يشعر الإنسان بالانفصال والانعزال عن الآخرين وحتى عن العالم ذاته" [١] .

ولعل ما يؤكد هذا القول ما ذهب إليه الدكتور عبده بدوي في التمييز بين المصطلحين بقوله: فالغربة تمثل النزوح في سنوات تقترب من الثلاثين عاماً ؛ أما الاغتراب يمثل نزوحاً من نوع آخر ، حتى لوكان الإنسان يعيش في الوطن ، فهو يرفض أشياء ويتحداها ، ويختلف مع أكثر من أسلوب ليسيطر على الحياة وإذا كان في بعض الأحيان لا يملك إلا الصمت فأنه في أحيان أخرى لا يملك إلا الصراخ أو يبوح أو يئن. مع شعوره بأنّ العالم لا يحسَّ به ، ولا يسمع أنينه [٢]

وبعض النقاد المحدثين من قال في هذا المعنى " في الاغتراب معنى القصد والتصميم ، واذا شئت معنى الافتعال وفي الغربة معنى العفوية المنبثقة من واقعية التجربة أي من الانفعال التلقائي بالواقع " [٣].

وهذا يعني أَنَّ المغترب يكون أكثر إدراكاً للواقع الذي يعيش فيه وتغيير هذا الواقع مع ما يتناسب على وفق فلسفته ورؤيته تجاه الحياة والأحياء، وهذا يدفعنا الى القول بأن كثيراً من الناس قد تعيش الغربة في مقابل أولئك الأدباء والمفكرين والمثقفين الذين يعيشون في حالة اغتراب . من هذا نستنتج أَنَّ :

الشعور بالغربة نهايته محسومة بنهاية المدة الزمنية ، واقتراب المسافات ، أما الاغتراب فلا يمكن حسمه بوقت أو مسافة ، فهو كالمرض المتغلغل في ذات الإنسان وأفكاره ، فلا يحتاج الى الرحيل بعيداً أو أَنْ يكون غريباً ، لأنه غريب في مكانه ونفسه ، وكل اغتراب يولد غربة ، وليس كل غربة تولد اغتراباً ، لأن الغربة تستقي من الاغتراب لوناً من ألوانها

---

[١] الاغتراب في الفكر الماركسي: د. شاكر نوري ، مجلة الثقافة ، بغداد ، ع٦ ، ١٩٨٣م / ٥٥.

[٢] الغربة والاغتراب والشعر، عبده بدوي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨ / ٨ ، ٩

[٣] دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي ، حسين مروَّة ، دار الفارابي ، بيروت ، ط٢ ، ٨١ .

التي تتجلى في الغربة المعنوية في الخروج على مبادئ الناس وأعرافهم، وتصوير حالة الغريب الذي يعاني من الاغتراب في أنماط مختلفة [1].

فالاغتراب شعور نفسي أو حالة داخلية في ذات الإنسان وهي ذات معنى شمولي، بمعنى أنما يمكن أن تراود الإنسان في كل مكان وفي كل زمان وأسبابها متعددة ومتنوعة ولا تقتصر على سبب واحد.

وتبعاً لذلك ، فإنَّ مفهوم (الاغتراب) أوسع وأشمل وأعمق من مفهوم (الغربة) . فضلاً أَن الشاعر الأبيوردي (ت٥٠٧هـ) قد أحس بثنائية (الغربة والاغتراب) شأنه شأن شعراء العرب عامة وشعراء العصر العباسي الثاني خاصة ، بسبب التغيرات المختلفة التي أصابت المجتمع على وجه العموم ، وقد تأثر بها الشاعر بخاصةً تلك التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولا شك أنَّ الشاعر الأبيوردي قد تأثر واصطدم بهذه التغيرات التي سببت أزمة للإنسان العربي في العصر العباسي الثاني.

[1] ينظر: المعجم المفصل في الادب : د. محمد التونجي ، ١٩٩٩م ، بيروت دار الكتب العلمية ، ط١ ، ٦٦٩/٢.

الفصل الأول

الغربة

توطئة:

اهتم الشعراء منذ القدم بظاهرة الغربة والحنين ، فقد رافقت الشعر على مَر العصور ، إذ يعبر الشاعر عما يختلج في نفسه ، وعما يعانيه من ألم ، وحزن عميق سببه فراق الأَهل والأحبة والأَصدقاء ، وبعده عن الوطن ، وهي ليست جديدة على الإنسان العربي ، فقد عاش العرب بين الحل والترحال أما طلباً للرزق ، أو ابتعاداً عن الصراعات التي تؤدي غالباً الى القتل [١].

فكان شعر الغربة مرآة لنفس الشاعر ، وأغواره الداخلية التي عكسَ بعضاً من صور الحياة الاجتماعية المصاحبة للشاعر ، المجسِّدة لعناء النفس الإنسانية ، وقد برزت هذه الظاهرة في الأدب والفن ، كما ظهرت في شعر الأبيوردي ، وقد وجدتها في ديوانه الزاخر بها إذ خاض في شواطئها ، وغاص في أعماقها ، ليس هو فحسب ، بل خاض غمار هذه الظاهرة كثيراً من الدارسين سواء من القدماء أم المحدثين ، حتى بدت واضحة وجلية المعنى أَمام أَغلب الباحثين ؛ لذا لا أَطيل الوقوف عندها.

وقد ارتبط مفهوم الغربة بسعة المسافات ، والحقب الزمنية ، أما الاغتراب فهو منفك عن هذا الارتباط ، لأنَّ صاحبه يشعر بإنَّه غريب في نفسه ومكانه ، وهذا الشعور هو نفسه الذي قد ينشر بذور الغربة داخل النفس وخارجها ومن معاني الغربة ، النزوح ، والبعد ، والهجر ، والوداع ، والنوى ، والصد ، .... الخ ؛ ويلازمها الحنين بمعناه النفسي ، ومن هنا يتجلى لنا الارتباط بين الغربة والاغتراب [٢].

---

[١] ينظر: الغربة والحنين في شعر الجواهري: محمد حسون نهادي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية / بغداد / ١٩ .

[٢] ينظر: الغربة والحنين في شعر النشابي (ت٦٥٧هـ) ، أ.م.د. أحمد علي إبراهيم ، كلية العلوم الإسلامية ، الفلوجة ، جامعة الانبار ، مجلة الآداب /ع ١٠٨/ ٢٠١٤ / ١٠٢ .

المبحث الأول

الغربة المكانية

الغربة المكانية:

ارتبطت ظاهرة الغربة المكانية بالابتعاد عن الوطن طوعاً أو كرهاً لأسباب عِدَّة: منها سياسية و اقتصادية و ثقافية [١]، وتذمره من الزمان ، وبعض العادات والقيم والسلوكيات من بعض رجالات الدولة التي تُعد من أهم مسوغات الغربة.

عانى الشاعر من ألم الغربة فكان دائم الترحال والتنقل من مكان الى آخر لتحقيق رغباته وأحلامه ، وقد ذكر ذلك كثيراً في أشعاره كما عانى من ألم الاغتراب وكان الأخير أشد إيلاماً ، لانه ناتجٌ من جرّاء الظلم والحنين الذي يشعر به الإنسان، إذ يعود لأسباب نفسية واجتماعية [٢] .

فـ ((الإنسان العربي منذ أقدم العصور يخشى فراق الأرض وتضنيه الغربة ويحس بالشوق والحنين الى وطنه أَينما اتجه)) [٣]. ولكون المكان عنصراً مهماً في حياتنا ؛ فهو يمثل التجربة الحسية التي عاشها الإنسان أو الأديب بصورة خاصة وتعامل معها تعاملاً مباشراً ، وتحتل في الشعر أهمية خاصة ، فالمكان أكثر التصاقاً بحياة الفرد فهو الموضع الذي يوجد فيه ولقد أثر تأثيراً مباشراً في حياته وسلوكه ، فقد مثل " البعد المادي للواقع أي الحيز الذي تجري فيه لا عليه الأحداث" [٤]. لقد كانت علاقة الشاعر بالمكان علاقة وثيقة ، " لأنه يجذبه نحو الخيال فلا يمكن أَن يبقى مكاناً لامبالياً ، ذا أبعاد هندسية وحسب. فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط ، بل بكل ما في الخيال من تحيز" [٥] ، ولأنه يجسد احساسه وروحه وعاطفته المتوهجة التي تَشُدُّهُ الى الأرض لإِعتبارات عدَّة لا يفهمها إلا هو ، مما قد ينتج مكاناً متصوراً جديداً مختلفاً عما نراه . وقد يتخذ دلالات جديدة عند ارتباطه بالشعر ، فيرسم الشاعر صورة أقرب ما تكون حسية جاعلاً منها مكاناً أليفاً اذا

---

[١] ينظر:الغربة المكانية في الشعر العربي ، عبده بدوي ، عالم الفكر، م ١٥ ، ع ١ ، ١٣ .

[٢] ينظر: المكان في شعر صدر الإسلام ، فنن نديم دحام ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٠/٧٠ .

[٣] الاغتراب في الشعر العباسي ، سميرة سلامي / ٢٧ .

[٤] إشكالية المكان في النص الأدبي ، ياسين النصير ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٦ /١٥٥.

[٥] جماليات المكان ، غاستون باشلار ، ترجمة غالب هلسا ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٤ / ٣١ .

كان متوافقاً معه فيأنس بوجوده أو معادياً متذمراً منه [١].

ومن هذا المنطلق يمكن القول: يُشكل المكان محوراً مركزياً مهماً بالنسبة للشعراء ، فَيُجعل منه مكاناً أنيساً بما يحمل من ذكريات تثير في ذاته عاطفة الحب والشوق والحنين الى الأهل والأحبة وأيام الصبا الجميلة فيتوافق معه ويتآلف ، وأحياناً أخرى يكون الطلل باعثاً للذكريات الحزينة المؤلمة التي تذكره بمواقف له فيها فتهيج الغربة من رؤية ذلك الطلل.

لقد كان للمكان أَثراً مميزاً في إحداث رؤية واعية لعذابات النفس الإنسانية ومعاناتها عبر رحلتها في هذا الكون يكتشف المكان ويتبلور في النص الأدبي عن طريق اللغة التي تمنحه وجوده الفني وكينونته ويتميز المكان الفني بـ " الانزياح والتحول والنفي عن أمكنة الواقع بحيث يصبح المكان حَلقة أخرى في النص " [٢].

هذا لا يعني أنَّه لا علاقة بين المكان الفني والواقع بل بالعكس فثمة " علاقة أكثر وشاجة بين الاثنين ذلك أَنَّ درجة الانعكاس التي يثيرها مكان ما له ملامحه وحضوره وكيانه على الفن أشّد من سواه ولذلك يمكن أن يكون ثمة تشابه كبير هنا ولا يكون هناك " [٣]، فالمكان الفني ينسج خياله من اللغة ، فيحور الواقع ويستمد بعض خصائصه ، فيؤثثه بآماله ومشاعره لتتحول الى مشهد تتكامل عناصره في الوجود الإنساني.

عمل الشاعر على كسر غربته واغترابه السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، عبر تغيير المكان الذي كان أحد المنافذ الرئيسة التي اعتمدها الشاعر. أمّا نصوصه الشعرية فقد كُتِبتْ بين مكانين وولائين مختلفين: بلاد فارس التي تمثل مسقط رأسه ، والعراق الذي عبَّر عن انتمائه العربي وطموحه وآماله [٤].

---

[١] ينظر: المكان في شعر الشريف الرضي دراسة فنية ، زينب عبد الكريم حمزة ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ١٥٥.

[٢] بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، المركز الثقافي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٠، ٨٩ ؛ المكان في روايات غالب هلسا ، سحر ريسان حسين القرة غولي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م / ٨.

[٣] الرواية والمكان ، ياسين النصير (الموسوعة الصغيرة) ، دار الشؤون الثقافية – بغداد / ١٢ ، ١٣ .

[٤] ينظر: عراقيات الأبيوردي دراسة تحليلية ، عماد جغيم عويد العبودي ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ٥٨ .

عند تتبع المنجز الكتابي ، نلمس علاقة الشاعر بالمكان ، فلم يكن المكان ثابتاً بحسب رؤية الشاعر النفسية ، فكان للظرف السياسي أثرٌ في ذلك ، وفي تحول المكان من أليف الى معادي ، وعلى الرغم من تعرض الشاعر للمضايقة مع بعض الأمكنة وخاصةً بغداد ولكن الشاعر غض طرفه عنها لِمَا تمثل من مكانة في نفسية الشاعر ، ومن الأماكن التي ذكرت هي كوفن وأبيورد وقد مثلت مسقط رأسه ووطنه ، وبغداد : أرض أحلامه وطموحاته ، وبابل ، ونجد.

ارتبط الإنسان بالمكان بما فيه من متغيرات وظروف إذ تجدد تلك المتغيرات مدى قوة الانتماء أو استمراريته ؛ لذلك أطلق على هذا المكان اسم الوطن ، "وهو احتياج هام يربط الإنسان بأرضه وبأبناء وطنه" [١] .

انتمى الشاعر مكانياً الى أبيورد ، ولكن عندما شعر بالذل ، ترك هذا المكان ، فقال:

(البحر الوافر)

إذ أذَلّـــت حياتُـــك فـــي مكـــانٍ فَمُـت لطـلابِ عـزكَ فـي مكـانِ [٢]

وقف الشاعر وقفة جدلية تضادية لها دلالة فنية ، فهي وسيلته لأداء المعنى ، عبر ثنائية (الذل ، العز) ، (الحياة ، الموت) كما كرَّرَ لفظتي (في مكان) وهي إشارة الى مكانيين مكان العز ، ومكان الذل وهذا دليل على عدم ارتياح الشاعر وشعوره بالتوجع والقلق والوحشة من بعض الأمكنة.

فالمكان الذي لا يحقق فيه ما طمح إليه سيتركه ويرحل؛ لارتباط المكان بأهدافه التي يسعى الى تحقيقها ، فالذات حينما تفشل في تحقيق ما تصبو إليه في مكان معين يتحول ذلك المكان الى بقعة معادية ، يكون التحول عنها من باب فاعلية الذات الثائرة التي تأبى الخضوع [٣].

قال: (البحر الطويل)

إذا قصـــرتْ عمّـــا أحاولـــهُ يـــدي بـــأرضٍ فـــإنّي لا أطيـــلُ بهـــا لبثـــا

---

[١] جدلية الحضور والغياب في شعر الأبيوردي ، د. فهد نعيمة البيضاني ، ع٢٣ ، السنة العاشرة ، مجلة دراسات أسلامية معاصرة ، جامعة كربلاء ، كلية العلوم الاسلامية ، ٢٠١٩ / ٣٣٥.

[٢] الديوان: ١ / ٤٣٨ .

[٣] ينظر: المكان في شعر الشريف الرضي دراسة فنية ، زينب عبد الكريم الخفاجي ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية التربية ، ١٦٦ .

أُفَارِقهـــا والفَجْـــرُ فـــي حِجْـــرِ أُمِّـــهِ ولـمْ يلفـظِ الـوكرُ الخداريَّـةُ[1] الغرثـى[2]

نجح الشاعر في رسم الصورة الكنائية وقد مزجها بآليات تصويرية ومنها الاستعارة ، فكانت الصورة اكثر حيوية ، فقوله (الفجر في حجر أمه) كناية عن التبكير في الابتعاد عن الأماكن التي لا تحقق آمانيه ، كما نجح في تشخيص الفجر إذ جعله طفلاً صغيراً ، ان هذا التمازج بين الاسلوبين البلاغيين الكناية والاستعارة أدخل الصورة في ذروة الاكتشاف التي يثيرها في نفس المتلقي للبحث عما أراده الشاعر من معنى.

عانى الأبيوردي معاناة الغربة المكانية والروحية ، فتمثلها شعراً وإبداعاً ، وبما يمتلكه من موهبة اتسمت بجودة فنية عالية ، هاجر الشاعر من خراسان بعد الاستيلاء على أراضيه وضياعه ، فهو لم ينتمِ لبلاد العجم روحاً وفكراً ، إذ فشل فيها أثر وفاة والده ، وزاد من معاناته وذلك بعدم نصرة أقربائه وقدمه له ، فأراد الرحيل الى العراق والى بغداد خاصة ، لأنها مصدر الحضارة والثقافة والعلم ، فكانت مقصد الشعراء ، إذ قال:

(البحر البسيط)

فَهَـــذهِ شَـــتْوَةٌ أَلْقَـــتْ كَلاكِلَهـــا حتّـى اسـتَبَدَّ بِصَـفْوِ العِبشَـةِ الكَـدَرُ
وَمَنْزِلـــي أَبْلَـــتِ الأَيَّـــامُ جِدَّتَـــهُ فَشَـــفَّني المُبلِيـــانِ: الهَـــمُّ وَالسَّـــهَرُ
وَلِلْفُـــؤادِ وَجيـــبٌ فـــي جَوانِبِـــهِ كَمـــا يَهُـــزُّ الجَنـــاحُ الطّـــائِرُ الحَـــذِرُ
يَحْكِـي عِنـاقَ مُحِـبٍّ مَـنْ يَهـيمُ بِـهِ إذا تَعـــانَقْنَ فـــي أَرْجائِـــهِ الجُـــذُرُ
وَلَـــنْ تُقَـــيِمَ بِـــهِ نَفْـــسٌ فَتَألَفَـــهُ إذْ لَـــيْسَ لِلْعَـــيْنِ فـــي أَقْطـــارِهِ سَـــفَرُ
وَالسَّـقْفُ يَبْكـي بِأَجْفـانِ المَشُـوقِ إذا أَرْســـى بِـــهِ هَـــزِمُ الأَطْبـــاءِ مُنْهَمِـــرُ
ومـــا سَـــرى البَـــرْقُ وَالظَّلْمـــاءُ عاكِفَـــةٌ إلاّ وفـــي القَلْـــبِ مِـــنْ نِيرانِـــهِ شَـــرَرُ
وَابْـنُ المُعـاوِيِّ يَهْـوَى أَنْ يَكـونَ لَـهُ مَغْنـــىً ببَغْـدَادَ لا يُخْشَـى بِـهِ الغِيَـرُ
مَثْـوى يُـدافِعُ عـنْ كُتْبـي، وَأَكْثَرُهَـا فِيـــهِ مَـــديحُكَ أَنْ يَغْتالَهـــا المطَـــرُ[3]

---

[1] الخدارية: هو الأسود من السحاب. وهنا بمعنى العقاب ، مادة خدر، لسان العرب ٢ / ١١١٠،
الغرثى:أيسر الجوع ؛ وقيل شدته ؛ وقيل هو الجوع عامة ، مادة غرث.
[2] الديوان ٢ / ٩٢ .
[3] الديوان: ١ / ٦٧٥ – ٦٧٦ .

صوَّر الشاعر (المنزل) تصويراً حسياً إذ جعله رمزاً لمعاناته وآلامه و تحول هذا المكان من مكان يشعر فيه بالحماية والأمن والطمأنينة الى مكان يثير في داخله مشاعر الخوف والقلق والهم لما ينطوي عليه من سلبية ، وانعدام الأَلفة والإحساس العنيف بعدم الاستقرار ، فهو مكان مغلق وضيق وهو يطمح الى مكان واسع تشعر فيه الذات بالارتياح ، كما زاوج الشاعر بين المدح الذي خص به المستظهر ، وبين إحساسه بالغربة ، فكان المكان وسيلته في التعبير يثيرها العامل النفسي في لحظة خلق التجربة.

ونلحظ أنه وظَّف ألفاظ الزمان ((الأيام ، والبرق ، والظلماء)) ومادته الفنية الخصبة وأثرها في وصف المنزل الخرب فهو زمان التحول من القبول الى الرفض.

ووظف الشاعر أَسلوب الاستعارة ، في البيت الشعري والسقف يبكي بأجفان المشوق إذا شخَّص السقف وجعله يبكي والبكاء من الصفات الإنسانية ، فبكاؤه عَبَّر عن الأنين في روح الشاعر ، فهو يستثير مشاعر الشوق والحنين الى المكان ، ثم اذا أرسى به هزم الأطباء أي السحاب الرقيق يعرض ولا ماء فيه فيصفه بالمنهمر أي شديد الغزارة فيصف شدة حزنه وألمه ، وفي ختام القصيدة ذكر عبارة يغتالها المطر التي جاءت في النص الشعري ، فالمطر ـ يحمل دلالة الخصب والنماء وتجديد الحياة ولكن الشاعر جعله رمزاً للخطر والبلاء والشر .

يمكن القول: إنَّ النص الشعري جمع بين الذات والمكان في نسق سياقي واحد ، فشكل عودة سريعة الى الماضي رغبة منه للعيش في عالم جميل مثله في بغداد حيث الأمن والسلام.

وقد رحل الشاعر الى العراق محفوفاً بالآمال والطموحات لكنه رُفض من قبل الساسة؛ بسبب توجهاته السياسية فأقصاه الحكام ، إذ كانت علاقته معهم تتسم بالضعف ، فقد رفض كلّ ما يدينون به من أخلاق وقيم ، وتحدث الشاعر عن أسفاره التي أنهكته وأنهكت أبله لطولها وكثرتها إذ قال: (البحر المتقارب)

خليليّ مسَّ المطايا لغبْ ... وألوى بأشباحهنَّ الدَّأبْ
وَإني إذا أَنْكرَتْني البِلادُ ... وشيبَ رضى أهلها بالغضبْ
لَكَالضَّيْغَمِ الوَرْدِ كاد الهَوانُ ... يدبُّ إلى غابهِ فاغتربْ

الى إن قال

وَإِنّـــي وَإِنْ نَـــالَ مِنَّـــي الزَّمـــانُ ونحـــنُ كـــذلك ســـؤرُ النُّـــوبْ[1]

يتجلى صوت الشاعر وصرخته بقوله (وإني إذا أنكرتني) ليعلن عن رفض الآخر له ، كما عكس وحشية المكان وعدائيته إذ لم يذكر اسم البلاد ، فقد جسَّد النص مخاضاً يولد منه حضور الذات الشاعرة بحضور ياء المتكلم ، ثم ذكر محاولة الزمان النيل منه فقد غيّبه الزمان غياباً لا أرادياً خلقه تقادير الزمان.

فلما عرضت هذه القصيدة التي طلب فيها الشاعر مثوى له في بغداد وقع له بقطعة أرض من الأجمة [2] نائية من العمران ، وهي قريبة من الثريا [3]، فوهبها لبعض الصوفية وقال في ذلك:

ـ البحر الطويل ـ

أَرَى الأَجَـمَ اسْـتَوْلَى عليـهِ قَطِينُـهُ وَفُضِّلَ فـي سُكْناهُ بَعْضٌ على بَعضِ
وَنَحْـنُ بِحَيْـثُ الـذِّئبُ بـاتَ مُرَوِّعـاً يُقَلِّـصُ جَفْنَيْـهِ الحِـذارِ عَـنِ الغَمْـضِ
وَقـد كُنْـتُ أَرْجُـو أَنْ أُخَـيِّمَ عِنْـدَكُمْ بِمَنْزِلَـةٍ بَـيْنَ الرَّفاهَـةِ وَالخَفْـضِ
طَلَبْـتُ الثُّرَيّـا فـي السَّـماءِ بِمَـدْحِكُمْ فَـأَنْزَلتُموني بِالثُّرَيَّـا عَلـى الأَرْضِ[4]

وهذا النص الشعري دليل على الاقصاء والنفي الذي عانى منه الشاعر بسبب توجهاته وأفكاره وتطلعاته التي كانت لا تروقُ للحاكم العباسي.

وقد كتب الشاعر الى بعض الخلفيّين من بني جمع وهم بالحجاز يشكو إليهم غربته إذ قال:

ـ البحر البسيط ـ

وفـــي الجَـــوانِحِ حُـــبٌّ لا يُغَيِّـــرُهُ صَـــدُّ المُلـــوكِ وَبُعْـــدُ النِّيَّـــةِ القَـــذَفِ
وَمـا الحَبيـبُ، ومـا أَعْنـي سِـواكِ بِـهِ مِمَّـنْ يَقِـلُّ عَليـهِ فـي النَّـوى أَسَـفي
ولا أَخـافُ الـرَّدى إنْ كُنْـتِ راضِـيَةً بِـهِ، فَكَـمْ كَلَـفٍ أَفْضَـى إلـى تَلَـفِ
وَوَقْفَـةٍ لَـمْ أَقُـلْ فيهـا عَلـى وَجَـلٍ لِلَّـدَمْعِ، مِـنْ حَـذَري عَـيْنَ الرَّقيـبِ: قِـفِ
وَالعامِرِيَّـةُ تَسْـقي الـوَرْدَ مُجْهِشَـةً بِنَـرْجِسٍ مِـنْ سِـجالِ الـدَّمعِ مُغْتَـرِفِ

---

[1] الديوان: ٢ / ٦ .
[2] الأجمة: المكان من القصب ، وهي ناحية بأرض بابل ، معجم البلدان ١٢/ ١٢٨ .
[3] الثريا : وهي أبنية بناها المعتضد قرب التاج ، وهي الان خراب ، ينظر: معجم البلدان ٢ / ٩١.
[4] الديوان: ١ / ٦٧٦ – ٦٧٧ .

تَقــولُ حَتّــامَ لا تَلــوْي عَلــى وَطَــنٍ وَكَــمْ تُعَــذِّبُ جِسْــماً بــادِيَ التَّــرَفِ

وقال وكأنه يرد عليها:

يـا أُخْـتَ سَـعْدٍ وَسَـعْدٌ خَيْـرَ مَـنْ جَـذَبَتْ إلــى العُـلا ضَـبْعَهُ الأَشْـياخُ مِـنْ حَـذَفِ
كُفِّــي وَغــاكِ فَمــا عُــودي بِمُهْتَصَــرٍ وَإنْ أَرابَــكِ مــا تَلْقَــيْنَ مِــنْ عَجَفــي
وَإنْ تَغَرَّبْــتُ لَــمْ أَفْــزَعْ إلــى وَكَــلٍ وَلَـمْ يَكُـنْ مِـنْ صَـرَى الأَمـواهِ مُرتَشَـفي
وقــد فَلَيْــتُ الــوَرى حَتّــى قَلَيْــتُهُمُ إلاّ بَقايــا كــرامٍ مِــنْ بَنــي خَلَــفِ[1]

جسّد النص الشعري غربة الشاعر وهي تجربة إنسانية مؤلمة ، إذ تجرع مرارة غصصها ، بدلالة الالفاظ (النوى ، ولا تلوى على وطن ، وتغربت ، وفليت الورى).

فالانسان حين يرحل عن وطنه وقومه وأحبابه ، يشعر بالغربة شعوراً عميقاً ، والحزن الشديد ، وقد يلجأ الشاعر الى الرمز بدوافع عدّة منها: التعبير عن ذاته ، أو قد يختفي وراء أمر آخر لا يريد التعبير عنه صراحةً ، مما يزيد من معاناته ، وفي النص الشعري وظف الشاعر رمز المرأة فمرة أطلق عليها (العامرية) ، ومرة أخرى (يا أخت سعد) وعبَّر عنها بصورة إبداعية فنية ، فهو يصف شدة حزنها عليه وفيها شيء من المبالغة ، إذ عبَّر عن شدة بكائها يغترف منها دلو الدمع وهي إشارة إلى كثرة الدمع ، وهي تسأله حتام لا تلوي على الوطن ، وكم تعذب هذا البدن الذي كان متعوداً على الترف والراحة ، ثم يجيبها بأنه جُذِب الى العلا ، وأنه وإن تغرب إلاَّ إنه لم يفزع الى جبان ولم يمتص ما فسد من الشراب.

أما موسيقى الإيقاع فجاءت متجانسة مع الحالة النفسية ؛ لأن البحر البسيط من البحور التي يجد فيها الشاعر متسعاً للتنفيس عن الآمه ، فالألفاظ رقيقة ، وتكثر فيها الحروف التي تدل على الحزن والصراع النفسي فحرف السين تكرر (١٦ مرة) وتكررت حروف اللين أربع مرات وجاء بالكلمات الآتية (النوى ، وعَيْنِ ، وخَيْر ، وفَلَيْت) فضلاً عن القافية المكسورة، وهذا دليل على الصراع الحاد الذي عاشه بين نفسه الغريبة الحائرة ، وواقعه البائس ، واختار الوطن والمكان للتعبير عنها على وفق نسق فني واحد ، محاولة منه لتخفيف وطأة الغربة.

---

[1] الديوان: ١ / ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ .

وفي المعنى نفسه قال: – البحر الطويل –

تقـولُ ابنـةُ السَّـعديِّ وهـي تَلـومني أمـا لـكَ عـن دارِ الهـوانِ رحيـلُ
فـإنَّ عَنـاءَ المُسـتَنيمِ إلَـى الأذى بِحيـثُ يَـذِلُّ الأكرمـونَ، طَويـلُ
ومـا فـي الـوَرى إلاَّ لَـكَ البَـذْرُ والـدٌ ولا لسـواكَ النَّيِّـراتُ قبيـلُ
وعنـدكَ محبـوكُ السّـراةِ مُطهَّـمٌ وفـي الكـفِّ مطـرورُ الشَّـباةِ صـقيلُ
فَثِـبْ وَثْبَـةً فيهـا المَنايَـا أوِ المُنَـى فكـلُّ محـبٍّ للحيـاةِ ذليـلُ
وإنْ لـمْ تُطِقْهَـا فاعْتَصِـمْ بـابنِ حـرّةٍ لهمّتِـهِ فـوقَ السّـماكِ مَقيـلُ[1]

عكس النص الشعري ما تحمله نفسية الشاعر من عدم الاستقرار ، والمعاناة ، ولكنه في الوقت نفسه يفتخر بنفسه وبآبائه، ويضع نفسه أمام أمرين أما حياة مع ذل أو الاستعانة بأحد يستطيع إيصاله إلى بغداد ، فأخذ الشاعر بالرأي الثاني وقد أجاد في انتقاء الألفاظ بما يلائم المعنى ، كما أنمازت لغته بالقوة والمتانة مقترنة بالوضوح والسهولة ، وقد عكست تجربته الشعرية التي عجت بالحزن والألم بسبب الفراق والغربة.

ووظَّف الشاعر الوزن الشعري بما يناسب عاطفته ، وقد اختار البحر الطويل وهو" بحرٌ معروف بامتداد النفس وخفاء الجرس" [2] وهو "يقع على الأذن وقعاً بطيئاً متأنياً " [3] ، ولعل هذا ما جعله مناسباً للمعنى الذي أراد الشاعر التعبير عنه إذ يحاكي نزعة القلق والاضطراب المشوبة بالعنف والرفض.

إنَّ عدم الاستقرار النفسي والمكاني كان سببه أعداء الشاعر اللؤماء ، فأخذ يهدد بأن لا يعلموا له مكاناً ، وأنه سيصول عليهم من دون أن يعرفوا مكانه لكي لا تصل أيديهم إليه فقال:

---

[1] الديوان: ٢ / ١٠٣ .
[2] المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب المجذوب ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ط٤ ، ١٩٥٥م / ١ / ٣٦٨ .
[3] الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ، د. محمد النويهي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، (د. ت): ١ / ٦١ .

– البحر الكامل –

أَنــا مَــنْ عَرَفْــتِ وَبَعْـدَ يَـوْمِهِمُ غَـدٌ وَعَلَــيَّ بِــزَّةُ أَجْــدَلٍ[1] غِطْرِيــفِ[2]

لا يَعْلَــمُ اللُّؤَمــاءُ أَيْــنَ مُعَرَّســي[3] وَبِــأَيِّ وادٍ مَرْبَعِــي وَمَصِــيفي[4]

اتسمت الأماكن التي يتواجد فيها اللؤماء بالرفض والوحشة فهو يبحث عن مكان بديل تَحسُّ فيه الذات الشاعرة بالاستقرار والأمان والإطمئنان.

إذ قال: – البحر الطويل –

وتــزعمُ أنّ الهجــرَ لا يُعقِــبُ الــرَّدى وَهَـل حـادِثٌ يَخْشـى إذا أُمِـنَ الهَجْـرُ؟

وَقَفْنــا بِمُسْــتَنِّ الــوَداعِ وَراعَنــا بجـزوى غُـرابُ البـينِ، لا ضَـمَّهُ وكـرُ

وألَّــفَ مــا بــينَ التَّبسُّــمِ والبُكــا سُــلوٌّ ووَجــدٌ عيــلَ بينهمــا الصَّــبرُ

فــواللهِ مــا أدري أثغــركِ أدمعــي غــداةَ تفرَّقنــا أمِ الأدمــعُ الثَّغــرُ

تَبَرَّمَــتِ الأجْفــانُ بَعْــدَكِ بِــالكَرى فَــلا تَلْتَقــي أوْ نَلْتَقــي ، وَلَهــا العُــذْرُ

تغيــبُ فــلا يحلــى بعينــيَ منظــرٌ وَيَكْثُــرُ مِنِّــي نَحْــوَهُ النَّظَــرُ الشَّــزْرُ [5]

وظف الشاعر في الأبيات الشعرية أعلاه كل مفردة في خدمة غرضهِ ، فجاءت الأسماء بمعنى الثبوت وهي ملازمة الحزن لشاعرنا ، وجاءت الأفعال تدل على معنى التحول ، فدلالة الحزن يعطي معنى ثابت ومستقر في نفسية الشاعر لذلك حشد الأسماء دون الأفعال.

جاء التكرار في الأبيات الشعرية بالحرف والاسم ، فالتكرار يعدُ في الفن من علامات الجمال واحد أهم أركانه [6] ، بالأخص في الشعر.

---

[1] أجدل: الصقر ، مفتول أي شدة الفتل ، لسان العرب مادة / جدل ، ٥٦٩/١ .

[2] غطريف: هو اسم علم مذكر من أصل عربي ، معناه اليد الشريف السخي الكريم ، فرخ البازي الكثير الخيلاء ، معجم لسان العرب / ٥ / ٣٢٧ .

[3] معرسي: موضع ينزل المسافر فيه ويستريح ،ونزل في وجه السحر، لسان العرب باب عَرَس ، ٤ / ٢٨٨٠ .

[4] الديوان: ١ / ٦٥٢ .

[5] م . ن: ١ / ١٥٦ – ١٥٧ .

[6] ينظر: النقد الجمالي وأثره في النقد العربي ، روز غريب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٢ ، ٢١ ، ٢٦.

ففي البيت الأخير تكرر حرف (النون) خمس مرات وهذه النونات أعطت للسامع بصورة مباشرة لأنات الشاعر أما حرف (الراء) فقد تكرر كثيراً في الابيات الشعرية ، لتداخل نغمتها مع نغمة النون ، فقد جاءت الكلمات الشعرية منسجمة انسجاماً موسيقياً لها إيقاعٌ نغمي متميز يدل على حالة الشاعر وعلى وحدته وغربته وحزنه.

وقد أجمع الشاعر على الفراق ، وأكدَّ ذلك في قوله: – البحر الطويل –

وَهـا أَنـا أَزْمَعْـتُ الفِـراقَ ، وفـي غَـدٍ نَميـلُ بَصـدْرِ الأَرْحَبِـيِّ إلـى الفَـلا [1]

وفي ضوء ذلك نلمس أثر المكان في غربة الشاعر أو دوره في إثارة إحساسه للتعبير عمّا يجول في خاطره ، وقد يتخذ دلالات عدَّة أو رموزاً في النص الأدبي بشكل عام والبيت الشعري بشكل خاص ، ويحمل أبعاداً اجتماعيةً ونفسية وتأريخية.

ومن هنا فقد تجسدت غربة الشاعر في نوعين:

أ- غربة داخلية وهي إحساس الشاعر بألم الغربة وإن لم يبرح وطنه أو ينأى عن أهله.

ب- غربة خارجية: وهي إحساس الشاعر بألم البعد عن الأوطان والأهل والأحبة وما يصاحبها من ألم وحنين وأشتياق[2].

وقد عانى الشاعر الأبيوردي من إرهاصات الغربة والاغتراب في جُلِّ مراحل حياته.

فنظرة الإنسان العربي الأصيل للغربة تختلف عن نظرة العالم الحالية ، فالغربة عند الشعراء أما أن تكون غربة وجودية ونقصد بها غربة مكان ، أو غربة نفسية ، أي غربة النفس في وطن غير الوطن ، ووسط أهل غير الأهل غربة الروح عن الجذور بينما يطلق عليها في المفهوم الحديث اغتراب حضاري وموقف يتخذه المثقف الغربي الفارغ قلبه من كل القيم الروحية [3].

---

[1] الديوان: ١ / ٥٥٤.

[2] ينظر: الغربة والحنين في شعر الجواهري ، محمد حسون نهاي ، ٤٨ ، ٥٢ .

[3] ينظر: الغربة والحنين في الشعر الاندلسي: فاطمة طحطح ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٣ / ٣٥ .

وقد برزت أشعار بصورة واضحة في شعر الشاعر الأبيوردي فيتشوق الى كوفن مسقط رأسه ، ويدعو لها على نحو ما كان العرب يدعوون به لأوطانهم ، بالسقيا ، فقال:

ـ البحر الطويل ـ

سَقَى اللهُ رَمْلَيْ كُوفَنٍ[1] صَيِّبَ الحَيا ... ولا بَرِحَا مُسْتَنَّ راعٍ ورائدِ

وَلي أدْمُعٌ إن أَمْسَكَ المُزْنُ دَرَّهُ ... كفلْنَ بصوبِ البارقاتِ الرَّواعِدِ

فقد أوطنتها مِنْ أميَّةَ عُصَبةٌ ... غُذوا بالمعالي في حُجورِ المحامِدِ[2]

وظف الشاعر في النص الشعري أسلوب الدعاء بالجملة الفعلية (سقى الله) إذ يتضرع الى الله عز وجل أن يسقي أرض كوفن بالمطر النافع الذي يحيي كل شيء ؛ ولا يفارقها الرعاة وطالب الكلأ ، إشارة الى كثرة خيرات هذه البلدة " والدعاء بالسقيا ظاهرة تراثية قديمة ، جرت على ألسنة الشعراء القدامى" [3] أما في البيت الثاني فقد أشار الى صدق إحساسه ومشاعره تجاه وطنه ، فهو يشير الى شدة شغفه لذلك المكان واشتداد حنينهِ إليه ، إذ لا يستطيع أن يمسك دموعه كما أشار الى كثرتها ، وقد عبَّر عنها بالمزن وهو سحاب ذو ماء ، والبارقات وهي سحابة ذات برق ، وفيه تشبيه بليغ إذ يشبه كثرة دموعه بالحزن ذات برق ورعد أو قد يكون المعنى بأنّ دموعه الغالية هي مَن تسقي أرض كوفن لا المطر أو المزن ، ثم يصرح بأنه اتخذ "كوفن" موطناً له ، إذ كان يرجو بلوغ المعالي فيها والمعنى نفسه قاله الشاعر وهو يتشوق الى وطنه: ـ البحر البسيط ـ

سَقْياً لِكُوَفنَ مِنْ أَرْضٍ إذا ذُكِرَتْ ... هاجَتْ على عُدواء الدّارِ أَشْواقاً

يطيبُ عرقُ الثَّرى منها بكلِّ فتىً ... من أسرتي طابَ أعراقاً وأخلاقاً[4]

---

[1] كُوفَن: بليدة صغيرة بخراسان على ستة فراسخ من أبيورد أحدثها عبد الله بن طاهر في خلافة المأمون ، ومنها أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردي ، وعلي بن محمد الصوفي ، وأبو القاسم النيسابوري يُعرف بالكوفني ، معجم البلدان : ٤ / ٤٩ .

[2] الديوان: ٢ / ١١٠ .

[3] قراءة نقدية في نجديات الأبيوردي ، عبد اللطيف محمد السيد الحديدي / ٣٩.

[4] الديوان: ٢ / ١١٠

فالشاعر يَحنُّ الى دياره إذا ذكرها وتهيج أشواقه وأحزانه ، والحنين " رحلة في الزمان ، وعودة الى الوراء لمعايشة الماضي شعراً استرجاعه ، واستحضاره على مستوى المكان والأهل والوقائع" [1]. فالحنين يجمع بين ثنائية الفرح والحزن وبين الألم واللذة في الوقت ذاته.

فبقيت صورة كوفن في مُخيَّلة الشاعر ، فهي ليست مجرد سماء ، أو أرض ، أو مكان ، إنها ذكريات شبابه وحياة عاشَ فيها مدة من الزمن.

ويزداد حنينه واشتياقه وشعوره بالغربة المكانية في بغداد ، ليس الى بلده فحسب ، بل الى أمه ، وسؤالها وقلقها عليه في غربته ، بعد عودة المسافرين من العراق ، إذ قال :

ـ البحر الطويل ـ

ومشبلةٍ شمطاءَ[2] تبكي منَ النَّوى ... وقد غيَّبتْ عن غابها أسداً وردا
وَتَحْتَ حَبابِ الَّدمْعِ عَيْنٌ رَويَّةٌ ... منَ الدَّمِ والأحشاءُ مضمرةٌ وجدا
إذا طرق الرَّكبُ العراقي أرضها ... بحيث تُظِلُّ السُّمرُ مقربةً[3] جردا
وَيَحْمي ذِمارَ الجارِ كلُّ ابْنِ حُرَّةٍ ... يَكادُ مِنَ الإكرامِ يُوْطِئُهُ خَدَّا
وقالتْ نساءُ الحيِّ أينَ ابنُ أختنا ... ألا أخبرونا عنهُ حيِّيتمُ وفدا
فإنَّ الّذي خلَّفتموهُ بأرضكمْ ... فتىً منْ رأى آباءهُ ذكرَ المجدا
أَبَغْدادُ كَمْ تُنْسيهِ نَجْداً وَأَهْلَهُ ... أَلا خَابَ من يَشْري بِبغْدادِكُمْ نَجْدا
فدتهنَّ نفسي لو سمعنَ بما أرى ... رمى كلُّ جيدٍ من تنهُّدها عِقدا[4]

نلمس من النص الشعري المشحون بالدلالات ، التي اكتسبها الشاعر من خلال تجربته الحسية ، مما يستدعي الوقوف على البنية العميقة للنص ، فالبعد المكاني أثار في احساس الشاعر ذكريات ذلك المكان ومحاولة استعادتها ذهنياً ، فحنينه الى أمه في النص بقوله "ومشبلة" ووصفها بالشمطاء لكثرة حنينها ، عكس غربة الذات الشاعرة ، بانفصاله عن المكان الحاضر ودخوله عالم الذكريات ، كما أشارت دلالة الألفاظ (الغياب ، والدمع ،

---

[1] الغربة والحنين في الشعر الاندلسي ، فاطمة طحطح ، ٣٥ .
[2] شمطاء: بياض شعر الرأس يخالط سواده ، لسان العرب ، مادة شمط ، ٤ / ٢٣٢٧.
[3] المقربة: الخيل التي تقرّب الى البيوت لنفاستها ، لسان العرب مادة قرب ٥ / ٣٥٦٧ .
[4] الديوان: ٢ / ١١ ، ١٢ .

التنهد) التي زادت من واقعه المأساوي للمكان ، وكان الأسى والحزن رفيق الشاعر ، فالشاعر العربي من أرق شعراء الدنيا ، خاصة في الشعر الذي عبِّر عن حنينه الى وطنه المكان الذي غاب أو غُيّب عنه [١] ، وهذا دليلٌ على ارتباط الشاعر بالمكان والأحساس النابع من حِسٍّ أصيل وعميق من ذات الشاعرة ، المكان يمثل وطن الألفة والانتماء ، مما يجسد حالة الارتباط المشيمي برحم الأرض – الأم ، لأنه يرتبط بهناء الطفولة وصبابات الصبا [٢].

كما أرتكزت بنية النص وفق نسق حواري بَيَّنَ فيه عمق غربته التي عاشها باختيار ألفاظ ذات جرس حزين ، كما تمتاز بالسهولة ؛ عكس فيها صراعه الداخلي فتصدرت البنية الاستفهامية في البيت الشعري بقوله " أين ابن أختنا " وقوله " أ بغداد " ، التي تحيل القارئ الى البعد المكاني ، ودلالة استبدالية إذ استبدل فيه مكاناً عرف فيه بنعيمه وحسبه وتذكره مجد آبائه الى مكان موحش مُبعد ، فيعمد الى بيان كل ما يعانيه بأسلوب استفهامي إذ كان يسعى بتحقيق طموحاته في بغداد بَيدَ أنّهُ لم يتمكن من ذلك ، فيبدأ بمقارنتها بنجد ، مما يؤكد دلالة الانكسار والتألم والتحسر لديه ، والتي بدت واضحة في التشكيل التصويري للمشهد الذي بدأ بتفجير طاقات الكلمة وانسجامها مع الإيقاع وغيرها من العناصر التي تندمج وتتوحّد لنجاح العملية الإبداعية .

ظل الشاعر يحنّ الى وطنه الذي افتقده ، ويذكره في عدد من قصائده ، إذ قال:

ـ البحر الطويل ـ

أيا عقدات الرَّملِ منْ أرضِ كوفنٍ ... سقاكنَّ رجَّافُ العشِّي هَتونُ
أذيلُ لذكراكنَّ دمعي وفي الحشى ... هوىً لسيالاتٍ[٣] بكنَّ مصونُ
إذا حدَّثَ الرُّكبانُ عنكنَّ هيَّجوا ... تباريحَ وجدٍ والحديثُ شجونُ
فجُنَّ بكنَّ اللُّبُّ منّي على النَّوى ... وما بيَ لولا حبُّكنَّ جنونُ[٤]

---

[١] ينظر: رحلة الشعر من الأموية الى العباسية ، مصطفى الشكعة ، عالم الكتب ، ط٢ ، بيروت ١٩٧٩م : ٣٢٢ .
[٢] ينظر: إضاءة النص، إعتدال عثمان، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٨ / ٦ .
[٣] السيال: ضرب من الشجر له شوك ، لسان العرب مادة سيل / ٣ / ٢١٧٣ .
[٤] الديوان: ٢ / ٩٧ .

كشف الشاعر عن داخله المتألم وهو ينادي عقدات الرمل بدلالة حرف النداء (أيا) ، وهو يذكر الرمال المتراكمة منها وأشجارها ذات الأشواك وعلى الرغم من هذا المناخ القاسي إلا أنّه يحن إليها ، وقد كرر الشاعر حرف النون (خمساً وعشرين) مرة في هذه المقطوعة ، فخلق فيها إيقاعاً شجياً يثري النغم الموسيقي للقصيدة ، فالألفاظ عذبة تُعبر عن غربته وحنينه ، كما كشفت عن بعض الخبايا التي تفيض بها نفسه المغتربة ، وقد تكررت كلمة الدمع في مقطوعات الغربة والحنين بشكل لافتٍ للنظر ، والتي يبرز من خلالها حزنه ويكشف عن حالته النفسية التي مرَّ بها.

عاش الشاعر تجارب مؤلمة ، وكان في مقدمتها شعوره بالغربة ، والنأي عن الوطن ، فجعله في مقدمة الشعراء البارزين في إثراء التراث الشعري ، بنتاج أدبي صادق عبَّر فيه عن احساسه ومواقفه النفسية التي طرأت عليه خلال مراحل حياته .

فمثال شعره يوم العيد الذي يُعدُّ من أكثر الأيام ألفة لاجتماع الأهل والأحبة والأصدقاء ، ولكن عندما يكون الإنسان بعيداً عن أحبته تزداد غربته مما يحول المناسبة الى يوم حزين من القبول الى الرفض ، من اللذة الى الألم وقد ترجم الشاعر ذلك شعراً ، فقال:

ـ البحر البسيط ـ

النّاسُ بِالعيدِ مَسْرورونَ غَيْرَ فَتًى ... يَشُفُّهُ في إسارِ الغُرْبَةِ الحَزَنُ

وبينَ جنبيهِ همٌّ لا يبوحُ بهِ ... فَفَرْحَةُ المَرْءِ حيْثُ الأَهْلُ وَالوَطَنُ

ولا اغتراب علينا فالبلادُ لنا ... فتوحها وبنا يُسترحبُ العَطِنُ

وتلكَ دارٌ ورثناها معاويةً ... لكِنَّ كُوفَنَ أَلْقانا بِها الزَّمَنُ

أصبو إليها وأشواقي تبرِّحُ بي ... وتمنعُ العينُ أنْ يعتادها الوسنُ

فَلَيْتَ شِعْرِي ، وَلَيْتَ غَيْرُ نافِعَةٍ ... هَلْ يَبْدُوَنَّ لِعَيْني مُنْجِدٍ حَضَنُ[1] ؟

وَهَلْ أُنِيخُ بِبابِ القَصْرِ[2] ناجِيَةً ... مُناخُها فيهِ مِن صَوبِ الحَيا قَمِنُ؟

هنالكَ الهضباتُ الحمرُ لو هَتفَتْ ... بالميتِ راجعَ فيها روحهُ البدنُ[3]

---

[1] حضن: جبل بأعلى نجد. وهو أشهرها ، ينظر: معجم البلدان: ٢ / ٣١٣ .

[2] باب القصر: محلة ال معاوية بكوفن ، وأول من بناها معاوية الأصغر ، وعندها سويقة طيبة : معجم البلدان : ٤ / ٤٠٤.

[3] الديوان: ٢ / ٨٣ ، ٨٤ .

تمحور النص عبر سلسلة من الثنائيات أهمها ألانا – الآخر ، الماضي – الحاضر ، ديار الأحبة والأهل – مكان الغربة ، جاعلاً من العيد مدخلا تعبيراً لمعاناة الشاعر ، وقد جاءت دلالة الالفاظ (الغربة ، همٌ ، تبرح ، أنيخ) دلالة واضحة وصريحة بما يخفيه من خبايا النفس المتألمة ، كما عبرت الالفاظ (الوطن ، وكوفن ، والدار ، وباب القصر ، والهضبات الحمر) ، إذ دلت على المفارقة المكانية بين مكان الوطن الذي نأى عنه ، والمكان المرتحل إليه الذي لم يذكره في النص إذ أكسبه صفة الغياب.

وقد وظف أسلوب التمني ثم جاء بأسلوب الاستفهام وكرر هذا الأسلوب في أكثر من بيت شعري، كما كرر أداة الاستفهام ((هل)) وقد دلَّ هذا التنوع على بعدٍ أسلوبيٍّ متنوعٍ ، أظهر الشاعر فيه توجعه وتحسره على فقدان المكان وبعده عن الوطن بعيد عن الأهل والأحبة كما أجاد الشاعر بتوظيف أسلوب الاشارة بقوله " هنالك الهضبات الحمر " وقد خرج عن معناه الحقيقي ، ووضعه الشاعر في قوالب فنية ، زاد النص جمالاً ؛ لأنَّه عبَّر عن أفكاره بطريقة مجازية إيحائية ، وقد جاء في البيت الشعري صورة هزت مشاعره وخياله ليدركها المتلقي عبر الكلمات ، مما يمنحها قوة التأثير ، وقامت الصورة السمعية بدلالة لفظة (هتفت) فالهضاب الحمر تتبادل الهتاف مع الأموات ، وهذا إيحاء بما لاقاه من آلآم وعناء من فقده للمكان ، فلم يدم الأمر طويلاً حتى قرر العودة الى وطنه كوفن ، فتربة الصبا كما يقول الجاحظ " تغرس في القلب حرمة وحلاوة كما تغرس الولادة في القلب رقة وحفاوة " [1].

هجر الأبيوردي بغداد وعاد الى بلاد فارس ، ولكنه ظلَّ يحنّ الى العراق ، وقد ذكره في عدد من قصائده ، إذ قال: ـ البحر البسيط ـ

أَلْقى الخُطوبَ وَلي نَفْسٌ تُشَيِّعُني[2] غَضْبَى وَأَجْزَعُ إمّا بانَ جِيرانُ
أَكلَّ يَوْمٍ نَوىً تَشْقى الدُّموعُ بِها إلى غَوارِبَ تَفْريهنَّ[3] كِيرانُ[4]
فَالغَرْبُ مَثْوَى أُصَيْحابي الذينَ هُمُ عَشيرتي وَلَنا بِالشَّرْقِ إخوانُ
أَسْتَنْشِقُ الرِّيحَ تَسري مِنْ دِيارِهِمُ وَهْناً كَأَنَّ نَسيمَ الرِّيحِ رَيحانُ

---

[1] رسائل الجاحظ: الجاحظ الكناني أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت٢٥٥ هـ) ، تح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٤م ، ٢ / ٣٨٦.

[2] تشيعني: تشجعني على تورط المهالك واقتحام الاخطار ، لسان العرب مادة شيع ٤ / ٩٧٨.

[3] تفريهن: وهو تصحيف تقريهن أو يغريهن ، الديوان : ١ / ٥١٢.

[4] كيران: جمع كور وهو الرحل ، لسان العرب مادة كور ٥ / ٣٩٥٣ .

فَيــا سَــقَى اللّــهُ زَوْراءَ العِــراقِ حَيــاً تَــرْوى بِشُــؤُبوبِهِ[1] قُــورٌ[2] وَغِيطــانُ[3]
فقــد عَرَفْــتُ بِهــا قَوْمــاً أَلِفْــتُهُمُ كمــــا تَمــــازَجَ أَرْواحٌ وَأَبْــــدانُ[4]

يتذكر بُعد العراق ، فهو متشوق لديار أحبته ، فدموعه غزيرة أبرزت الشوق والحنين الذي لا حدود له عند الشاعر ، وإلفة المكان وعدوانيته تنعكس سلباً وأيجاباً بما يتركه من أثر في النفس ، وقد عبر بصدق عن معاناته وحزنه فالرياح الهادئة التي تسري في ديار الأحبة تذكره بهم ، فيزداد شوقاً إليهم وقد شبه نسيم الريح بالريحان وهو نبات طيب الرائحة ، فقد وظَّف الصورة الشمية بدلالة لفظة (أستنشق الريح) التي كان لها أثرٌ مميز في رفد الصورة بدلالات موحية ، والمعلوم انَّ أثر الصورة الشمية لا يقل عن باقي الصور الحسية مع كونها صورة لا يمكن ادراكها بالعين ولا بالأذن إنما هي صورة منتشرة [5].

وقد عبَّر الشاعر الأبيوردي عن فقدانه لبلد العراق ، وهذا الإحساس يسهل على المتلقي ادراكه اذ لا يستدعي عملاً ذهنياً كبيراً ، وأنما مجرد الصمت والاستمتاع بطيب الرائحة التي أدرجها الشاعر في بيئته بدلالة لفظة (الريحان).

ثم دعا للعراق بالسقيا فألفة هذا المكان تأتي من أُلفة من يسكنه وقد أشار الى ذلك بقوله " فقد عرفت بها قوماً ألفتهم" ، فالاغتراب يكمن في الانفصال عن الأحبة .

نراه قد شعر بحالة من الاستلاب ؛ لفقده المكان ، والزمان ، والإرادة ، والمشاعر ، وقاده هذا إلى الاحساس بالغربة .

احتل العراق عامة وبغداد خاصة مكانة كبيرة في نفس الشاعر وقد ذكرها في قصائد جمة ومنها ما كتبه الى أحد أصدقائه بمدينة السلام ، وهو بأصفهان قصيدة طويلة باكية ، وقال في مطلعها: ـ البحر الطويل ـ

---

[1] شؤبرب: الدفعة من المطر والشدة في كل شي ، لسان العرب ، ١ / ٤٨٠ .
[2] قور: جمع قارة وهي الأكَمةُ : وسميت بذلك لانها مستديرةٌ ، وقيل هي الاصاغر من الجبال والأعاظم من الأكام ، وهي متفرقة خشنة كثيرةُ الحجارة، لسان العرب ، ٥ / ١٢٢ .
[3] غيطان: المطمئن من الأرض ، لسان العرب مادة غيط / ٥ / ٣٢١.
[4] الديوان: ١ / ٥١٢ .
[5] ينظر: الصورة الفنية في شعر الطآئيين بين الانفعال والحس ، وحيد صبحي ، منشورات أتحاد الكتاب العرب ، ط١ ، ١٩٩٩م : ١٢٧ .

أَضـــاءَ بُرَيْـــقٌ بِالعُـــذَيْبِ كَليـــلُ ... فَتِلْـــكَ نِجـــادي لِلـــدُّموعِ مَســـيلُ...
فَآهـاً مِـنَ البَـرْقِ الـذي بَـزُّ نـاظِري ... كَـــراهُ ، وَأَسْـــرابُ الـــدُّموعِ هُمـــولُ
تَـــأَلَّقَ نَجِـــدّياً فَحَنَّـــتْ نُوَيْقَـــةٌ ... يُجاذِبُهـــا فَضْـــلَ المِـــراحِ جَـــديلُ
وَبـي مـا بِهـا مِـنْ لَوْعَـةٍ وَصَـبابَةٍ ... وَلكـنَّ صَـبرَ العبشـميِّ[1] جَميـلُ
وَمـا لـيَ إلاّ البَـرْقُ يَسْـري أَوِ الصِّـبا ... إلـى حَيـثُ يَسْـتَنُّ الفُـراتُ، رَسـولُ
تَحِـنُّ إلـى مـاءِ الصَّـراةِ رَكـائِبي ... وَصَـحْبي بِشَـطَّيْ زَرْنَـرودَ حُلـولُ
أَشَـوْقاً وَأَجْـوازُ المَهامِـهِ بَيْنَنـا ... يَطـيحُ وَجيـفٌ دُونَهـا وَذَميـلُ
أَلا ليْـتَ شـعْري هـل أرانـي بِغِبطـةٍ ... أَبِيـتُ علـى أرْجائِهـا وَأقيـلُ
وَأَرْضٌ حَصـاها لُؤْلُـؤٌ وَتُرابُهـا ... تَضَـوَّعَ مِسْـكاً، وَالميـاهُ شَـمُولُ
بِهـا العَـيْشُ غَـضٌّ ، والحيـاةُ شَـهِيَّةٌ ... وَلَيْلـي قَصـيرٌ، وَالهَجيـرُ أَصـيلُ
فَقُـلْ لأَخِلاَّئـي بِبَغْـدادَ هَـلْ بِكُـمْ ... سُـلُوٌّ؟ فَعِنـدي رَنَّـةٌ وَعَويـلُ
تُرَنِّحُنـي ذِكْـرَاكُمُ فَكَأَنَّمـا ... تَميـلُ بِـيَ الصَّـهْباءُ حِـينَ أَميـلُ
لِـئَنْ قَصُـرَتْ أَيّـامُ أُنسـي بِقُـرْبِكُمْ ... فَليلـي عَلَـى نَـأيِ المَـزارِ طَويـلُ....
تُعَيِّرُنـي بِنْـتُ المُعـاوِيِّ غُرْبَتـي ... وَكُـلُّ طُلـوعٍ يَقْتَفيـهِ أُفـولُ
وَتَعْجَـبُ أَنَّـي مِـنْ مُمارَسَـةِ النَّـوى ... نَحيـفٌ ، وفـي مَـتْنِ القَنـاةِ ذُبـولُ[2]

جسَّد النص مجموعة من التراكمات الصورية التي مثلت نتيجة البعد عن بغداد وإثارة الشوق والحنين إليها وقد عبَّر الشاعر عن كل ما يثير الهموم والأحزان والهواجس المؤلمة ، فسخرَ العناصر الطبيعية المتمثلة بالبرق ، والهواء ، وأصوات الحيوانات المهيجة للشوق ومنها النويقة ، والركائب ، فكانت الوحدة تلف حياته ، والغربة تطوي أيامه ، واليأس يسد عليه نوافذ الحياة ، فالصورة في شعر الغربة مشحونة بالأسى واللوعة ، وقد أبدع الأبيوردي في رسم أبعادها ، فقول الشاعر :

---

[1] عبشمي: كلمة منحوتة من عبد شمس وهو من أجداد معاوية ، والأبيوردي ينتسب لها ، معجم الادباء ١٧ / ٢٣٤.
[2] الديوان: ١ / ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ .

فَآهــاً مِــنَ البَــرْقِ الــذي بَــزُّ نــاظِري كَـــراهُ ، وَأَسْـــرابُ الـــدُّموعِ هُمـــولُ

كشف البيت الشعري عن البعد النفسي لدى الشاعر ، ومدى ارتباطه بالعراق ، فرسم صورة فيها مبالغة لشدة الحزن ، وذكر بعض الألفاظ التي ساعدت في رسم صورته البصرية وهي البرق ، الهواء ، وكلمة (ناظري) تدل على البصر.

كما خصَّ بالذكر بعض الأماكن التي فيها المياه العذبة ، لحاجة في نفسه ، أو لأمور قد تتعلق بالمكان وساكنيه ، مثل نهر الفرات الذي ذكرّه بالعراق ، وحنينه إليه ، ونهر زَرْنروذ وهو نهر بأصفهان ومحطة مستقر الشاعر ، وقد ذكر حنينه الى ماءِ الصرّاةِ وهو مجتمع دجلة والفرات في بغداد وهو ماء الحياة بالنسبة للشاعر ، ((وقد فَرّق بينه وبين ماء زرنروذ كالفرق بين الحياة والموت ، وبين الألفة والاغتراب ، وانَّ حنين الركائب يرتدُّ في العمق الى إنتاج مفهوم دلالي يجسّدُ فضاء المسافة المكانية التي تنفصل الركائب عن أمنياتها))[1].

وقد انفتح النص على فضاءات الأسئلة الاستفهامية فقد عبَّر عن تفريغ إنفعالي أبرز فيه إحساسهِ ، وحضور الاستفهام وغياب الجواب في النص أضفى على النص دلالة التركيب ودقة المعنى ، وإثارة فكر المتلقي ، فقد جاء الاستفهام الاستنكاري في قوله (أشواقاً وأجواز المهامه بيننا) جَسَّد معنى الألم والتوجع لذات الشاعر ، لعدم انسجامه مع المحيط الجديد المتمثل في أصفهان ، ودخلت صيغة (هل) الاستفهامية ، إذ استفهم بها عن الجملة الفعلية ، وقام الشاعر بنقل دلالالتها إلى الانكار التي تفيد التهكم (هل أراني بغبطةٍ) فهو يتهكم من هذا الحال الذي عاشه الشاعر ، فقد أشار الى الحزن العميق في نفسه ؛ فالغبطة والسرور رحلت من قلب الشاعر لأنه غريب وبعيد عن أرض العراق.

وأشار إلى البعد المكاني ، والبعد الزماني ، والبعد الجمالي ، فالبعد المكاني المتمثل ببعده عن العراق وعن بغداد خاصة ، والبعد الزماني بدلالة لفظة الأيام ، وعصرٌ ، والليل ، والبعد الجمالي اذ اكتنز النص مجموعة من الصور البيانية منها التشبيه إذ شبه هواء العراق بأيام الهوى بأداة التشبيه الكاف ، وقَد شبه ذكراهم بالإنسان الذي يحتسي الخمر فيجعله يترنح ، إشارة الى فقدان الوعي والتوازن نتيجة البعد والشوق لهم.

---

[1] عراقيات الأبيوردي دراسة تحليلية / ٦٦ .

وقد وظف أسلوب التشبيه البليغ "الحصو باللؤلؤ وترابها بالمسك". وهي صورة بلاغية كشفت عن إبداع الشاعر في التصوير.

والمعنى نفسه ذكر حنينه الى العراق ، وتعلقه ببغداد وهو في طريقه إليها وقد أشار الى الإبل ونظرته السلبية إليها لا لشيء ، بل لكونها السبب في نقله الى بغداد، إذ قال: ـ البحر الرمل ـ

عَرَضَتْ ناشِئَةُ المُزْنِ لَنا ... فَاسْتَهَلَّتْ مِنْ أُصَيْحابِي دُموعُ
هَزَّهُمْ بِالمَرْجِ[1] ذِكْرى بابِلٍ ... أنَّها مَرْمىً على العِيسِ شَسُوعُ
فَتَجاذَبْنا على أَكْوارِها ... ذِكَراً تَنْقَدُّ مِنْهُنَّ الضُّلُوعُ
وَسَرى الطَّيْفُ فَلَمْ تَشْعُرْ بِهِ ... مُقَلٌ لَمْ يَسْرِ فيهِنَّ الهُجوعُ
يَسْتَعِيرُ المَاء مِنْ أَجْفانِها ... عَارِضٌ دَانِي الرَّبَابَيْنِ هَمُوعُ[2]
وَمِنَ النّارِ التي تُضْمِرُها ... أَضْلُعِي يَقْتَبِسُ البَرْقُ اللَّمُوعُ
لا سُقِيتُنَّ الحَيا مِنْ إبِلٍ ... تَذْرَعُ الأَرْضَ بِصَحْبِي وَتَبوعُ
فَارَقَتْ بَغْدانَ[3] وَالقَلْبُ بِها ... كَلِفٌ لا فَارَقَتْهُنَّ النُّسُوعُ[4]
وَبِنا شَوْقٌ إِلَيْها وَبِها ... مِثْلُهُ لا أَجْدَبَتْ مِنْها الرُّبُوعُ
وَغَدَتْ تَمْرِي بِها أَخْلافَها ... سُحُبٌ تَشْرَقُ مِنْهُنَّ الضُّرُوعُ
وَلَئِنْ غِبْنا فَكَمْ مِنْ ظَاعِنٍ ... وَلَهُ بَعْدَ تَنائِيهِ رُجُوعُ
إنّما نَحْنُ بُدورٌ وَكَذا ... شِيمَةُ البَدْرِ مَغِيبٌ وَطُلوعُ[5]

عكس النص مدى ارتباط الشاعر ببغداد ، فهو من الشعراء الذين قد مرَّ ذكرهم ممن تغنوا ببغداد في أشعارهم ، لأنها ديار عامرةٌ وربوعٌ خصبة وحاجتهم إليها أكثر من غيرها ،

---

[1] مرج الخطباء: موضع بخراسان ، معجم البلدان ٥ / ١١٨. المرج: الفضاء وأرض ذات كلأ ترعى فيها الدواب ، لسان العرب مادة مرج ٦ / ٤١٦٨ .
[2] الهموع: السيَّال ، لسان العرب ، مادة همع ، ٦ / ٤٧٠٠.
[3] بغداد بالدال غير المعجمة أفصح من الذال المعجمة ، وبغداد في جميع اللغات تذكر وتؤنث ، معجم البلدان ١/ ٥٤١.
[4] النسوع: جمع نسع وهو سير نشد به الرحال ، لسان العرب مادة نسع ٦ / ٤٤١ .
[5] الديوان: ٢ / ١٦ ، ٢٠ / وللاستزادة ، انظر الديوان ١ / ٣٤٥.

فبغداد كانت حاضرة في وجدان الشاعر ولم يرد قط مفارقتها وقد أمتد هذا الإحساس والحنين إليها ليس في اليقظة فحسب بل في المنام بدلالة قوله (وسرى الطيف) أي لم يره العاشق لأنه لم ينم ، والطيف هو ما يراه في المنام ، ومما تجدر الإشارة إليه إنَّ الشاعر لجأ الى النهج التقليدي في بناء القصيدة ، التي حملت بين دفتيها أحاسيسه وأشواقهِ ومشاعرهِ ، إذ بدأ من مطلعها مروراً بعرضها وانتهاءً بخاتمتها ، وقد التزم بعمود الشعر ، إذ لم يخرج عن النهج الكلاسيكي للشعر العربي الذي يجب على الشاعر الأخذ به ، وانمازت بعض المطالع ومنها هذا المطلع بالسهولة والرقة والوضوح واستقلالها عما بعدها ومناسبتها للمقام [١]، وانمازت ألفاظه بثراء لغوي كبير ، وغلبة الأفعال ((عرضت ، فاستهلت ، هزهم ، فتجاذبنا ، وسرى ، يستعير ، يقتبس ، فارقت ، ...)) .

وقد عانى الشاعر مرارة الغربة المكانية ، وأنَّ الإبل ما زالت في تعب من السير إذ غيبته عن بغداد ، وأنَّ الغربة مهما طالت ستنتهي يوماً ما ، فهو بحاجة ماسة الى شحذ الشعور النفسي وأمل الرجوع للاستئناس به في وحدته وغربته.

وفي ختام القصيدة شبه نفسه بالبدر ، وطبيعة البدر لا يظهر دائماً وإنما بوقت محدد فهو مغيب وطلوع ، وغربة الشاعر بين حضور وغياب ، وغروب وطلوع.

وقد أكد الشاعر بُعده وغربته بأبيات عدَّة ومنها قوله: - البحر الطويل -

فَقُلْتُ غُلامٌ مِنْ أُمَيَّةَ شَاحِبٌ بأرضكما نائي المزارِ غريبُ[٢]

كان لتنقل الشاعر الأبيوردي بين البلدان الأثر الأكبر في عشقه لطبيعة بعض الأماكن وولعه بها ، مما يزيد من مشاهداته ، ويعمق إدراكاته ، ويرتقي خياله ، وما تحويه هذه المناظر من سحر وجمال ، مما يثير الاحساس بالغربةِ [٣] ، إذ قال الشاعر: - البحر الطويل -

وَبَيدٍ عَلى بيدٍ طَوَيْتُ وَلَيْلَةٍ سَرَيتُ وتحتَ الرَّحل وجناءُ عيهمُ

---

[١] ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان البديع ، أحمد الهاشمي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٦٠م / ٤١٩ .

[٢] الديوان: ٢ / ٢٢ .

[٣] ينظر: الطبيعة في شعر الأبيوردي : دراسة موضوعية ، غنيم محمد عبد الحميد السيد ، جامعة الازهر ، ع٢٧ ، ج١ / ١٤٥ .

فقَـدَّتْ أَديـمَ الأرْضِ تَخْـتَلِسُ الخُطـا مُحـاذَرَةً أَنْ يَلْـثُمَ التُّـرْبَ مَنْسِـمُ[1]

وصف الشاعر ترحاله إذ هو مسافر في البيداء يقضي الليل كله في سفر وناقته السريعة تجوب معه وهو في حالة فراق الأحبة ، وهناك علاقة دلالية بين الذات وبين الناقة والمكان ، انتقاء الشاعر الناقة السريعة دلالة للوصول الى المكان المقصود ، وقد عكس ارتباط الذات بالمكان ويمكن تسميته بالمكان المحبب . فالناقة والجمل هي معادل موضوعي لذات الشاعر والبديل النفسي لها ، فهو عندما فخر بناقته السريعة فكأنما يفخر بذاته القادرة على اجتياز المصاعب والأهوال ـ وفي موضع آخر شبه نفسه بذئب البادية لمعرفته بشعابها ومسالكها فهو لا يضل فيها ، إذ قال: ـ البحر الطويل ـ

ولا خِفْـتُ أَنْ يَسْـتَغْوِيَ البِيـدُ نـاظِري فَـإنّي إذا مـا اغْبـرَّتِ الأرضُ ذِيبُهـا[2]

جسَّد المكان حقيقة مهمة إذ يرمز لقضايا وأبعاد فكرية ، فالصحراء رمز للمجابهة والتحدي بما تحمله من مخاطر ، وقد تكون منفذاً تعبيرياً يلوذ إليه الشاعر حين ضاقت أمامه الآفاق وانغلقت السبل [3].

فهنا غربة مكانية نفسية عالجها الشاعر بشجاعته وقدرته على مواجهة مخاطر الصحراء.

اتخذ الشاعر من بعض الحيوانات ومنها الحمامة رمزاً للتعبير عن آلمه وحنينه وأحزانه إذ قال: ـ البحر الوافر ـ

وحمَّـــاءِ العـــلاطِ إذا تغنَّـــتْ فكـــمْ طـــربٍ يخالطـــهُ أنـــينُ
وَأُرْعِيهـــا مَســـامِعَ لَـــمْ يُمِلْهـــا إلـــى نَغَماتِهـــا إلا الـــرَّنينُ
وبـــينَ جـــوانحي ممَّـــا أعـــاني تبـــاريحٌ يلقِّحهـــا الحنـــينُ
بَكَـــتْ، وَجُفُونُهـــا مـــا صَـــافَحَتْها دُمُـــوعٌ، وَالغَـــرامُ بِهـــا يَبِـــينُ
ولـــي طـــرفٌ ألـــحَّ عليـــهِ دمـــعٌ تتـــابعَ فَيضَـــهُ فَمَـــنِ الحـــزينُ[4] **؟**

---

[1] الديوان: ١ / ٢٠٢ .
[2] الديوان: ١ / ٥٠٢.
[3] ينظر: الرحلة في أدب أبي العلاء المعري ، دراسة وتحليل ، ماجد حميد فرج ، رسالة ماجستير ، جامعة المستنصرية ، كلية التربية ، اللغة العربية ، ١٩٩٩م ، ٧٠ .
[4] الديوان: ٢ / ٤٦ .

رسم الشاعر في النص الشعري صورة الحمام فيما بينه وبين الحمام من تشابه وجداني ومشاركة في الأحاسيس ، فقد عقد مقارنة بينهما لبيان مدى التأثر والحزن فكلاهما يبكي ويتألم ، ولكن الشاعر أشد تأثراً من الحمام ، ودليله على ذلك كثرة دموعه أما الحمام فهو يبكي بغير دموع ، وتمثل هذه المقارنة أصدق تجربة ، وأقوى عاطفة من غيرها.

واختار الشاعر الحمام ؛ لإنَّ الحمام يعشق المكان الطيب في الزمان الطيب ، وكذلك فهي رمز للانتقال والهجرة من مكان لآخر.

فعلاقة الشاعر بالمكان علاقة وطيدة إذ اتخذ الشاعر من المكان مسرحاً عامراً بالشخوص والرموز واستنطاقها عبر منطلق يعمق فيه المكان بالمكان والموروث الحضاري والجمالي والمعرفي.

الحنين الى نجد

ارتبط الحنين بشكل أو بآخر بالمكان عامةً ، وبالغربة خاصة ، فالحنين هو حب سرمدي خالد على امتداد العصور ، ناتجٌ عن قوة إحساس الإنسان إتجاه أرضه ، فهي ظاهرة عاطفية ، ملازمة للإنسان في العصور كافة ، إذ زادت شعوره بالألم و وحشة لابتعاده عن موطنه وأهله[١].

فالحنين هو الشوق وتوقان النفس، حتى يقال حنت الإبل: نزعت الى أوطانها أو الى أولادها [٢] ، فاذا كانت الإبل تحن فما بالك بالإنسان الذي هو أحق بالحنين منها.

والحنين هو " مصطلح أدبي طغى على الشعراء الذين ابتعدوا عن وطنهم فاعتراهم الشوق إليه ؛ فكانوا يتغنون به وبجماله وهم يُعبرون عنه ، ولا يكون شعر الحنين الى الأوطان إذا كان المرء في وطنه ، إلاَّ إذا كان في غربة نفسية " [٣].

فالحنين هو انتماء ورغبة في العودة إليه ، وربما لا يعني الحنين الى الوطن أو الأرض بذاتها بقدر ما هو حنين الى الكينونة البشرية التي تقطنها من أهل وأصحاب وأحبة إذ لا يختص بالوطن وحده ، وإنما يكشف عن الإحساس الإنساني الذي يكنه الإنسان تجاه وطنه وأحبته في صفات موضوعية مميزة [٤] ، وقد إنماز شعر الحنين بالعاطفة الصادقة ، وسهولة الألفاظ ،

---

[١] ينظر: الحنين الى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي ، محمد إبراهيم حور : ٣٩.
[٢] لسان العرب مادة حن ، ٢ / ١٠٢٩ .
[٣] المعجم المفصل في الأدب ، التونجي ، ١٩٩١م : ١ / ٣٨٥.
[٤] ينظر: الغربة والحنين في الشعر الأندلسي ، أحمد حاجم محمد ، رسالة ماجستير كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٣ / ١١ .

والأحاسيس الحزينة ، إذ انها تجربة شعرية مرَّ بها الشاعر معبراً عن شعوره بالفقد ، وإحساسه بالغربة والاغتراب مترجماً ذلك بأشعاره الرقيقة التي تُعدُّ جزءاً مقتطعاً من نفس صاحبها.

وقد عبَّر عنها في أشعار الغربة المكانية والزمانية ، إذ كان يحن الى الوطن والأهل والأحبة ، قال: ـ البحر البسيط ـ

يا ريمُ مالِيَ إلاّ بالهَوى شُغُلُ فمنيةُ النَّفسِ حيثُ الأعينُ النُّجلُ

لولاكَ ما غَرِقَتْ في الدَّمعِ إذْ أرقتْ مدامعٌ لمْ يُغازِلها الكرى هُطُلُ

وبالفؤادِ أناةٌ حينَ أجذبهُ إلى السُّلوِّ ولكنْ أدمعي عجلُ

فَمَنْ لِصَبٍّ بَكى شَوْقاً إلى بَلَدٍ أقمتُ فيهِ وسُدَّتْ دونهُ السُّبلُ

إذا الصَّبا نسمتْ فاقرأ تحيَّتهُ فَما لَهُ غَيْرُ أَنْفاسِ الصَّبا رُسُلُ[1]

مثَّلَ شعره صورة صادقة لشعر الحنين الى الوطن ، وشكا البعد والغربة ، ويبقى الإنسان مشدوداً الى الأرض الأولى التي نشأ بها ، لذلك نرى الشاعر حزيناً باكياً شوقاً الى تلك البلاد التي ارتحل عنها.

وفي المعنى نفسه قال: ـ البحر البسيط ـ

ولوعةٍ بتُّ أُخفيها وأُظهِرُها بمنزِلِ الحيِّ بَينَ الضّالِ والسَّلمِ[2]

وَالدَّمعُ يَغْلِبُني طَوْراً وَأَغلِبُهُ وَمَنْ يُطيقُ غِلابَ المَدامعِ السَّجمِ

حتّى تبيَّنَ صَحبي ما اتُّهِمتُ بهِ فقلتُ للطَّرفِ هذا موضعُ التُّهمِ

ظَلَلْتَ تُذْري دُموعاً ما يُنَهْنِهُها عذلُ الصَّديقِ فسرّي غيرُ مكتتمِ

---

(1) الديوان: ٢ / ١١٨ .

(2) الضال والسلم: شجرتان من أشجار البادية ، تاج العروس ، مرتضى الزبيدي ، ٢٤ / ٢٠٧ .

هَبْنـــي أُغَيِّظُهـــا مَـــالَمْ تُشَـــبْ بِـــدَمٍ فكيـــفَ أســـترها ممزوجـــةً بـــدمِ[1]

حنَّ الشاعر الى الأماكن التي فيها المحبوبة ، وذكرياته الجميلة في ذاك المكان ، فالمكان مكان محبوب هنا.

كما جاء الشاعر بالوزن الشعري الذي يناسب عاطفة الشاعر . وردت في الديوان أشعار الحنين الى نجد إذ أفرد لها الشاعر الأبيوردي القسم الثاني من الديوان وسمّاه (النجديات).

والنجديات مقطعات غزلية نظمها الأبيوردي استجابة لرغبة صديقين له ، هما ، أبو حنش هذيماً العليمي من كلب بن وبرة، وأبو المغوار سعد المضري، من جفنة بن خزيمة [2].

وبما أنَّ النجديات مقطعات غزلية ، لذلك فهي تشتمل على الشوق والحب والفراق وعذابات البعد ، والتبريح للجسد أي الجهد والمشقة.

ولم يكن الشاعر هو أول من قال في هذا الغرض فقد تأثر بالشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) فقد راقت له طريقته في مجازياته ونجدياته ففيها حنين يشبه حنين الصوفي وشوقه الى الحجاز حتى قيل أن الأبيوردي تلميذ المتنبي في الفخر وتلميذ الشريف الرضي في الغزل [3] ، ومن يتأمل في نجديات الأبيوردي يجد أنها لا تختلف عنها ، إذ تغنى الشاعر بالأماكن الحجازية والنجدية ، وهي قوة ترتبط بوجدان الشاعر ارتباطاً حقيقياً [4].

ولعله لم يمر بهذه الأماكن ، وأنما كان محاكياً لغيره من الشعراء القدماء.

وقد صرَّح بذلك تصريحاً حين قال في مقدمة نجدياته : ((ثم أن صاحبي ، ..... كانا يرتاحان للنسيب الرقيق ، وينظمهما وطالبي اللهو يسلكُ الطريق ..... فسألاني أن أنظم في

---

[1] الديوان: ٢ / ١٩٧ .

[2] ينظر: قراءة نقدية في نجديات الأبيوردي ، عبد اللطيف محمد السيد الحديدي ، وزارة المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٧/ ٢٥ . لم أجد ترجمة وافية لأبي حنش هذيماً ، وأبي المغوار سعد المضري ، ولكن قبيلة كلب بن وبرة من القبائل الكبيرة المشهورة من قبائل العرب وهي ذات بطون كبيرة كثيرة وكان لهم إمارة في صقلية أستمرت ٣٣٦ الى ٤٣١هـ ، الاعلام للزركلي ٥ / ٢٣٠ .

[3] الحنين والغربة في الشعر العربي ، يحيى الجبوري ، ١٩٣ .

[4] ينظر: قراءة نقدية في نجديات الأبيوردي ، عبد اللطيف محمد السيد الحديدي ، ٣٦ ، ٣٧ .

ذلك ما انتهج به هذه المسالك ، ..... ولم أجد بداً من تحقيق آمالهما ، وهذه ألف بيت في النسيب ، وسَمْناها بالنجديات ، وهما أول من نشرها من الرَّواة [١].

ومن هذا المنطلق هناك أراء عِدَّة بشأن زيارة الشاعر الأبيوردي لنجد من عدمها منها:

نذكر رأي ممدوح حقي الذي قال أنه أقام في نجد وعاش قصة حب حقيقية [٢] ، وفي موضع آخر قال أنه تعلق بنجد من أجل حبيبته النجدية بدلالة قوله : - البحر الوافر -

أُحِـــبُ لحبِّهـــا تَلَعـــاتِ نَجْـــدٍ ومـــا شَـــغَفي بهـــا لَـــولا هَواهـــا[٣] ؟

وأما الأستاذ محمد بن حمدان قال ((ومرَّ الأبيوردي على نجد ومكث بها زمناً وذكرها في شعره أكثر من أربعين مرة .....)) [٤].

أما د. محمد عبد الرحمن الربيع فيقول أنه قد نظم النجديات لبيان مقدرته الشعرية [٥]، ويستدل بعدَّة أدلة منها:

ما جاء في البحث عند حديثه عن نجد وهو أنَّ سبب نظمها استجابة لطلب من صديقيه ، وأنَّ نظمه لها جاء بعد العراقيات وهذا يدل على أنها ليست من شعر اللهو والشباب ، بل قد كان نظمها بعد الأربعين ، وأنّ الشاعر كان لديه لكنة استناداً لترجمة أوردها ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) ، ولو عاش في نجد مدة طويلة لزالت تلك اللكنة.

ومن هذا المنطلق فإنّ د. محمد عبد الرحمن يذهب الى أن الشاعر لم يقم بنجد وأنما عشقها وتغنى بجمالها تخيلاً ، مما جعله يحن الى موطن الشعر ومنبع الشعراء وقدرته الشعرية التي أتاحت له نظم هذا الشعر الجميل [٦].

وسواء زار الشاعر نجد أم لم يزرها ، سنقوم بدراسة هذه الأشعار لما تتسم به من شوق وحنين وغربة . فهي قصائد قصار قياساً لقصائد المديح أو غيرها.

---

[١] الديوان: ٢ / ١٧٠ – ١٧١ .
[٢] الأبيوردي : ممدوح حقي : ١٠٢ .
[٣] الديوان: ٢ / ٢٠٣ .
[٤] مع الأبيوردي في نجدياته ، محمد عبد الرحمن الربيع ، مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة محمد بن سعود – السعودية ، ١٠٤٢هـ - ١٩٨٠م / ٣٩٣ .
[٥] م . ن : ٣٩٣.
[٦] ينظر: م . ن ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

فمن أول النجديات قال الشاعر : ـ البحر الطويل ـ

خليلـــيَّ إنَّ الحـــبَّ مـــا تَعرِفانَـــهُ فـــلا تُنكِـرا أنَّ الحنـــينَ مـــنَ الوجـــدِ
أَحِـــنُّ وَلِلأَنْضـــاءِ[1] بِـــالْغَوْرِ[2] حَنَّـــةٌ إِذَا ذَكَـــرَتْ أَوْطانَهـــا بِرُبـــا نَجِـــدِ[3]

عبّر الشاعر عن حبه وأشواقه ، وحنينه الممزوج بالألم والحرقة بنصوص قصار لا تتعدى بعضها الخمسة أبيات ، للتعبير عن الحالة الشعورية والعاطفية التي تتسم بها هذه القصائد.

قال الشاعر: ـ البحر البسيط ـ

أرضَ العُـــذيبِ أَمـــا تنفـــكُّ بارقـــةٌ تَسـمو بطرفـي إلـى الزَّيَّـانِ أوْ حضَـنِ
أصـبو إلـــى أرضِ نَجـدٍ وهـيَ نازحـةٌ والقلـبُ مُشـتَملٌ منّـي علـى الحـزنِ
وأســـألُ الرَّكـــبَ عنهـــا والـــدُّموعُ دمٌ بِنـــاظرٍ لـــمْ يَخـطْ جَفْنـا علـى وَسَـنِ
وإنْ سرى البـرقُ مـنْ تلقائهـا غرضـتْ عيسـي بـذي سـلمٍ مـنْ مبـركٍ خشـنِ
والـــرّيحُ إنْ نَسَـــمَتْ عُلْويّـــة نَضَـــحَتْ بالـــدمع حنَّـــةَ عُلْـــوِيٍّ إلـــى الـــوَطَنِ
فهـــلْ ســـبيلٌ إلـــى نَجـــدٍ وســـاكنهِ يهـزُّ مـــنْ ألـفَ المصـرينِ للظَّعـنِ[4]

دلَّت الأبيات الشعرية دلالة واضحة على مشاعر الشوق والحنين الى أرض نجد وهي بعيدة عنه فهي غائبة عنده ولكنها حاضرة في قلبه ، ثم اتخذ الشاعر من الدموع كناية عن كثرة البكاء ، والألم ، وهي كناية عن موصوف وصفه الشاعر فهو لم يطبق له جفن ، وهي كناية عن حنينه لنجد ولساكنيه ، وفي موضع آخر قال: ـ البحر الوافر ـ

أقـــولُ لصـــاحبي والوَجـــدُ يمـــري بـــوجرةَ أدمعـــاً تطـــأُ الجُفونـــا
أَقِـــلَّ مِـــنَ البُكـــاءِ فَـــإنَّ نِضْـــوِي يكـــادُ الشَّـــوقُ يُورِثُـــهُ الجُنونـــا

---

[1] الانضاء: جمع نضو وهي الناقة المهزولة ، لسان العرب مادة نضا ٦ / ٤٥٧.
[2] الغور: اسم موضع ، وهي تهامة وما يلي اليمن ، معجم البلدان ٤ / ٢١٦.
[3] الديوان: ٢ / ١٧٢ .
[4] الديوان: ٢ / ٢٣٦ .

فأرَّقتنـــــا قُبيـــــلَ الفجـــــرِ وَرقٌ بهـــا تقـــري مســـامِعنا لحُونـــا
وبـــتُّ وبـــاتَ منتـــزعينِ ممّـــا يُطيـــلُ هَـــوى سُـــعادَ بِـــهِ الحَنينـــا
ومـــنْ شـــوقٍ بكـــينَ علـــى فقيـــدٍ فَـــإنَّ الشَّـــوْقَ يَسْـــتَبْكي الحَزينـــا
وأصـدقنا هـوىً مـنْ كـانَ يـذري الـ ـدُمـــوعَ فَأَيُّنـــا أَنْـــدى عُيونـــا؟
وَمـــا تَـــذْري الحَمـــائِمُ أَيُّ شَـــيْءٍ علـــى الأثـــلاتِ يلهمنـــا الرَّنينـــا
ونـــوحي مـــا بـــدا لـــكِ أنْ تنـــوحي وحنّـــي مـــا اســـتطعتِ وشـــوِّقينا
فقـــدْ ذكَّرتنـــا شـــجناً قـــديماً وَأيَّ هـــوًى علـــى إِضَـــمٍ نَسِـــينا
أننســـى لا ومـــنْ حجّـــتْ قـــريشٌ بَنِيَّتَـــهُ، الحَبيـــبَ وَتَـــذْكُرِينا[1]

لقد عبَّر الشاعر بصدق مشاعره ورقة أسلوبه ، نابعاً من أحساسه بالحنين والشوق جراء تذكره تلك الأماكن وقد أشار اليها بقوله " ومن حَجّت قريشٌ " وهي إشارة الى الكعبة الشريفة ، أثار الشاعر جواً نفسياً واحداً مداره البكاء على المكان والزمن ، وقد لجأ الشاعر في المقطوعة الشعرية الى الرمز والموسيقى الشعرية ، للإيحاء وإثارة وجدان المتلقي وقد أشار الى بكاء الحمام فعلامَ بكاءها ونوحها ؟ انها تبكي على فقد ألفها ، وهو إشارة الى نفسه وروحه اللذين يبكيان فقدانهما مصدرهما النقي ، والطير والحمام وسيلة ربط بين العلو والأرض ، وروحه تتطلع الى العلو ، وعالمه الأرضي يجذبها إليه ولا يوافق على فقدها ، ولذا فهي تبكي. واتخذ من بكائها وسيلة يحن بها الى نجد.

واللافت للنظر أنَّ الشاعر قد رمز الى المرأة في نجدياته ، فكان حضور المرأة نفسياً وليس ذاتياً وحضورها كمقدمة غزلية " يهيئ القارئ والسامع للإصغاء الى ما بعد الغزل لانه قريب من النفوس ، لائط بالقلوب ، وهو استدراج لما بعده ، فضلاً عما تحمله هذه البنية من انعكاسات نفسية لها صلة مباشرة بالشاعر وانفعالاته النفسية " [2].

---

[1] الديوان: ٢ / ٢٦٨ – ٢٦٩ .
[2] ملامح الرمز في الغزل العربي القديم ، د. حسن جبار محمد شمسي ، ط ١ ، دار السياب ، لندن ،

إذ قال الشاعر: ـ البحر البسيط ـ

يـــاعَبْرَتي هـــذِهِ الأطْـــلالُ وَالـــدِّمَنُ فمـا انتظـارُكِ؟ سِـيلي فهـيَ لـي وطـنُ

لـمْ ألـقَ قبـلَ ابنـةِ السَّـعديّ لـي سـكناً يكـــادُ يلفـــظُ روحـــي بعـــدَهُ البَـــدَنُ

تَلَفَّـتَ القَلْـبُ نَحْـوَ الرَّكْـبِ حـينَ ثَنـى عَـنِ التَّأَمُّـلِ طَرْفِـي دَمْعِـيَ الهَـتِنُ[1]

وحضور المرأة في نجدياته تقليديٌ ومتخيلٌ، وليس لها وجود حقيقي في حياته، وقد كثرت في شعره أسماء عدّة ، ولكنَّها كانت مألوفة في مجال الغزل لدى الشعراء والنقاد على السواء [2].

ارتبط غرض الحنين ضمن مقطعات الغزلية ولكن لم يكن ظاهرة مستقلة أنما كان مكملاً لعالم الغزل ، وكان لشعر الحنين علاقة وثيقة بشعر الغربة ، فالحنين الى الأهل والأحبة؛ ومقطعات الحنين الى نجد سواء كان واقعاً أو محاكاة ، من موضوعات الشعر العربي ، إذ عَبَّر عن غربة الشاعر ، فكان مرآة لنفسه فعبَّر عن واقعه وبيئته .

كما ارتبط الحنين بالمكان والمرأة التي أتخذها رمزاً معيناً على عادة الشعراء القدامى في بثِّ هموم الشاعر الذاتية.

٢٠٠٨م ، ٢٤١ .

[1] الديوان: ٢ / ٢٧٨ .

[2] ينظر: قراءة نقدية في نجديات الأبيوردي ، عبد اللطيف محمد السيد الحديدي : ٧٤ .

المبحث الثاني
الغربة الزمانية

الغربة الزمانية:

اتسع مفهوم الزمان نظراً لتنوع استعماله واتساع معانيه ، وتباين المذاهب القائمة على دراسته.

وقد أطلق على معنى الزمان لغوياً : اسم لمطلق الوقت [١]، أما عند الفلاسفة فمعناه : أَنَّ الزمان مظهر من مظاهر الكون [٢] ، ويمكن القول إنَّ محاولة الكشف عن مفهوم الزمان في الحياة موكولة الى وظيفة الادب ، إذ اكتسب الزمان بعداً فنياً ينطوي على قيمة ومعنى ، وقد أُطلق عليه تسميات عدَّة : فمنهم من أطلق عليه الزمن الذاتي [٣] ، "والزمن الاجتماعي العام" [٤] أي الوقت ماضياً وحاضراً ومستقبلاً ، أو يقال "إنساني" ، وأحياناً "نفسي" [٥] ، بوصفه ظاهرة اجتماعية تنبع من الواقع [٦] ، وكونه أحد أهم عناصر التجربة الإنسانية [٧] .

ومما تجدر الإشارة إليه ، إنَّ تحليل الزمان فنياً وفكرياً يُعبر عن عمق ارتباط هذا الظرف الطبيعي بالمكان ، فعلاقة الزمان بالمكان علاقة وثيقة ، فلا ينفصل أحدهما عن الآخر ، لأنهما مكملان لبعضهما ، فتكون التجربة البشرية في الأدب ممكنة ومقصورة ، لأن جلَّ أفعالنا تقع في مكان وزمان [٨] .

فالمكان يحتوي على الزمن ويجسد البعد الإنساني للواقع ، لأَنَّه جزء من تكوينه ، فبقي المكان لصيقاً بالتأريخ والحضارة ، وشاهداً حياً على التغيير والتطور ، وسجلاً أميناً للأحداث والمواقف والقيم [٩] .

---

[١] يُنظر: لسان العرب ، مادة زمن ، ١٨٦٧/٣ .
[٢] ينظر: الزمان الوجودي، عبد الرحمن بدوي ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٥٥ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ١٠٢ ، الزمان والمكان في شعر أبي الطيب ، حيدر لازم مطلك ، دار صفاء للطباعة ، عمان ، ٢٠٠٩م ط ١ ، ٢٢.
[٣] ينظر: الزمن في الأدب ، ميرهوف ، ترجمة أسعد رزوق ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ١٠ ، ينظر: التفسير النفسي للأدب.
[٤] الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ، عبد الإله الصائغ (بغداد ١٩٨٢) / ٦٢ .
[٥] الزمن في الادب / ١٠ – ١١ ، التفسير النفسي للآدب ، عز الدين إسماعيل (ط٤ ، القاهرة ١٩٨٤) / ٥٠ .
[٦] ينظر: مفهوم الزمن ودلالاته ، عبد الصمد زايد (تونس ١٩٨٨) / ١٩ .
[٧] ينظر: الزمن في الادب ٧ ، ١٠ ، ٣٤ ، الزمان والمكان في شعر أبي الطيب ، حيدر لازم مطلك ، ٢٣
[٨] ينظر: الأزمنة والامكنة ، المرزوقي ، ط ١ ، حيدر آباد الدكن ١٣٣٢هـ ، ١ / ١٣٩ ، الزمان والمكان في شعر أبي الطيب ، حيدر لازم مطلك ، ٢٣
[٩] إشكالية المكان في النص الادبي ، ياسين النصير ، بغداد ١٩٨٦ / ١٥٩ .

ويؤكد هذا القول ، د. محمد بلوحي " يصعب الفصل بين المكان والزمان اذا تناولت أي نص ابداعي ؛ وذلك لامتزاجهما معاً في صنع الموقف داخل العمل الإبداعي ، وقد يستعير الشعراء الألفاظ الدالة على الزمان للتعبير عن المكان ، فالتجربة الفنية يتكون فيها الموقف حسب طبيعة المكان والزمان وتشابكهما معاً ومع العناصر الأخرى المكونة للعمل الإبداعي من لغة ومضمون وموقف وغيرها من العناصر " [1].

أما من حيث الغربة المكانية والغربة الزمانية وهل يمكن التفريق بينهما ؟

نجيب عن هذا السؤال بـ ((نعم)) ، وذلك لأنَّ المكان يمكن استعادته بينما الزمان لا يمكن ، وهذا ما نلحظه في تجربة الشاعر الأبيوردي ، إذ كان يدفع درء الغربة بانتقاله من مكان الى مكان آخر ، ودفن في نهاية المطاف في أصفهان ، بينما غربته الزمانية استمرت لحين موته ، فظلَّ حنينه الى الماضي حيث الصبا والشباب مستمراً وحاضراً في شعره ، إذ جسد مكان الذكرى رؤيته في الحياة فعاش الشاعر صراعه الذاتي بينه وبين الواقع في الزمن الحاضر.

وقد جسّد هذا المعنى قوله: ـ البحر البسيط ـ

فمـــا الثَّـــواءُ بـــأرضٍ للمقـــيم بهـــا إلـى الهُـوَيْنى حَنـينُ الوُلَّـهِ[2] السُّـلُبِ[3]

أَقْـذى الزَّمـــانُ بِهـــا شِـــرْبي وَرَنَّقَـــهُ[4] مـاذا تريـدُ اللَّيـالي مـنْ فتـىً غـربِ[5]

فالشاعر هنا يشكو غربته المكانية في الأرض المقيم فيها وعدم رغبته بها ويشعر بالحيرة والسلب وزاوج هذا المعنى بالزمان الذي كدّر شربه ثم وظف الأسلوب الاستفهامي بقوله ماذا تريد الليالي لبيان وحدته وغربته.

تجلت الغربة الزمانية في شعر الأبيوردي وموقفه منها إيجاباً وسلباً بحسب ما جاء في النصوص الشعرية المتمثلة للظاهرة ، وتجلت غربته عند حديثه عن الزمن الحاضر ⟸ الشيخوخة وحنينه الى الزمن الماضي ⟹ الشباب.

---

[1] آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ، محمد بلوحي ، بحث في تجليات القراءات السياقية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٤ / ٩٩ .

[2] الوله : الحزن ، وقيل ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد ، ينظر: لسان العرب مادة وله ٦ / ٤٩١٩ .

[3] السلب : جمع سلوب وهي الناقة التي سلب ولدها ، ينظر: لسان العرب مادة سلب ٣ / ٢٠٥١ .

[4] رنق الماء: كدَّره ، لسان العرب مادة رنق ٣ / ١٧٤٤ .

[5] الديوان: ٢ / ٣٢ .

ويمكن القول إنَّ نظرة الشاعر الى الزمان جاءت بحسب خبرته الذاتية والأحساس بقوة التغيير التي يحدثها الزمن الخارجي ، فولدت لديه الشعور بالغربة وكذلك الاغتراب إذ شعر أنه مغترب عن نفسه وعن الزمن.

فالغربة الزمانية هي حالة نفسية تُصيب الإنسان وهو يعيش داخل الوطن بين أهله وذويه ومن أسبابها عدم إهتمام الناس والحكام بمكانة الشاعر ، وفقدان المكانة والمنزلة التي يستحقها [١] . وقد يتجسَّد الزمن بمظاهر عدَّة ، وهي الدهر ، الشيب ، الطلل ، الليل ، المرأة ، الموت .

عبّر الشعراء عن همومهم وأحزانهم وكانت مواقفهم متباينة اتجاه الزمن ، فنجده حيناً محبباً الى النفس ومتصالحاً معها ، عند ذكر المرأة والشباب ، وحيناً آخر عابساً ومتخاصماً ؛ ويعود ذلك حسب تجربة الشاعر الذاتية أو الفردية والمجتمعية [٢] .

ومن تمثلات غربة الشاعر الزمانية هي المرأة ، لم تكن المرأة إلاَّ رمزاً يستهل بها الشاعر قصائد المديح ، أو تحقيق لرغبة دفينة في ذاته ، فلم يكن ذكرها على سبيل الحقيقة ، فقد حملت بُعداً فكرياً لمعنى أوسع ، ولعل هذا ما يفسّر لنا سبب عدم ذكر امرأة بعينها ، بل نجد أسماء مختلفة في شعره [٣] ، فلم يكن ذكرها يعبر عن غزلٍ صرف أو رغبة إنسانية طبيعية فهو يذكر ((ظمياء وسلمى ، وأميمة ، وأم سالم ، والمالكية ، وهند ، وأم مالك ، وعلوة ، والعامرية ، وابنة سعدي ، .....)) ولعل ذكرها كان قناعاً لمرمىً بعيد إذ إنّ " للشعراء أسماء تُحفَّ على ألسنتهم وتحلو في أفواههم ، فهم كثيراً ما يأتون بها زوراً ، نحو ليلى ، هند " [٤]

أو قد يكون ذكر المرأة نسبة للماضي الجميل الذي تشبث به ، ولا يمكن الاستغناء عنه ومنها قوله: ـ البحر الطويل ـ

---

[١] الحنين والغربة في شعر ابن الساعاتي ، حميد رضا ، زهرة ابي ، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة ـ النجف الاشرف ، العدد ٤١ ، مجلد ١ ، ١٩٦٧ / ٤٨٩ .

[٢] ينظر: تجليات الزمن في عراقيات الأبيوردي دراسة نصية ، د. علي محمود الطوالبة – ود. نواف عبد الكريم غرايبة ، جامعة البلقاء التطبيقية ، الأردن ، المجلد ٣ ، ع٧ ، جوبلية ٢٠١٨ / ٥٧ .

[٣] ينظر: المكان في شعر الشريف الرضي ، زينب عبدد الكريم حمزة / ٩٤ .

[٤] العمدة : القيرواني : ٢ / ١٢١ ، ١٢٢ .

سَـقى اللّـه عَصْـراً قَصَّـرَ اللَّهْـوُ طُولَـهُ بِهـــا، وَعَلَينـــا للِشَّـــبيبةِ رَيعـــانُ
يَهَـــشُّ لِـــذِكراهُ الفُـــؤادُ، وَلَلَهـــوى تَبـــاريحُ لا يُصـــغي إلـــيهنّ سُـــلوانُ
وَتَصْـبو إلـى ذاكَ الزَّمـانِ، فَقَـد مضَـى حَميـداً وَذُمَّـتْ بَعْـدَ رامَـةَ أَزْمـانُ
إذِ العَـيْش غـضٌّ ذُلِّلَـتْ لـي قُطوفُـهُ وَفَـوْقَ نِجـادِي لِلـذَّوائِبِ قِنْـوانُ[1]

فهو يَحنُّ ويتشوق الى مرحلة معينة ، وهي أيام اللهو ، والى المكان الذي فيه تلك الذكريات (رامة) ويرجو عودتها ، والزمن هنا قصير ، فما هي إلاَّ لحظات تمر عليه بسعادة وهناء ، والزمن هنا نفسي ، لذا يمر بسرعة ، والأثر الإيجابي له " حميداً " في انعكاس للحظات الجميلة التي يحسُّ بها الشاعر ، وجاء الزمن به مفرداً ومحموداً محبباً الى النفس ، أما بعد " رامة " فكان الزمن نفسياً أيضاً ، ولكن يتعرض له بالذم فهو زمن طويل ، لأن مرحلة الشباب والصبا قد انقضت ، وشعر بحرارة العيش ، فالإحساس بالزمن على قدر المعاناة التي مرَّ بها الشاعر ، والشعور بغربة الزمن الحاضر ، جعله يرتد بما يشبه الاسترجاع الى الماضي ، ليتمكن من العيش في الزمن الحاضر ، قال: ـ البحر البسيط ـ

واهـــاً لِعَصْـــرٍ يُعَنّينـــا تَـــذَكُّرُهُ مَضـى وفـي الخَطْـوِ مِـن أيامِـهِ عَجَـلُ
بِمَنْـــزِلٍ حَـــلَّ فيـــهِ الغَيْـــثُ حُبْوَتَـــهُ حَتَّـــى اســـتَهَلَّ عَليـــهِ عـــارِضٌ هَطِـــلُ
أَهـدَى لنـا صِـحَّةً تَقْـوى النُّفـوسُ بِهـا نَســـيمُهُ، وَأَثـــارَتْ ضَـــعفَهُ العِلَـــلُ[2]

فهنا تحسر واضح على ذلك الزمن الماضي الذي مرَّ سريعاً ؛ والحنين الى متعلقات الماضي فتقوى النفوس بها في اللحظة الحاضرة بذكر النسائم التي تهب من ديار المحبوبة " محاولة للانعتاق من وطأة الحاضر ، وهو غربة عن الواقع ، فحين يشعر المرء أنَّ حياته قد قست عليه ، فإنّه يجد متنفساً بالهروب منها الى الماضي " [3] .

---

[1] الديوان: ١ / ٢٤٨ – ٢٤٩ .
[2] الديوان: ١ / ٢٨٧ .
[3] الغربة في الشعر الجاهلي ، عبد الرزاق الخشروم ، منشورات أتحاد الكتاب العرب ، ١٩٨٢ / ٢٤١ .

وقد عانى الشاعر من واقعه ولم تكن معاناته مع الذات المتعالية فحسب بل مع المجتمع والزمن الذي لم يعرف قدره.

فالتوجه الى الغزل وذكر المحبوبة ، كان سبيل الشاعر الأبيوردي للتخفيف من ألم الغربة الزمانية إذ قال: – البحر الطويل –

وَقَدْ بَخِلَتْ سُعْدى فلا الطَّيْفُ طارِقٌ ... ولَيسَ بِمَرْدودٍ إلَيَّ سَلامي
مِنَ الهِيفِ تَسْتَعْدي على لَحظِها المَها ... وَتَسْلُبُ خُوطَ البانِ حُسْنَ قَوامِ
هَوىً حالَ صَرْفُ الدَّهرِ بيني وَبَينَهُ ... أَقُدُّ لَهُ الأَنفاسَ وَهيَ دَوامِ
وَغادَرَني نِضْوَ الهُمومِ ، يُثيرُها ... غِناءُ حَمامٍ أَو بُكاءُ غَمامِ
وَأَشْتاقُ أَيَّامَ العَقيقِ وَأَنثَني ... بِأَرْبَعَةٍ مِنْ ذِكْرِهِنَّ سِجامِ
وَهَل أَتناسَى العَيشَ غَضاً كَأَنَّهُ ... أُعيرَ اخضِراراً في عِذارِ غُلامِ
بِأَرضٍ كَأَنَّ الرَّوضَ في جَنَباتِها ... يَجُرُّ ذُيولَ العَصْبِ فَوْقَ أَكامِ
إِذا صافَحَتْ غُدْرانَهُ الرِّيحُ خِلْتَها ... تُدَرِّجُ أَثْراً في غِرارِ حُسامِ
وَنامَ حَوالَيْها العَرارُ كَأَنَّها ... تُديرُ على النُّوّارِ كَأْسَ مُدامِ
وَمِنْ أَريحيّاتي إذا اقتادَني الهَوى ... أَفُضُّ وإِنْ ساءَ العَذولُ لِجامي
وَمازَالَتِ الأَيّامُ تُغري بِنا النَّوى ... وَتَسْحَبُ ذَيْلَيْ شِرَّةٍ وَعُرامِ
أَراها على سُعْدى غَيارى كَأَنَّما ... بِها ما بِنا من صَبْوَةٍ وَغَرامِ[1]

ترتبط ثنائية الزمان والمكان في النص بفعل الحدث الزماني ، فقد عاش الشاعر حاضراً مثقلاً بالآلام ، فيتذكر المرأة والمكان ليتقوى بهما ، " فالعلاقة بين المرأة والزمن علاقة تضاد ، فالزمن ، يعني الحاضر والتوتر والخوف ، في حين تكون المرأة الماضي والسكينة والأمن " [2] ، فعمل على إيقاف الزمن الحاضر ، وتعامل مع الماضي ، فنجد الشاعر تعلق بالمرأة والمكان وأيامه فيه.

[1] الديوان: ١ / ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ .
[2] الزمن في الشعر الجاهلي ، عبد العزيز محمد شحادة ، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية ،

ومن تمثلات غربة الشاعر الزمانية هما الليل والنهار وهما عنصرا الزمن ، والإنسان ابن بيئته وما حياته إلاّ ساعات وأيام وليال يقضيها ويحياها مع سائر الكائنات والأبيوردي شديد الارتباط بالزمن ، ويغلب عليه التعلق بالليل[١] ، وقد شعل الليل أخيلة الشعراء ، لأنَّه منفذٌ لتصوير ما يعرض فيه من الهموم والأحزان ، والفكر والتذكر ومطاوعة السهاد [٢] ، وفيه إثارة لمعاني الظلمة والوحشة والتوحد مع النفس وإحساس بثبات الزمن أحياناً واستطالته [٣].

والليل والنهار في شعر الشاعر الأبيوردي له تأثير بالغ ، وأهمية شديدة ، ومنها قوله :

ـ البحر البسيط ـ

غَـدَوْا وَمـا فَلَـقَ الإصْـباحَ فالِقُـهُ فَاللَّيْـلُ لِلنَّـاسِ غَيْـري بَعْـدَهُمْ سَـكَنُ
فـي القـربِ والبعـدِ مـالي مـنهمُ فـرجٌ فَالوَجْدُ إِنْ نَزَلـوا والشَّـوقُ إِنْ ظَعَنـوا [٤]

فالليل سكن للناس أجمع ولكن الشاعر كان بخلاف ذلك ، لأنه دائم السهر ، شديد الارتباط به وبظلامه ونجومه ، فالشاعر شديد الافتخار بنفسه إذ يفتخر بها لدرء غربته الزمانية إذ قال وهو يخاطب محبوبته: ـ البحر الكامل ـ

أَ أُمـيمَ إِنْ خفيـتْ عليـكِ صـبابتي فَسَـلي ظَـلامَ اللَّيـلِ كيـفَ أكُـونُ
واسْـتخبِرِي عَنِّـي النُّجـوم فَقـدْ رَأَتْ سـهَري وأَرْوِقَـةُ الغَياهِـبِ جُـونُ[٥]

فهو لم يُطبْ له مكان ، فقد ألف حياة الغربة ، وليله سهاد وأرق ، فالليل قد يكون وسيلة الشاعر في التعبير أو رمز من الرموز الذي يكون قصيراً أحياناً وثقيلاً وطويلاً أحياناً أخرى حسب الحالة التي يمر بها الشاعر ، كما في قوله : - البحر الطويل -

وَخَوْضِـي إِلَيْـكِ اللَّيْـلَ أَرْكَـبُ هَوْلَـهُ وَإِنْ بعَـدَ المَسـرى فَلَسْـتُ أُبـالي[٦]

عمان ، ١٩٩٥ / ١٥٦ .

[١] ينظر: الطبيعة في شعر الأبيوردي : دراسة موضوعية تحليلية ، محمد عبد الحميد السيد غنيم ، مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق ، جامعة الازهر ، ٢٠٠٧ ، ج١ ، ع٢٧ / ١٤٧ .

[٢] ينظر: زهر الآداب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني ، تحقيق زكي مبارك ، ط٢ ، بيروت ١٩٧٢ / ٣ / ٨٠١ ، ٨٠٦ .

[٣] ينظر: الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي ، حيدر لازم مطلك / ٧١ .

[٤] الديوان: ٢ / ٢٧٩ .

[٥] ن . م : ٢ / ١٢٤ – ١٢٥ .

[٦] الديوان: ١ / ٦٤٧ .

إشارة الى طول أسفاره ، بدلالة قوله بُعد المسرى مرتكزاً على اللفظة الزمانية (الليل) ، وطغيان الشعور بالحركة والتغيير.

وقد ذكر الليل إشارة لكثرة أسفاره وارتحاله فيه إذ قال: - البحر الكامل -

أنـــا وَالمَطـــيُّ وَجِـــنْحُ لَيـــلٍ مُظلِـــمٍ وَلَـــدَيَّ إن نَـــزَلَ الهَـــوانُ رَحيـــلُ[1]

وقوله: - البحر الطويل -

وليـــلٍ طويـــلِ البـــاعِ فرَّقـــتُ شـــملهُ بخـــرقٍ جميـــعِ الـــرَّأي غيـــرَ شـــتيتهِ[2]

إشارة الى الصاحب الذي يُعِينُهُ في أسفارِهِ بدلالة لفظة (الليل).

وتارة نجد الشاعر يشتكي من الليل الذي قسى عليه بكثرة النوازل والخطوب ، التي أَبيض منها شعره وأنحنى منها ظهره . كما في قوله: - البحر الطويل -

خليلـــيَّ مـــا بـــالُ اللَّيـــالي تلفَّتـــتْ إلـــيَّ بأعنـــاقِ الخطـــوبِ الطَّـــوارقِ
وَأَعْقَبَنـــي قَبْـــلَ الثلاثِـــينَ صَـــرْفُها بِسُـــودِ دَواهِيهـــا بَيـــاضَ المَفـــارِقِ[3]
ولســـتُ أذمُّ الـــدَّهرَ فيمـــا يســـومني وقـــدْ حُمـــدَتْ فـــي النَّائبـــاتِ خلائقـــي[4]

في النص الشعري إشارة الى شكوى الزمان ، ومصاعب الدهر ، ونوائب الليالي والأيام ، وفيها إثارة لكوامن النفس ، وما فيها من ألم لفرط وقع الهموم عليه ، فالتظلم من الزمان فيه بعد نفسي أكدَّ معنى الغربة والوحدة.

وحين يضايقه الليل فإنه ينتظر الفرج ، ويراقب ضوء الفجر في وسط الظلام إذ قال:

- البحر الطويل -

وَأَنْتظِـــرُ العُقْبـــى وَإن بَعُـــدَ المَـــدى وَأَرْقُـــبُ ضَـــوْءَ الفَجْـــرِ وَاللَّيْـــلُ دامِـــسُ

---

[1] م . ن : ١ / ٥٣٧ .
[2] م . ن : ٢ / ٨٦ .
[3] فرقت شمله: سافرت فيه ، لسان العرب مادة فرق ٥ / ٣٤٠
[4] الديوان: ٢ / ٥٥ ؛ ينظر : الديوان : ١ / ١١٢ .

فَلِلّـــهِ دَرِّي حـــينَ تُـــوقِظُ هِمَّتـــي مســـاوَرَة الأشـــجانِ والـــنَّجمُ نـــاعِسُ
وَإنِّـــي لأَقْـــري النَّائِبـــاتِ عَزائِمـــاً تَـروضُ إبـاءَ الـدَّهرِ وَالـدَّهْرُ شـامِسُ[1]

وفي موضع آخر يذم فيه الزمان وأهله إذ قال: ـ البحر الكامل ـ

وَلَقَـد بَكَيـتُ فَلَـو رَأَيـتَ مَـدامِعي لَعَلِمـتَ أَيُّ البـاكِيينِ مُتَّـيمُ
شَـتّانَ مـا وَجـدي وَوَجـدُ حَمامـةٍ تُبـدي الصَّـبابَةَ فـي الحَنـينِ وَأَكـتُمُ
وَأَزورُ إذ ظَعَـنَ الخَلـيطُ مَنـازِلاً نَحِلَـتْ بِهِـنَّ- كَمـا نَحِلْـتُ- الأَرْسُـمُ
كَـمْ وَقْفَـةٍ مَـيْلاءَ فـي أَثْنائِهـا شَـوقٌ إلـى طَلَـلٍ برامَـةَ يُـرزِمُ
عَطَفَـتْ رَكائِبُنـا إلـى عَرَصـاتِهِ بِأَرْبَعَـةٍ مِـنْ ذِكْـرِهِنَّ سِـجامِ
وذَكَـرْتَ عَصـراً أَسْـرَعَتْ خُطُواتُـهُ والْعَـيْشُ أَخْضَـرُ والحَـوادِثُ نُـوَّمُ
فَـوَدِدْتُ أَنَّ شَـبيبتي وَدَّعتُهـا وَأَقـامَ ذاكَ العَصْـرُ لا يَتَصَـرَّمُ
لَفَظَـتْ أَحِبَّتَنـا الـبِلادُ: فَمُعْـرِقٌ تُـدمي جَوانِحَـهُ الهُمـومُ، وَمُشْـئِمُ
يَجتـابُ أَرديَـةَ الظَّـلامِ بِمَهْمَـةٍ يَنسـى الصَّـهيلَ بِـهِ الحِصـانُ الأَدْهَـمُ
وَيَضـيقُ ذَرْعُ المُهْـرِ أن لا يَنْجَلـي لَيـلٌ بِأَذيـالِ الصَّـباحِ يُلَـثَّمُ
وَلَـهُ إلـى الغَـرْبِ التِفَاتَـةُ وامِـقٍ يُمـري تَـذَكُّرُهُ الـدُّموعَ فَتَسـجُمُ
واللَّيـلُ يـوطئُ مَـن تُوَرِّقُـهُ المُنـى خَـدًّا بأيـدي الأَرْحَبيَّـةِ يُلطَـمُ[2]

كشف النص الشعري عن البعد المكاني الذي قطعه الشاعر ، والبعد الزماني الذي جسَّد فيه السير وهو الليل.

وذكر الطلل إشارة الى حالتين: هي حالة ظاهرة ، وحالة مخفية أو عميقة ، فالظاهرة هي لوعة التذكر للحبيب والمنزل ، أما المخفية هي أستحضار كل شواهد الكائنة في أعماق الصورة الكلية للحبيب والمنزل ، فالبعد العميق للصورة يدلنا على تفاعل الشاعر مع تكوين اجتماعي غائر في الذات الاجتماعية ويشتمل على زمن طويل ومتعدد الحالات [3] .

---

[1] الديوان: ١ / ٥٧٢ .
[2] ن. م : ١/ ١٧١ – ١٧٢ – ١٧٣ .
[3] الاستهلال ، فن البدايات في النص الادبي ، ياسين النصير ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،

فالماضي والمكان هما ركنا الطلل أما المرأة فتتم الصورة بما يبني عليه مقصد الشاعر.

جسَّد الليل في النص الشعري بكونه أهم عنصر من عناصر الصورة ، فهو ثقيل على قلب الشاعر ، وأخذ يلتفت الى الغرب لشدة اشتياقه إليه ليظهر الصباح ويتخلص من وحشة الليل الذي ضاق به ذرعاً بسبب طوله ، وأستبد به الأرق .

فالصورة قاتمة ومظلمة بسبب شدة الظلام ووحشة الطريق وبعد المسافة ، فقد عبَّر الشاعر عما يقاسيه ويعانيه من الآلام ، كما كشف عن حالته النفسية التي عكس فيها غربته المكانية والزمانية.

لم يكن الليل والنهار العنصرين الوحيدين اللذين جاء بهما الشاعر بل تحدَّث عن الزمن عامةً ، والوجه البائس له إذ قال: ـ البحر الوافر ـ

ولـــولا نوشـــةُ الأيَّـــامِ منِّـــي لَمَـــا نَعِـــمَ اللِّئَـــامُ لَـــدىَّ بـــالا
ولكنّـــي منيـــتُ بـــدهرِ ســـوءٍ هُـــوَ الـــدّاءُ الـــذي يُـــدْعَى عُضـــالا
يُقَـــدِّمُ مَـــنْ يَنـــالُ الـــنَّقْصُ مِنْـــهُ وَيَحْـــرِمُ كُـــلَّ مَـــنْ رُزِقَ الكَمـــالا[1]

نسب الشاعر صفة السوء الى الدهر ، إذ شبهه بالداء العضال الذي لا شفاء منه وشكى من الزمان الذي يقدم الناقص من الرجال ، وحرمان من له القدرة والسياسة والحنكة من نيل المنصب الملائم له ، وموقف الشاعر من الأيام والدهر أرتبط بتقلبه من جهة وبالإنسان الذي يعيش فيه من جهة أخرى.

و ثنائية الشيب والشباب من المفردات الزمانية التي تجسد الحالة الإنسانية المفعمة بالألم والحنين ، إذ يعيش الشاعر حالة من الصراع بين زمنين ماضٍ وحاضر ولاسيما حين تقترن بالغربة . قال: ـ البحر الطويل ـ

ومـــنْ نكـــدِ الأيّـــامِ أن يبلـــغَ المنـــى أخـــو اللُّـــؤمِ فيهـــا والكـــريمُ يخيـــبُ
ســـأَطْلُبُ عِـــزَّ الـــدهر مـــا دامَ ضـــافِياً علـــيَّ رداءٌ للشَّـــبابِ قشـــيبُ

١٩٩٣م : ٦١ .
[1] الديوان: ١ / ١٥١ .

ولـي همـةٌ تـأبى مقـامي علـى الأذى ضـجيعَ الهـوينى مـا أقـامَ عسـيبُ[1]

اكدَّ الشاعر في النص الشعري على الإعتداد بالنفس والبقاء شامخاً مهما كانت الظروف ، ما دام رداء الشباب جديد ، وهو تعبير عن القوة والصحة ، وبيان همته وشموخه وتشبيهها بشموخ الجبل فهو ثابت المبدأ ، ولا يغيره تقلب الزمان .

أبدع الشاعر بتوظيف الأسلوب البلاغي من تمكين الصورة وذلك بأسلوب الانزياح بأكثر من وسيلة بفعل التضاد ما بين (الشباب والشيب) ، كما ساعد على إبراز الصورة الفنية موظفاً أسلوب المفارقة إذ قرن بلوغ اللئيم مناه بنقيضه وهو عدم حصول الكريم وخيبة أمله وفشله مما أسهم في تعضيد موقف الشاعر وبيانه لغدر الزمان وأهله.

كما منح (الأيام) " وهي لفظة زمنية – صفة من صفات الناس فمنح الصورة بعداً إنسانياً يوحي بقدر كبير من الدلالات والمعاني التي أَثْرَت الصورة الفنية ثَراءً عظيماً " [2].

وقف الشاعر من الزمان وقفة مؤلمة ، إذ استرجع فيه ذكرياته ، عبر رسم لوحة خيالية في الذهن لملء الفراغات التي خلَّفها الغياب ، واعتمد على مرجعيات زمنية عالقة في الذاكرة ، فغياب الزمن الجميل ترك في قلب الشاعر الألم والحسرة والندامة ؛ فبواعث الغربة النفسية بسبب الضعف كانت حاضرة في غربة الشاعر الزمانية.

أثرت الغربة الزمانية في ذات الشاعر إذ بدت مثقلة بالهموم والاحزان الباعثة في النفس إذ قال: - البحر البسيط -

لكننـــي فـــي زمـــانٍ لا تـــزالُ لَـــهُ نكـراءُ مَرْهوبَـةً تُغْـري بِـيَ النُوبـا[3]

دخلت عناصر عدَّة في غربة الشاعر الزمنية منها: المكان فقد بنى عليه الأبيوردي غربته من الزمن وكشف من خلاله حنينه الى الأهل والوطن ، المرأة التي اتخذها وسيلة تعبير في أكثر من موضع ، وقد أشرك الطبيعة ومظاهر الكون فخلع عليه مشاعر الحزن والأسى وهذا يدل

---

[1] الديوان: ٢ / ٩ ، ينظر: ٢ / ١١٢ ، ينظر: ٢ / ٢٩٥ .
[2] عناصر الابداع الفني في شعر ابن زيدون ، د. فوزي خضر ، الكويت ، ٢٠٠٤ / ١٧٨ .
[3] الديوان: ٢ / ٢٢٦ .

على احساس الشاعر بالزمن ، وتأمله لفقدان القوة في زمن الشيخوخة ، وعدم تعويضه عما فات منه في الزمن الماضي ، وبقي متحسراً على ذهاب تلك الأيام.

الفصل الثاني
الاغتراب السياسي

إنماز الأدب في العصر العباسي بوصفه أهم العصور الأدبية على الأطلاق ، كونه يقبل الجديد ، وتطوير الأغراض الشعرية ، بينما نجده في العصر السلجوقي أدباً موحشاً مظلماً ، إذ غفل عنه المراجعون ، وضاع في متاهاته المشتغلون ، ونتيجة لذلك سكتَ نقاد الأدب ودارسوه ، متناسين مائتين من السنين ، تمتد من أوائل القرن الخامس إلى أواخر القرن السادس .....

ومن هذا المنطلق عُدّتْ هذه المرحلة التي مرَّ بها الأدب مرحلة غموض ، أو ركود ، أو ما شابه ذلك [١].

والمعروف أنَّ الدولة العباسية في العصور المتأخرة أصبحت نهباً للثائرين ، والخارجين المتآمرين على الدولة ، ونتيجة ضعف الخلافة دفع أمراء الأطراف ، ورجال الجيش وخدم القصور الى السيطرة على ما يمكن الاستيلاء عليه من البلاد والاستحواذ على ما تصل اليه أيديهم من الأسلاب [٢].

ففي الربع الأول من القرن الثالث الهجري بدأ الضعف يدب في جسم الدولة العباسية ، بصورة تثير الرعب والخوف ومن مظاهر هذا استيلاء البويهيين[٣] على الحكم إذ دخلوا بغداد سنة ٣٣٤ هـ فكانت تحت سيطرتهم بعد أن أخضعوا فارس من قبل فقضوا على الحكم العربي في تلك الانحاء ؛ ونتيجة لذلك فقد حكم البلاد من أناس حاقدين فأذاقوا الشعب سوء العذاب وجرّعوهم كأس الذل والهوان وأجاعوه جوعاً دفع بهم الى أسوء الأفعال وآلاتيان بأبشع الأمور بسبب الظرف الذي عاشته الامة في تلك الحقبة [٤].

وكان لهؤلاء البويهيين عدو يتربص بهم الدوائر ويطمع في الحكم بالعراق وهم السلاجقة [٥].

في ٢٥ من شهر رمضان لعام ٤٤٧ هـ دخل طغرلبك بغداد مع جيشه يصحبه عميد الملك الكندري ، وقبض على الملك الرحيم ـ آخر ملوك البويهيين وسجنه في الراي ، واستمر هذا التصارع على الحكم والغلبة حتى بعد وفاة طغرلبك عام ٤٥٥هـ في الراي وهو في السبعين [١].

---

[١] ينظر: حول الأدب في العصر السلجوقي – د. محمد التونجي ، منشورات مكتبة قورينا بنغازي – ج . ع. ل -، الطبعة ١ ، ١٩٧١.

[٢] ينظر: الشعر العربي في بلاد العجم في القرن السادس للهجرة ، من خلال خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ) ، رسالة ماجستير ، جنان قحطان فرحان / ١٠

[٣] البويهيون: وهم قوم من الديلم يرجع أصلها الى يزدكر آخر ملوك الساسانيين / حول الادب في العصر السلجوقي / د. محمد التونجي / ٢٩.

[٤] ينظر: الأبيوردي حياته ، دراسة في شعره القومي ، نوري شاكر الألوسي / ١٧.

[٥] السلاجقة هي أسرة تُنسب الى رجل اسمه سلجوق بن دقاق وهي تركية ، وكان مؤسس هذه الاسرة هو طغرل بك وكان أول سلاطينهم وقد سيطر على كثير من الأقطار واستولوا على معظم أسيا الصغرى، وقد ظهرت هذه الاسرة في تاريخ الدولة العباسية منتصف القرن الخامس الهجري ونهاية القرن السادس / ينظر: حول الادب في العصر السلجوقي / ٣٦ ، ٣٧ .

وبسبب هذا التصارع برز الاغتراب السياسي لدى الشعراء ومنهم الشاعر الأبيوردي إذ يُعُّد الاغتراب السياسي واحداً من أهم المفاهيم ذيوعاً في الحياة السياسية داخل المجتمع ، فعلاقة الأفراد بالنظم السياسية داخل المجتمع ما هي إلا علاقة تواصل ؛ وذلك لتحقيق الأهداف المشتركة بينهما ، أما اذا انفصلت هذه العلاقة فسوفَ ينعزل ويشعر بالغربة السياسية والمشاعر السلبية التي تعبر بجملتها عن الاغتراب السياسي [٢].

وهناك من يقول أن الاغتراب السياسي " نوعاً من الاغتراب الزماني ، التاريخي ، أي أنه اغتراب رافض لمدة تاريخية معينة ، ويبحث عن زمن آخر قد يكون مستقبلياً أو ماضوياً ، وهو اغتراب متصادم مع الآخر ، خاصة ذلك الآخر الذي يمتلك السلطة" [٣].

إنَّ علاقة التصادم ما بين الشاعر والسلطة هو نوعٌ من الاغتراب الزماني التاريخي ؛ لأنُّه يمر بوقت معين وبأحداث معينة ، وهذا التصادم نتيجة آمال الشاعر لتحقيق طموحاته في نيل مكانة سياسية مرموقة فالشخص المغترب هو " شخص يعاني من قلق مؤرق نتيجة حرمانه الفرص التي تمكنه من الإسهام في الفعاليات منتجة هادفة ، مما يولد في نفسه شعور بالظلم واستلاب الحرية والإرادة فيسعى جاهداً الى رفض القيم السائدة " [٤].

فحرمان الشاعر من حقوقه لما امتاز به من ثقافة وعلم وهو يأمل أن يصل الى ما وصل إليه غيره من إمارة ويرى أنه جدير بها كل الجدارة ولم لا ؟ فقد تميز بكونه شاعراً ، وعبقرياً ، وأديباً متميزاً ، وعالماً يشهد له كبار معاصريه . والأبيوردي ليس بدعاً فيما يدعي ويطمع إليه ، بل هو صورة لنفسية شباب عصره ، وديوانه كان مرآته [٥].

فعند عدم تحقيق أهداف الشاعر يولد في نفسيته الشعور بالظلم مما يولد عنده الشعور بالاغتراب السياسي.

---

[١] ينظر: تاريخ دولة آل سلجوق: عماد الدين الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ) قرأه وقدم له : د. يحيى مراد ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت – لبنان ، ٢٠٤٤م / ٩ ، ١٠ .

[٢] ينظر: الاغتراب السياسي للشباب العراقي وتأثيره على قيم المواطنة ((دراسة ميدانية في مدينة بغداد)) هيثم فيصلي علي، مجلة جامعة الفيلين ، مج٧ ، ع٢٦ ، ٢٠١٧/١/٢م. جامعة تكريت ، كلية الآداب/ ٣.

[٣] ينظر: سوسنة المنافي ، حمده خميس وتحولات الاغتراب السياسي ، د. سعيد فاطرة الفارسي ، مكتبة الآداب ، ط١ ، القاهرة ٢٠٠٣ : ١٨.

[٤] الثورة والاغتراب في شعر مصطفى وهبي التل (عراز): د. جهاد شاهر المجالي ، مجلة مؤتة ، مج٨ ، ع٦ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، ١٢ – ١٣ .

[٥] ينظر: الأبيوردي ، ممثل القرن الخامس في برلمان الفكر العربي، ممدوح حقي ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسوريا ، ٢٠.

وبناءً على ذلك فقد ذكر بعض الباحثين معاني عِدَّة للاغتراب السياسي منها أنه " شعور المرء بعدم الرضا او عدم الارتياح للقيادة السياسية والرغبة في الابتعاد عنها وعن التوجهات السياسية الحكومية والنظام السياسي برمته" [1].

ويمكن القول بان هذا المعنى لا ينطبق كلياً على الشاعر، الشعور بعدم الرضا موجود، ولكن لم تكن هناك رغبة في الابتعاد عن هذه المنظومة السياسية أو الانعزال عنها والدليل على ذلك قول الشاعر عقب كل صلاة ، فقد كان يدعو بهذا الدعاء : ((اللهم ملكني مشارق الأرض ومغاربها)) [2]. والذي يعكس توقه للملك والسلطة.

وقد لامه أحد أصدقائه وهو احمد بن سعيد العجلي على دعائه فرد عليه قائلاً :

ـ البحر الوافر ـ

يُعَيِّرُنـي أَخـو عِجـلٍ إبـائي ... عَلـى عُـدمي وَتيهـي وإختيـالي

وَيَعلَـمُ أَنَّنـي فَـرَطٌ لِحـيٍّ ... حَمَـوْا خُطَـطَ المَعـالي بِـالعوالي

فَلَسـتُ بحاصِـنٍ إن لَـم أُزرهـا ... عَلـى نَهَـلٍ شَـبا الأَسَـلِ الطِّـوالِ

وَإن بَلَـغَ الرِّجـالُ مَـدايَ فيمـا ... أُحاوِلُـهُ فَلَسـتُ مِـن الرِّجـالِ[3]

الملاحظ من الابيات الشعرية رغبة الشاعر البلوغ والوصول الى ما تصبو إليه نفسه من المراتب العالية في السلطة وليس الانعزال عنها ، وقد جاءت هذه الابيات رداً على من وصفه بالتيه والصلف فجاء ديوانه مفتخراً بنفسه وقومه ، وعلو همته ، ولم يغادر صغيرة وكبيرة إلا واحصاها مما يتميز به من المعالي والصفات الراقية مما أكسب شعره جمالاً ورونقاً ، إذ أعطى صوره لهذه النفس الأبية التي تصارع الخطوب وتحمل الضيم ، وتطمح أبداً الى أعلى الدرجات.

إنَّ الاغتراب السياسي هو محاولة المغترب أن يحقق توازنهُ النفسي عن طريق تغيير نمط السلطة بكل قواه ، ولم يحاول الالتجاء الى المهادنة وذلك بالتنكر لمبادئه وتضييق معتقداته فيبقى محافظاً على نفسه وفكره وعقله إلا في أضيق وأشد الظروف وطأة ولاسيما (الاقتصادية) ولكنه سعى جاهداً الى تغيير مجتمعه سواء بالقول أم بالثورة [4].

---

[1] الاغتراب والتطرف نحو العنف ، دراسة نفسية ، أجتماعية ، د. محمد خضر عبد المختار ، دار غريب ، القاهرة، / ١٩٩٦ م / ٣٥ .

[2] معجم الادباء : ٥ / ٢٣٦٢.

[3] الديوان : ٢ / ١٥٤ – ١٥٥ ، وينظر معجم الادباء: ٥ / ٢٣٦٢

[4] ينظر: الاغتراب في شعر نقائض العصر الاموي جرير ـ الفرزدق ـ الأخطل ، رسالة ماجستير نوال نعمان كريم ، جامعة تكريت ، كلية التربية ، اشراف د. محمد سعيد مرعي ، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م / ٦٤.

من هذا التعريف نستشف علاقة الاغتراب السياسي بالتوازن النفسي والحالة النفسية للمغترب مما يولد حالة من الصراع بين الشاعر أو المغترب وبين السلطة من أجل تحقيق غاية معينة ، وهذا دليل على التفاعل الحاصل بين الشاعر والسلطة ، فلا يمكن أن يعيش الشاعر بعيداً عن السلطة ، ولا يمكن للسلطة أن تكون بمنأى عن الشاعر ، وذلك لحاجة السلطة الى الشعراء لإبراز قيمتها ، والتغني بأمجادها سواء كان صدقاً أم مجاملة أم رياء أم مبالغة ، وإيصال كلمتها عبر التاريخ ، وأما حاجة الشاعر الى السلطة فتقوم على مجموعة من الغايات في مقدمتها تحسين الوضع المعاشي وطلب المال وتغيير الوضع الاقتصادي ، فنجد كثيراً من الشعراء كانوا ينتمون الى أسر فقيرة تعاني الحرمان والفاقة ، بيد أن الأبيوردي لم يكن كذلك ومديحه للسلطة كان من أجل غايات كبيرة قد تنفع المجتمع عامة ونفسه بصورة خاصة وبلوغ المعالي وليس من أجل طلب المال إذ كان في بداية حياته مُوسِرَ العيش ولا يعاني من الفقر ولا يحاول تزييف الحقائق من أجل الحصول على الأموال ؛ فالسلطة هي المرفأ الوحيد والملجأ الذي يسعى إليه الشعراء لتلبية حاجاتهم ، وتغيير أحوالهم المعيشية فضلاً عن الحاجات الاجتماعية ، إذ يهدف بعض الشعراء عبر تقربهم من السلطة الى تحقيق المكانة والوظيفة الاجتماعية ، لاسيما إذا عاش في وسط اجتماعي غير متوازن أو وصل الى مرحلة الإشباع المادي ، يكون الطموح في تولي للسلطة أو منصب هو هدفه التالي ، لذلك فالحاجة والنقص تجعل الشاعر يتجه لا شعورياً الى السلطة مجبراً ، وبما أن الشاعر يمتلك من المقدرة الثقافية التي لها أثرٌ كبير في تحقيق مآربه ؛ وذلك لأن السلطة الثقافية تأتي في المرتبة الثانية بعد السلطة السياسية ؛ ولا تقل عنها تأثيراً فمثلما تحارب عسكرياً تحارب فكرياً وثقافياً [١].

وكما يرى تومبسون " أنَّ الاغتراب السياسي هو رد فعل أزاء عدم القدرة النسبي المدرك على التأثير أو التحكم في مصير الفرد الاجتماعي" [٢].

ويمكن القول إنَّ الاغتراب السياسي لا يقتصر على اغتراب الفرد اتجاه السلطة السياسية ، بل يتجلى أحياناً بشعور النخبة من أبناء البلد بغربتها في وطنها ويحدث هذا نتيجة حدوث قطيعة بين النخبة وتطلعاتهم وأفكارهم بين الواقع والحقيقة [٣].

وما يهمنا من هذا الرأي هو اغتراب الشاعر أتجاه السلطة السياسية وكون الشاعر من النخبة ولديه من الثقافة والعلوم والمعارف ما تمكنه للأَرتقاء بالمجتمع فضلاً عن نفسه ، وعند تحقق ذلك

---

[١] ينظر: السلطة السياسية والشاعر في العصر العباسي، حيدر جبار عطية الطائي رسالة ماجستير ، كلية التربية ، قسم اللغة العربية ، جامعة بابل ، ٢٠١٤ / ٤٤.

[٢] الاغتراب : ريتشارد شاخت ، ترجمة كامل يوسف حسين ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت لبنان . ٢٢٦/١٩٨٢

[٣] ينظر: الاغتراب في شعر نقائض العصر الاموي ، نوال نعمان كريم ، ٦٥.

يولد الشعور بالغربة في داخل الوطن مما يؤدي الى حالة من التصادم بين واقع الشاعر وما هو عليه من المكانة المفقودة وبين حقيقة السلطة وما عليها من فساد وظلم.

وهناك من فسر ظاهرة الاغتراب السياسي بأنها حالة يشوبها التداخل الشديد ، تدفع الباحث فيها ، في معظم الأحيان الى حالة من التشوش ، لتشتت الصور التي يتخذها الاغتراب ، إلا أنه يمكن أن تميز في حالات الاغتراب السياسي ، عموماً ، بين صنفين رئيسين ، هما الاغتراب الجماعي ، والاغتراب الفردي [١].

ويمكن القول ، إنَّ الاغتراب الفردي هو الأكثر شيوعاً ، والأقرب صلة بموضوع البحث والنموذج الشامخ أو النمط السائد للمغترب السياسي ، انه الفرد الذي رفض الواقع السياسي لمجتمعه ، دون أنْ يكون من الفئات التي رفضها المجتمع [٢].

رفض الشاعر الواقع السياسي لمجتمعه لِماَ كان يعانيه من الاستخفاف والظلم والاقصاء من الآخر ، دون أن يكون من الفئات التي رفضها مجتمعه ، وقد عاش الأبيوردي تحت ظل ظروف متأزمة مرت بها الدولة العباسية ، وهذه الظروف المضطربة هي التي دفعت الشاعر الى الإحساس بالاغتراب فإن الإنسان عندما يُحال بينه وبين آماله وأمانيه في الحياة ، يُحسّ بقسوة الدنيا ومراراتها وعدم جدوى الحياة ونهايتها " فكل دَفعةٍ فطريةٍ ، او كلُّ مطلب من مطالب الحياة مزودٌ بضمانين في وقت واحدٍ ، ضمان يدفع من الخلفِ ، وضمانٌ يجذبُ من الامام أحدُ الضمانين هو الألمُ الناشئُ من عدم تحقيق الرغبة ، والآخر هو اللذة الكامنة في التحقيق " [٣].

فقد كانت رغبة الشاعر منذ شبابه إعادة الحكم الى الأمويين ، أو أنه تشبث بالخلافة وبذل كل الجهود من أجل إعادة هيبته وبلغ في ذلك الجهد الجهيد وكاتب الامويين في الاندلس والجزيرة ونجد ، ولقد كانت تضم هذه المراسلات من التحريض على الثورة أو قيادةُ انقلاب سياسي في أحد أماكن الخلافة العباسية وذلك واضح في قوله مخاطباً بعض بني عبد الرحمن بن معاوية وهم في الاندلس [٤] ، إذ قال

– البحر الطويل –

أثِرْهـا فمـا دونَ الصّـرائِمِ حـاجِزُ ولا فَوْقَهـا واهـي العَـزائِمِ عـاجِزُ...

---

[١] الاغتراب في الشعر الأموي . د. فاطمة محمد حميد السويدي، مكتبة دبولي ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ٤٥.
[٢] م . ن ، ٤٥ ، الغربة والاغتراب في روايات (غائب طعمة فرمان) ، ميساء نبيل عبد الحميد ، رسالة ماجستير ، جامعة تكريت ، كلية التربية ، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م / ٢١.
[٣] منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، الجزء الأول ، دار القلم بمصر ، ط٢ ، (د ، ت) / ١٣١.
[٤] الأبيوردي ـ حياته ـ دراسة في شعره القومي ـ نوري شاكر الالوسي / ٤٢.

أُخَـــيَّ أقِـــمْ أعْنـــاقَهُنَّ لحـــاجِزٍ فهُـنَّ علـى بَطْحـاءِ نَجْـدٍ نَواشِـزُ...

إليـكَ أبـا الغَمْـرِ اسـتَلبْنا مِراحَهـا وقـد بَلِيَـتْ أنْسـاعُها والرّجـائزُ[1]

تَـؤُمُّ المُنـاخَ الرّحْـبَ عنـدَكَ بَعـدَما تَضايَقَ عنها المَبْرَكُ المُتلاحِزُ[2] [3]

نلحظ الدعوة الى إثارة الخيل والإبل ، إذ ذكر الصرائم والصرائم هي منقطع السهل ليس دونها حاجز، وإن الذي فرق هذه الخيول ليس بالواهي العزيمة ولا بالعاجز وهذه إشارة الى شجاعته وأنه قادرٌ على تحقيق ما يريد ولا يخاف في سبيل ذلك لومة لائم . فالابيات فيها دعوة الى القيام والثورة ، لأنُّه يرى بأن حقوقه مسلوبة .

فقد حاول بكل قواه إعادة مجده ومجد آبائه ، بَيد أنه لم يوفق [4] ، مما افقده الإحساس بالاستقرار والانتماء ورأى بضرورة الصراع من أجل التغيير فعمل على أدوات مختلفة من أجل ذلك منها النقد السياسي محاولاً إبراز العيوب والثغرات التي كانت عليها السلطة آنذاك ، ومحاولة إعطاء الحلول من أجل اصلاح هذا الواقع وليس لانتقاده فقط ، فحدث تصادم مع الآخر ؛ لأنَّ السلطة ترغب لمن يمدحها ويمجدها ويتغاضى عن عيوبها ؛ لذا لا نجد اسم الشاعر ضمن شعراء السلطة ، فعاش يعاني من غربته ووحدته ، فنراه ناقداً احياناً الأوضاع العامة والوزراء ، ومادحاً للملوك أحياناً أخرى ليبعدوه عن حياة التشرد والغربة.

---

[1] الرجائز: جمع رجازة ، وهي كالوسادة توضع على الرحل حالة الركوب ، ينظر لسان العرب مادة رجز ، ٣ / ١٥٨٩.

[2] المتلاحز: المتضايق ، لسان العرب مادة لحز ، ٤٠٠٦/٥.

[3] الديوان : ١/ ٤٥٨ ، ١٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ .

[4] ينظر: الاعلام : ٦ / ٢٠٩ .

المبحث الأول

النقد السياسي

النقد السياسي

إنَّ المرحلة التي عاشها الشاعر الأبيوردي كانت مليئة بالاضطرابات السياسية والاجتماعية وكان الشعب المغلوب على أمره مخدراً ومريضاً ومتهالكاً ، ونتيجة لذلك الوضع أصبح الشعب ضحية هذا التكالب سواء كان على السلطة أم على جمع المال من الحكام الجهلاء [١]، ولم يقف الشاعر مُكتَّف الأيدي أزاء تلك الأوضاع وهو يرى معاناة الشعب وما يتجرعه من ويلات الفتن والجوع والظلم من الساسة ، فانبرى يعبر عن تلك الحقبة المظلمة بواسطة شعره فمثل ديوانه صورة لما جرى من احداث ومواقف ، وأن أول مظالم الشاعر تكمن بعدم العناية بنتاج شعره من معاصريه و من جاء بعده على غرار غيره من الشعراء أمثال البحتري ت ٢٨٠هـ ، وأبي تمام ت ٢٣١هـ ، والمتنبي ت ٣٥٤هـ ، وأبي العلاء ت ٤٤٩هـ وغيرهم.

وعلى الرغم مما كان يتمتع به الشاعر من مقدرته اللغوية ، وعروبته القلبية ونزعته الإسلامية ، ومحبته لأمته ، ودفاعه عن قضاياها ، وإدراكه لأهمية الشعر والفن ، وقد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع العربي والوطن والتأريخ ، لا يدعو الى العقائد المنحلة ، ولا يتبنى مذهباً هداماً ، بل تميز بشعره المتمثل بوجهه العربي المشرق ، وديباجته المتينة المعروفة بالبدوية الصافية وبأسلوبه وأفكاره السامية ولا عجب أن قرنه النقاد بالمتنبي في سلوكه واشعاره وأسلوبه. فكان نجماً متلألئاً في هذا العصر الذي يصفه النقاد بالعصر الفضي للأدب [٢] ، ومع كل هذا فلم يحتل المنزلة المرموقة التي كان يسعى لها في نفسه وشعره. وبناءً على ما تقدم فقد أثَّر ذلك وظهر ذلك جلياً في شعره إذ قال : ـ البحر البسيط ـ

لَمْ يَعْرِفِ الدَّهْرُ قَدْرِي حينَ ضَيَّعَنِي وَكيفَ يَعْرِفُ قَدْرَ اللُّؤْلُؤِ الصَّدَفُ [٣]

إذ كان الشاعر يعاني من ضياع وكان هذا الضياع قد شمل جميع أنواع الاغتراب الزماني والمكاني والاجتماعي والسياسي فكان هذا البيت أساساً لغربته ـ الدهر ضيعه وأضاعهُ ـ حالة الضياع متجسدة في فكره وعقله.

يظهر أنَّ الأبيوردي من خلال هذا النوع من النقد ، حَمَلَ كل معاني الاستخفاف (بالآخر) ، فقد وصف الآخر بالصدف لأنَّه لا يُحسن اختيار الأَجود والأفضل.

---

[١] ينظر: الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي أواسط القرن الخامس / أواسط القرن السادس ، د. علي جواد الطاهر/ ٦٥.

[٢] ينظر: الأبيوردي حياته وشعره ، محمود إسماعيل عبد القادر ، بحث مقدم للدكتوراه ، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية ، كلية اللغة العربية ، الادب / ٦.

[٣] الديوان: ٢ / ١٢٧.

أما هو فعبر عن نفسه بـ اللّؤلؤ ، وتقف أنا الفخر أزاء الآخر موقف المتعالي ، فهو يشعر بأهمية وجوده الفردي ، فاذا عَرَّضَ بالآخر الذي كشف زيفه أمام الناس وأظهر أفعاله السيئة والآخر هنا الخصم إذ حاول الشاعر التعبير عنه وإبراز عيوبه في مقابل إظهار الفرق بينه وبين الذات الشاعرة والمعنى نفسه قد ذكره الشاعر في أبيات أخرى إذ قال : - البحر الطويل -

تَنَكَّرَ لي دَهْري وَلَمْ يَدْرِ أَنَّنِي ... أَعِزُّ وَأَحْداثُ الزَّمانِ تَهُونُ

فَظَلَّ يُريني الخَطْبَ كَيْفَ اعْتداؤهُ ... وَبِتُّ أُرِيهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكونُ [1]

فقد ربط الشاعر بين الزمن وأحداث العصر من الخطوب والاعتداءات وأثر ذلك في نفسيته ، فهو يسمو بعزته على تلك الخطوب ، ويعتصم بالصبر أزاءها.

وعلى الرغم من كل ما لقاه الشاعر بيد أنه لم ينصرف عن التعبير عن قضايا شعبه ومواجهة الطبقة السياسية من نقد وهجاء ، مما أثر ذلك في اغترابه فكان السبب الرئيس لاغتراب الشاعر سياسياً ، إذ قال : ـ البحر الطويل ـ

أَرُوحُ بِأَشْجانِ عَلى مِثْلِها أَغْدو ... فَحَتَّى مَتى يُزْري بِيَ الزَّمَنُ الوَغْدُ

أَفي كُلِّ يَومٍ دَوْلَةٌ مُسْتَجَدَّةٌ ... يَذِلُّ بِها حُرٌّ وَيَسْمو لَها عَبْدُ؟!

إذا أَقْبَلَتْ أَلْقَتْ عَلى الذَّمِّ بَرْكَها ... وَإِنْ أَدْبَرَتْ لَمْ يَتْلُ أَرْبابَها الحَمْدُ

فَذُو النّقْصِ في عَيْشٍ وَريقٍ غُصونُهُ ... وَلَيْسَ لِذي فَضْلٍ بِها عِيشَةٌ رَغْدُ

أَيا دَهْرُ كَفْكِفْ مِنْ جماحِكَ إِنَّني ... إِذَا الخَطْبُ أَمْهى نابَهُ أَسَدٌ وَرْدُ

وَلَسْتُ أَشِيمُ البرقَ فَلْيَدْعُ لِلْحَيا ... سِوايَ وَلا يَرْفَعْ عَقيرتَهُ الرَّعْدُ

وَتَخْطِرُ أَحْياناً ببالي مَطامِعٌ ... فَيَمْنَعُ عِرْضِي أَنْ يُلابِسَها المَجْدُ

تَبِعْتُ أَضَالِيلَ المُنى في شَبيبَتي ... فَحَلَّ مَشيبي وَهيَ تَخْدَعُني بَعْدُ[2]

---

[1] الديوان ٢ / ٥٥
[2] م . ن : ٢ / ١٠١ – ١٠٢

إنَّ قيام الثورات واضطراب الأوضاع وانفصال العلاقة بين الحاكم والمحكوم كل هذه الأسباب دعت الشاعر الى الشعور بالغربة السياسية وكذلك الاغتراب فالملاحظ من الأبيات الشعرية نبرة الحزن المشحونة بالألم ، بحكم زمان الظلم والطغيان ومصادرة الحقوق ، وذكر الشاعر صورة الحر الذليل ، والعبد سامٍ وهنا مفارقة شعرية ، إذ ذو النقص في رغدٍ من العيش ، أما ذو الفضلِ في ضنك من العيش وفي ضيق ومشقة ، وكأنما يتحدث الشاعر عن نفسه بما أثرت هذه السياسة في ذاته وقد مثل صورته الشعرية بذم السلطة بألفاظ تدل على الزمان مثل (زمن ، ويوم ، والدهر ، والشيب) فلقد كانت سياسية يعمُ فيها القمع والغبن لحقوق الاحرار وهي معروفة بعدم الانصاف كل ذلك كان سبباً ان تهيج في ذات الشاعر ويدعوه الى التذمر من السياسة المضطربة.

المعروف أنَّ الاغتراب السياسي كان موجوداً في العصور السابقة فضلاً عن عصر الشاعر الأبيوردي ومعاناته معه وعبَّر عن اغترابه بطرق مختلفة ، ولكن يبقى التساؤل المطروح كيف بدأ الاغتراب السياسي عند الشاعر؟

عُرِفَ الشاعر بتطلعه السياسي فقد كان أديباً سياسياً ، وله رؤى تفوق أقرانه ، ولكون الخلافة في عصره كانت تعاني من ضعف أذ أصبحت بيتاً معنوياً لا قيمة له في السياسة العملية ، لكنها مع ذلك بقيت رمزاً لوحدة المسلمين ، وهذا ما وَلّدَ لدى الشاعر رفضاً عاماً للواقع السياسي ، فاغتراب الشاعر لم يكن شخصياً فقط من أجل الحصول على منصب أو لطلب المال ، إنما ما كان يعانيه على المستوى السياسي بصورة عامة ، من اختلاف وجهات النظر ، وكذلك نتيجة الاضطرابات التي شهدتها البلاد والحروب التي لا تهدأ ، مما يؤدي الى حاجة الحكام الى المال . وقد يجرهم هذا الى بيع الوظائف أو اسنادها بالرشوة لغير الأكفاء وأدى هذا العمل الى عدم التعامل بالحق والعدل وشَغَلَ مثل هؤلاء ما لا يستحقونه من المناصب ، قال الأبيوردي :

ـ البحر الطويل ـ

أَلِكنـي[1] إلـى هَذا الـوَزيرِ وَقُـل لَـهُ ... لَقَـد صَـرَعَتنا خِلفَـةُ الـدَّهرِ فـانعَشِ
وَراعِ رَعـــاكَ اللَهُ أَحـــوالَ كُـــوفَنٍ ... وَنَقِّـــرْ[2] هَـــداكَ اللَهُ عَنّـــا وَفَـــتِّشِ
فعامِلُنـــا يَزنـــي وَيجنِـــي وَيَعتَـــدي ... وَحاكِمُنـــا يَعلـــو وَيُعلَـــى وَيَرتَشـــي[3]

تميَّز النص الشعري بكثرة أفعال الآمر والأفعال هي (ألكني – قل – أنعش – راع – نِقّر – فتش) مما أضفى على النص حيوية أما الفعل (ألكني ، قل) جاءا لرفع انتباه المقابل والتوجه لما سيقوله.

---

[1] إلكني: كن رسولي بهذه الرسالة ، لسان العرب مادة ألك ١ / ١١١.
[2] نقر : التنقير والتفتيش ، لسان العرب نادة نقر ٦ / ٤٥٢٠.
[3] الديوان: ٢ / ١٣٧ – ١٣٨ .

وأما بقية الأفعال الأربعة فحملت دلالة التغيير الذي طلبه من الوزير خاصة ، وأشار في البيت الثالث الى معاناة أهل كوفن وباستعمال أسلوب العطف ليبين المساوئ الظاهرة من حاكم المدينة [١].

إنَّ أكثر ما يعانيه الشاعر هو طبقة الوزراء التي كان يهجوها في شعره كناية عن فساد هذه الطبقة التي لا تقرّب شاعر عُرِف بعبقريته وسعة ثقافته ، لأنه لا يرضى بما يقومون به من فساد وظلم واعتداء على حقوق الآخرين ، وهنا يطلب الشاعر أن يبحث ويفتش عن الشخص المناسب بطريقة توحي بالسخرية وفضح سياسية الآخر وعدم صلاحيته للحكم وفي الوقت نفسه ويشير الى نفسه بأنه مؤهل لقيادة الدولة أو وضعه بمنصب مناسب.

كان الحصول على الوظائف يتم عن طريق الواسطة ، والأبيوردي لا يسلك مثل هذا الطريق وعَبر عنه بالشعر بقوله: ـ البحر الطويل ـ

وَلَكنَّنِي أَغْضَيْتُ جَفْنِي عَلى القَذَى وَلَمْ أَرْضَ إدْراكَ العُلا بالوَسائِطِ [٢]

كان الشاعر رافضاً لجميع مظاهر الدولة وسياستها مما وَلَدَّ الشعور بالاغتراب إذ قال:

ـ البحر الطويل ـ

مَضى زَمَنٌ كُنتَ الذُّنابَى لِأَهلِهِ وَفُزتَ بِنُعمَى نَشَّ عَنكَ غَديرُها

نَعَم وَقَدِ استوزِرتَ جَهلاً فَما الَّذي يُرامُ مِنَ الدُّنيا وَأَنتَ وَزيرُها

فَلا خَطَرٌ يا بنَ اللِّئامِ لِدَولَةٍ وَأَنتَ عَلى رَغمِ المَعالي خَطيرُها [٣]

أشار الشاعر الى منصب الوزارة ـ وهي من المناصب الخطيرة في جهاز الدولة ، اذا تم اختيارها على وفق المعايير الفاسدة .

إنَّ طبقة الحكام التي تتخذ من الحكم وسيلة في تحقيق مصالحها الشخصية ونزعاتهم الذاتية ، فكان همهم الأول تقديم المال لمن فتح لهم مقعد الوزارة ، واستمر سلطان التحكم بمقادير العباد " حتى أصبحت الوزارة والوزراء عنواناً للفساد والانحطاط ، فأهمل معظمهم أمور الدولة ، وشغلوا أنفسهم بجمع المال وتسابقوا مع حريم البلاط في نهب أموال الخزانة . واحتدم لهذا السبب الصراع والتنافس على منصب الوزارة ، فازدادت المؤامرات والدسائس " [٤].

لقد نجح الشاعر في التعبير عن الأوضاع العامة والخاصة بالحكم وكذلك الوزراء وتجلى اغترابه

---

[١] ينظر: شعر الأبيوردي (دراسة أسلوبية) ، أكرم علي عنير الرُبيَّعي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة المستنصرية ، كلية التربية ، ٢٠١١م / ١١٤.

[٢] الديوان : ٢ / ٢٧.

[٣] م . ن : ٢ / ١٣٦.

[٤] الاغتراب في الشعر العباسي ، د. سميرة سلامي ، دار الينابيع ، دمشق ط١ ، ٢٠٠٠م / ١٠٣.

السياسي في رفض تلك الأوضاع مما جعله ينقم على الدهر وعلى الدنيا ، قال: – البحر الطويل –

فـلا كـانَ دَهْـرٌ نِلْتُـمُ فيـهِ ثَـرْوَةً وتـبّـاً لِدُنـيـا أنـتُـمُ روَسـاؤُهـا [1]

عاش الأبيوردي مرارة النفي والاقصاء ، وتجرع معاناة الغربة والاغتراب فتمثلها شعراً وإبداعاً.

هاجر من بلاده إبيورد في خراسان بعد أن استولى أحد المتنفذين على أراضيه وضياعه. ثم عانى غربة أخرى في العراق و كان بالنسبة له أرض الأحلام وأرض الشهرة ، لكن العراق رفضه بسبب توجهاته السياسية فأقصاه الحكام والوزراء ، مع تلك الفجوة التي كانت بينه وبين أبناء مجتمعه لتلك الأخلاق القائمة على الخداع والوشاية والكذب ، مما أدى الى خلق علاقات متنافرة بينه وبين الناس[2].

وعلى الرغم أنَّ ولادة الشاعر كانت في بلاد العجم بيد أنه لم ينتمِ لها روحاً وفكراً ، فهي البلاد التي خرج منها بعد فشل بيَّن أثر وفاة والده ، و بدأ اغتراب الشاعر عند فقدانه وهو في عنفوان شبابه ، إذ وعده برتبة سياسية ، ولكن أفراد عشيرته أنتزعوها منه بمعونة غيرهم من المناصرين لهم والمناهضين[3] للابيوردي فانهالت عليه المصائب وتجرع مرارة النفي والالغاء فضلاً عن أستلاب السلطة والجاه ، وقد أشار الى ذلك بقوله: – البحر الطويل –

وَقَـدْ قَايَضَـتْهُمْ[4] إِذْ أُتِـيحَ بَوارُهـا بِشِـرْذِمَةٍ[5] يَنْمـيهِمُ شَـرٌّ والِـدِ

هُـمُ أَفْسَـدوا إِذْ صَـاهَرُونا أُصُـولَنا وَكَـمْ صَـالِحٍ شَـانَتْهُ صُـحْبَةُ فَاسِـدِ

أَرَاذِلُ مِـنْ أَوْبـاشِ مَـنْ تَجْمَـعُ القُـرى يَرومُـونَ شَـأْوي وَهْـوَ عِنْـدَ الفَراقِـدِ

وَلَـوْ شَـاءَ قَـوْمِي لَـمْ يَبُـلَّ عَـدُوُّهُمْ غَليـلَ الصَّـدى إِلَّا بِسُـؤْرِ المَـوارِدِ

وَحـاطَوا حِمـاهُمْ بِـي وَمـا اسْتَشْـرَفَتْ لَهُمْ غَوائِلُـهُ تَسْـري خِـلالَ المَكائِـدِ

وَلكِنَّنـي أَعْرَضْـتُ عَـنْهُمْ فَكُلُّهُـمْ يَلُـفُّ عَلـى الشَـحْناءِ أَضْـلاعَ حاسِـدِ

وَأَنْفَـعُ مِـنْ وَصْـلِ الأَقَـارِبِ لِلْفَتـى إِذَا زَهِـدوا فِيـهِ جِـوارُ الأَباعِـدِ [6]

---

[1] الديوان : ١ / ٥٨٨.
[2] ينظر: حول الأدب في العصر السلجوقي ، محمد التونجي : ٧٥
[3] يُنظر: الأبيوردي حياته ـ دراسة في شعره القومي – نوري شاكر الالوسي / ٣٨.
[4] المقايضة : عارضه بمتاع ، اذا أعطاه سلعة وأخذ عوضها سلعة أي بادلتهم كوفن ، لسان العرب مادة قيض ، ٥ / ٣٧٩٥
[5] شرذمة : القليل من الناس ، لسان العرب مادة شرذم ، ٤ / ٢٢٣١ .
[6] الديوان: ٢ / ١١١ .

أشار الشاعر في هذه الأبيات الى غياب قومه وعدم حضورهم ووقوفهم جنباً الى جنب في مواجهة تلك الشرذمة من الناس " فأول ما افتقده هو خذلان قومه ، لذا رفض انتماءه لهم وغيّبَة " [١] .

فهنا يعاتب قومه أنهم لو وقفوا معه لما استولى عليهم الأعداء، ووصفهم بالشرذمة أي المعروفة باللؤم والشر والخساسة و أعرض عنهم في آخر الابيات الشعرية لما اتصفوا به من الحسد والبغضاء والإعراض عنه وفي وصف آخر لهم قال: ـ البحر البسيط ـ

وَقَد سَئِمتُ مُقامِي بَينَ شِرذِمَةٍ إذا نَظَرتُ إِلَيهِم قَطَّبَتْ هِمَمي
أَراذِلٌ مَلَكوا الدُّنيا وَأَوجُهُهُم لَم يَكشِفِ الفَقرَ عَنها بَهجَةُ النِّعَم[٢]

أتكأ النص الشعري على الأفعال (سئمت ، نظرتُ ، مَلكُوا ، يكشف) فهي في حقيقة أمرها مغيبة فلم يُعرَّف عنهم الشاعر مما سبب ألم في نفسيتهِ . فالشاعر يحس باغتراب أمام تلك الشرذمة التي حكمت البلاد مما دعاه الى انتقاد هؤلاء والتعريض بهم ووصفهم بهذه الصفات فعبر عنهم (بالشرذمة والاراذل).

كان الشاعر يتوقع أن يحصل على مكانة سياسية بعد وفاة أبيه ؛ بحكم ما كان لأبيه من جاه ومكانة سامية ، وقد ذكر ذلك في قصيدته الفائية التي مدح بها والده ، إذ قال: ـ البحر الكامل ـ

يا بْنَ الأكارم دعوةً تَفْتَرُّ عنْ أمَلٍ بأنديةِ الملوكِ مُطيفِ
وعَدَتنيَ الأيّامُ عنكَ برُتْبَةٍ ووَفورِ حَظٍّ منكَ غَيرَ طَفيفِ
والعَبْدُ مُنْتَظِرٌ وهُنَّ مَواطِلٌ ومِنَ العَناءِ إطالَةُ التّسْويفِ[٣]

ولكن هذا الوعد لم يتحقق بل شرد الولد ولم يكن له حظاً بالحصول على هذه الرتبة.

والسؤال المطروح هنا كيف كانت علاقة الشاعر الأبيوردي مع الحكام والوزراء والامراء والسلاطين؟

اتصل الشاعر بالعظماء والوزراء والملوك في خراسان وأصفهان وبغداد وأختصّ بنظام الملك [٤] بكثير من قصائده فقرب مجلسه وادناه منه ، وبعده المقتدي (ت ٤٨٧ هـ) ، وبعده اتصل بالمستظهر (ت ٥١٢ هـ) حتى أصبحت له منزلة موضع منافسة الطامحين من رجال الدولة وبعد وفاة الاسفراييني[٥] ولي خزن خزانة دار الكتب بالنظامية في بغداد وهو منصب مهم

---

[١] جدلية الحضور والغياب – في شعر الأبيوردي ، د. فهد نعيمه البيضاني ، ٣٣٦.
[٢] الديوان : ٢ / ١٥٨
[٣] الديوان : ١ / ٦٥٥
[٤] نظام الملك هو أبو علي الحسن بن علي بن أسحاق الطوسي وزير الدولتين ، لم يسمع الدهر بمثله في سيرته وكرمه وعدله وزر للسلطانين ألب أرسلان : وملكشاه ، بقي في الوزارة حدود أربعين سنة / قتل سنة ٤٨٥هـ وهو مؤسس المدرسة النظامية : ينظر الخريدة : ٢ / ٦٠ ، تأريخ دولة آل سلجوق ، عماد الدين الاصفهاني (ت ٥٩٧ هـ) ، قرأه وقدم له:د. يحيى مراد ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٤م ، ٢٠١ .
[٥] وهو القاضي أبو يوسف يعقوب بن سليمان الاسفراييني ، كان فقهياً فاضلاً ، حسن المعرفة بالأصول على

وخطير[1]؛ لذا تعامل الشاعر مع جميع رجالات الدولة وكان لهم حضور في شعره . وكانت مواقفه متباينة كشفت عنها قصائده ، وعبرت عما في داخله اتجاههم وهو يتحدث عنهم أو يخاطبهم أو يهجو بعضهم ، غير أنه لم يجد في ديوانه أهاجي يذكر فيها أسماء الوزراء ، قد يكون فعل ذلك ولكن لم يضعه في ديوانه الذي كتبه.

في ديوانه كثير من قصائد المدح التي مدح فيها الحكام وغيرهم من رجالات الدولة ، ومن جهة أخرى كانت عناية الحكام العباسيين للشعر والشعراء عناية كبيرة فيتسبب بهدر بيت مال المسلمين على شعرائهم المداحين لتحقيق غايتهم السياسية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تحقق ما كان يصبو إليه الشاعر من مكانة مرموقة ، ولكن يبقى السؤال المطروح هنا: أي لون من الوان الشعر وظفها الشاعر الأبيوردي لتحقيق مطالبه السياسية ؟

وبمعنى آخر ما هو الغرض الشعري الذي كان مؤهلاً أكثر لتمثيل الخطاب السياسي العباسي وبطبيعة الحال فإنَّ فن المديح هو الأنسب لذلك التمثيل عمن سواه في العصور العربية كلها ، ومنها عصر بني العباس ، لذا كان الشاعر كثيراً ما يمدح الحكام لتحقيق غايته ، ولكنه ينصدم من الواقع حين لا يصل الى النتيجة المطلوبة من هذا المديح السياسي خصوصاً في ذلك العصر الذي كان يعيش فيه الشاعر ، لانه لم ينل ما ناله الشعراء من مكانة وحضوه وقد حصل عليها من لا يستحق.

ولعلَّ بعض قصائده في المديح تعود الى أحساس الشاعر بالغربة والاغتراب السياسي فيحاول من خلال المديح الوصول الى الرئاسة والسلطة ؛ كونه يؤمن بقوة الكلمة والفكرة التي قادت خطواته في الحياة ، فوضع له هدف سامٍ يجري ورائه ، لذا فأن الأبيوردي " بوصفه شاعر مديح لم يكن يبحث عن المال والتكسب في شعره بقدر بحثه عن الجاه والمنصب " [2] .

أو قد يكون المديح " في الغالب إلاّ أقنعة تكلم من ورائهم هؤلاء الشعراء عن همومهم وأشواقهم ، وقد يكون مدحاً لمثل أعلى في ذهن الشاعر ويكون الممدوح مجرد رمزاً وايماءة " [3].

لذا اتخذ الشاعر من المديح طريقاً للهروب أو مواجهة الصراعات النفسية التي يعانيها من الواقع السياسي وخاصة فيما يتعلق بطموحاته وتطلعاته السياسية.

مدح الأبيوردي نخبة من الناس وعلى رأسهم الحكام العباسيين المقتدي ت ٤٨٧ هـ ، وولده المستظهر بالله ت ٥١٢ هـ ، ومن السلاطين السلجوقيين ملكشاه ت ٤٨٥ هـ وولده محمد

المذهب الاشعري ، صنف كتاب المستظهر في الإمامة وشرائط الخلافة / وكتاب محاسن الآداب ، توفي في سنة ٤٩٨هـ ، فوات الوفيات : ١ / ١٤٥.

[1] الأبيوردي شاعر مشهور وعبقري لم يعرف قدرهُ ، بهروزالهي ، محمد شايكان مهر ، مجلة الكلية الإسلامية ع٢٦ ، ٤٢٥.

[2] الشعر في الإمارة المزيدية بين وهج التعبير وخبوِّه / د. علي عبد رمضان ، الرافد للمطبوعات ، ط٣ ، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م / ٥٥.

[3] دراسات في النص الشعري ، العصر العباسي ، د. عبده البدوي ، دار الرفاعي ، الرياض ، ط٢ ، ١٩٨٤م / ٨٠.

ت ٥١٠هـ ، ومن الوزراء نظـام الملك وولداه عـبيد الله وأحمد ، ومـن الامراء العرب صدقة بن منصور الأسدي ت ٥٢٩هـ [١] وغيرهم.

في بعض مدائحه ، ومنها مديحه لنظام الملك إذ تشفع به في استرجاع ضياع وقرى كان قد ورثها عن أبيهِ ؛ بيد أنه اغتصبها بعض الناس ، وكان بينه وبين آل إسحاق ، وهم أسرة نظام الملك الوزير وولديه أحمد وعبيد الله ما يربي على وشائج القربى إذ قال في ديوانه :

– البحر الطويل –

وَمَـنْ سَـلَبَتْهُ نَوْشَـةُ الـدَّهْرِ[٢] عِـزَّهُ ... فَـــنَحْنُ لِرَيْـــبِ الـــدَّهرِ لا نَتَـــذَلَّلُ

وَلَكِنَّنـــا نَحْمـــي ذِمـــارَ مَعاشِـــرٍ ... لَهُـــمْ آخِـــرٌ فـــي المَكْرُمـــاتِ وَأَوَّلُ

وَلَـمْ نَغْتَـرِبْ مُسْتَشْـرِفينَ[٣] لِثَـرْوَةٍ ... فَمَرْعَـى مَطايانـا بِيَبْـرِينَ[٤] مُبْقِـلُ[٥]

يبين الشاعر إنَّ اغترابه ليس للحصول على المال ؛ لانه غني النفس ، وجاء مديحه لهذه الأسرة لأَنّه وجدها تمثل الطريق الرحب في الوصول الى بغداد.

وظف الشاعر الرمز والصورة في رسائله التي أرسلها لنظام الملك فكانت رسالة تصويرية والتجأ الى الرمز بسبب الوضع السياسي مما يعطي فرصة للمتلقي لتأمل شيء آخر وراء النص فالرمز قبل كل شي ، معنى خفي وإيحاء ، " إنه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة " [٦].

ومدح الشاعر لنظام الملك وهو أعجمي يعود الى الصفات الحميدة التي كان يمتاز بها من الشجاعة ، والشرف ولكنه في الوقت نفسه يسعى الى تحقيق ما يرنوا إليه ؛ وهو نيل العلياء . فكتب إليه الشاعر يشكو له طول غيبته عن الوطن وما به من وعد.

إذ قال: – البحر المتقارب –

---

[١] أبو الاعز دبيس بن سيف الدولة أبي الحسن صدقة بن منصور بن دبيس ت ٥٢٩هـ حاكم الحلة المزيدية وأمير بادية العراق ، وكان شاعراً وله نظم الوافي بالوفيات ، الصفدي ، ١٣ / ٣٢١.

[٢] نوشة الدهر : طلبه ، تناوله ، لسان العرب مادة نوش ، ٦ / ٤٥٧٥.

[٣] مستشرفين : استشرفت الشيء ، وضع يده على حاجبه كالذي يستظلُّ من الشمس حتى يُبصِرَهُ ويستبينه ، لسان العرب ، مادة شرف ، ٤ / ٢٢٤٢.

[٤] ببيرن: أعلى بلاد بني سعد ، وقيل من أصقاع البحرين به منبران وهناك الرمل والموصوف بالكثرة ، بينه وبين الفلج ثلاث مراحل ، وبينه وبين الاحساء وهجر مرحلتان ، وهو فيما بينهما وبين مطلع سهيل / وقيل قرية من قُرى حلب ثم من نواحي عَزاز . معجم البلدان ٥ / ٤٩٠.

[٥] الديوان: ١ / ٥٩٩.

[٦] زمن الشعر ، أدونيس ، دار العودة بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٨ / ١٦٠.

أتَــرْوى وقــد صَــدَحَ الجُنْــدُبُ[1] غَرائِــــبُ[2] أخْطأَهـــا المَشْـــرَبُ
تَمُـــدُّ إلـــى المـــاءِ أعْناقَهـــا وهُـــــنَّ إذا ورَدَتْ تُضْـــــرَبُ
كـــأنّ السّـــماءَ لَهـــا مَنْهَـــلٌ عليـــهِ مـــنَ الحَبَـــبِ الكَوْكَـــبُ
فلـــيسَ إلـــى نَيْلِهـــا مَطْمَـــحٌ ولا لِكَواكِبهـــــا مَطْلَـــــبُ
ويَطْـــوينَ والـــرّوْضُ فـــي حُلّـــةٍ يجُـــرُّ رَفارِفَهـــا الأزْيَـــبُ...[3]
رُوَيْـــدَكِ يـــا نـــاقُ كـــمْ تَـــذْكُرينَ مُناخـــاً بـــهِ اسْتَأْسَـــدَ الثّعْلَـــبُ
يَهـــونُ الكَمـــيُّ بأرْجائِـــهِ ويَقْلَـــقُ فـــي غِمـــدِهِ المِقْضَـــبُ
ولَـــوْ كَفْكَـــفَ الـــدّهْرُ مـــنْ غَرْبِـــهِ طَغـــى فـــي أزِمّتِـــهِ المُصْـــحِبُ[4][5]

نقل الشاعر أحاسيسه وأفكاره بشكل مؤثر فالنص الشعري صادرٌ من خيال الشاعر واستطاع تقديم المعنى المراد التعبير عنه وتأثيره في المتلقي ، فوظف الرمز باستعمال الالفاظ (الجندب، غرائب) معبراً بهما عن وحدته وبعده وغربته ، فضلاً عن الصورة الشعرية في البيت الثالث التي رسمها الشاعر من خلال استعماله أسلوب التشبيه فشبه المنهل بالسماء لصعوبة مناله وهو ورودها والدليل عليه البيت الأخير حيث لون السماء يشبه لون الماء الصافي ، ولون الحبب ، يشبه الكوكب في الشكل فقطرات من الجليد تقع بالليل على الحشيش فتصير مثل الكواكب.

عبَّر الشاعر عن رفضه الظاهر للسلطة بوسائل مختلفة ، فكان محارباً ومضطهداً من قبلها ، ولكنه في الوقت نفسه مرتاحاً نفسياً ، فلو تخفى في رفضه لكان الشاعر مغدقاً بالهدايا والعطايا والمكانة العليا فعاش حالة من الترف ، فلم يختر الرفض المخفي ؛ لأنَّهُ ما كان متملقاً للسلطة ، وهو المعتز بنفسه وقومه ، فجاءت أشعاره تعبيراً عن سخطه وتمرده ، لأنَّهُ أراد أن يكون عنصراً فاعلاً في المجتمع ، ويخرج نفسه من عزلته ومصالحه الشخصية [6].

---

[1] الجُندب: الذكر من الجراد ، وهي كناية عن شدة حر القيظ لأنه إنما يصيح بالقيظ ، المعجم الوسيط ، نصار سيد أحمد ، د. مصطفى محمد ، ١٦٠ .

[2] الغرائب: النوق التي تختلط بين الأبل الأجانب فيُدفعن عن المشرب ويضربن ، لسان العرب مادة غرب ، ٣٢٣١/٥.

[3] يطوين : الطوي : الجوع وقيل ضمور البطن ، لسان العرب مادة طوى ، ٤ / ٢٧٣٠.
الأزيب: النكباء التي تجري بين الصبّا والجنوب وهي ريح عاصفة شديدة وقيل عن صاحب المجحل : الازيب : الجنوب ، لسان العرب ج٢ / ١٨٩٦.

[4] المُصحب: المنقاد المطيع ، واراد به نفسه ، يعني لو منح الدهر ثورته لطغى المنقاد وتجاوز حدّه ، لسان العرب مادة صحب ، ٤ / ٢٤٠١ .

[5] الديوان: ١ / ٦٠٦ ، ٦٠٧ .

[6] ينظر: الحضور والغياب في القصيدة العربية عند شعراء الدولة الحمدانية ، ضحى ثامر محمد ، أطروحة دكتوراه ، جامعة كربلاء ، كلية التربية ، ٢٠٢٠م / ٤٥.

وكانت القصائد المدحية للفخر بنفسه ونسبه ، وهذه المساحة تزيد أو تنقص حسب وضع الممدوح السياسي.

وعرف عن الأبيوردي أنه كان يكتب لقبه على كتبه اسم الخادم المعاوي فكره الخليفة النسبة الى معاوية فأمر الخليفة بشطب الميم لتصبح (الخادم العاوي) [١].

والغريب في هذه الرواية أن المراجع التي تناقلت الخبر أوردته حرفياً ولم تعلق عليه ، وأحسب أنه نكته غير مستساغة فكيف يصدر ذلك تجاه شاعر بلغ شأنه شأن المتنبي (ت٣٥٤هـ) عند سيف الدولة الحمداني (ت ٣٥٦هـ) وشأن أبن هاني (ت ٣٦٢هـ) عند الفاطميين [٢].

وقد نجد لتصرف الحاكم العباسي سبباً ـ إن صحت الرواية ـ لمكاتبته بني أمية في سبيل إرجاع الحكم إليهم.

ورسالته التي كتبها الى المستظهر بالله تبين أثر المكائد السياسية التي كانت السبب في خروجه من بغداد والتي قال فيها :

" وكان يغبُّ خدمه اتقاء لقوم يبغونه الغوائل، وينصبون له الحبائل، وتدعوهم العقائد المدخولة إلى تنفيره، ويرقّون عنه غير ما أجنّه في ضميره، ولا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذماما، ويزيدهم الاستدراج على الجرائم جرأة واقداما، حتى استشعر وجلا، فاتخذ الليل جملا، والتحف بناشئة الظلماء، والفرار مما لا يطاق من سنن الأنبياء.... " [٣].

وهذه فاتحة ما نظم ـ البحر الكامل ـ

وَعَــلامَ أَدَّرِعُ الهَــوانَ وَمَــوْئِلِي ... خَيْـرُ الخَلائِـفِ أَحْمَـدُ المُسْـتَظْهِرُ

وإنِ اقتَرَبْــتُ أوِ اغْتَرَبْــتُ فــإنّني ... لهِــجٌ بشُــكإ عَــوارفٍ لا تُكفَــرُ[٤]

ومن الأحداث التي نستشف منها عدم ارتياح الحاكم العباسي للشاعر اعطاؤه أرض نائية عن العمران ، بعد أن طلب الشاعر دار ليسكنها [٥] ، وهذا دليل واضح لإبعاد الشاعر وتنحيته عن السلطة ، لذا لعبت الوشاية السياسية دوراً كبيراً في غربة الشاعر خاصة في بغداد ، فلقد كان لها أثر بارز في تضييق الخناق عليه ومن ثم هروبه من بغداد.

وقد سجل الشاعر في ديوانه اكثر من نص شعري في هذا المجال منها قول الشاعر:

- البحر الطويل -

---

[١] ينظر: معجم الادباء : ٥ / ٢٣٦١ ، وسير أعلام النبلاء : ١٩ / ٢٨٥ .
[٢] ينظر: الأبيوردي دراسة في شعره القومي . نوري شاكرالالوسي / ٤٢.
[٣] معجم الادباء : ٥ / ٢٣٦٧ – ٢٣٦٨ .
[٤] الديوان : ١ / ٣٤٢ ، ٣٤٤.
[٥] ينظر الديوان: ١ / ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧.

فقَدْ صارَ أمري والأمورُ لها مَدًى إليكَ على رَغْمِ الأعادي مُفَوّضا [1]

أي قد صار أمري مردوداً مفوضاً إليك على الرغم العدا.

وقول الشاعر : – البحر الوافر –

وأزْجُرُ مِنْ نَزائِعِها[2] رَعيلاً[3] إذا وَقَذَ[4] الوَجى منها رَعيلا [5]

هنا يصور الشاعر حالة الفرس الغريب المجلوب من وطنه الى بلد أخر لعزَّته ونفاسته فينتزع إلى وطنه ، فيحن اليها وتتابع عليهن السير الى الأعداء فانَّ كلا منها رعيل قاد رعيل آخر . وهذا البيت أشاره لنفسه وغربته .

فلذا كانت خشية الشاعر من القتل من اعدائه ومناوئيه الحاقدين عليه ، سبباً إلى الإكراه على النزوح وقد عبر عن ذلك بقوله : – البحر الكامل –

فصَدَدْتُ عنها إذ نَباني مَعْشَري وبَغى عليَّ مِنَ الأراذِلِ مَعْشَرُ

مِنْ كُلِّ مُلْتَحِفٍ بما يَصِمُ الفَتى يُؤذي ويَظْلِمُ أو يَخونُ ويَغْدِرُ

فنَفَضْتُ منهُ يدي مَخافَةَ كَيْدِهِ إنَّ الكَريمَ على الأذى لا يَصْبِرُ

وأبَى لشِعْري أن أدَنِّسَهُ بهِمْ حَسَبي وسَبُّ ذوي الخَنا أن يُحقَروا[6]

وعميد الدولة أبن جهير [7] هو من كان يحوك الوشاية السياسية والتي يقول فيها " إنَّ الأبيوردي قد قد هجا الخليفة العباسي ومدح صاحب مصر فأبيح دمه وهرب الى همدان" [8] وسجل الأبيوردي هذه الحادثة في قصيدته التي يعاتب فيها المستظهر بالله العباسي إذ قال : – البحر الطويل –

أصاخَ إلى الواشي فلبّاهُ إذ دَعا وقدْ لا يُرعي النّمائِمَ مَسْمَعا

وباتَ يُناجي ظنّهُ فيَّ بَعدَما أباحَ الهَوى مِنّي حِمى القَلْبِ أجمَعا

ومَنْ ناوَل الإخوانَ حبلاً مَشى البلى إلى طَرَفَيْهِ هَمَّ أن يتقَطَّعا

---

[1] م . ن : ١ / ٣٧٢ .
[2] نزيع: الشريف من القوم الذي نَزَعَ الى عرق كريم وكذلك فرس نزيع ، لسان العرب ، مادة نزع ٤٣٩٥/٦.
[3] الرعيل: القطعة من الخيل ، لسان العرب ، مادة رعل ، ١٦٧٤/٣.
[4] وقذ : ضربه حتى استرخى واشرف على الموت ، وقذه ال أذ غلبه ، لسان العرب ، مادة وقذ ٦ / ٤٨٨٩.
[5] الديوان : ١ / ٣٩٩ .
[6] م . ن : ١ / ٣٤٦
[7] أبن جهير ت ٤٩٣هـ هو أبو منصور الوزير عميد الدولة ابن الوزير فخر الدولة محمد بن محمد كان خبيراً فصيحاً مترسلاً مهيباً . مدحه عشرة الاف شاعر بمئة الف بيت . وانتهى امره أن حبسه الخليفة المستظهر بالله واستعفى أمواله ثم قتله في سجنه : ينظر الوافي بالوفيات ٢٧٢ ، والاعلام ٧ : ٢٤٦.
[8] ينظر : معجم الادباء : ٥ / ٢٣٦٠.

فـمـا غَـرَّهُ مِـنْ مُـضْـمِـرِ الغِـلِّ كـاشِـحٌ ... إذا حَـــدَرَ الخَـصْـــمُ اللِّثـــامَ تـقَـنَّعـــا
سَـعـــى بـــي إليـــه لا هَـدى اللهُ سَـعـيَهُ ... ولـو نـالَ عنـدي مـا ابْـتـغاهُ لَمـا سَـعى
وحـــاوَلَ مـــنـــي غِـــرَّةً حـــال دونَهـــا ... مَـكـــائِدُ تـــأبـــى أنْ أُغَـــرَّ وأُخْـدَعـــا
ولمّـــا رأى أنـــي تَـبَـيَّنـــتُ غَـــدْرَهُ ... وأدْرَكْـتُ حَـزْمَ الـرّأي فـيـه وضَـيّـعـا
أزارَ يَـــدَيْهِ نـــاجِـــذَيْهِ تَـنَـدُّمـــاً ... يُـبَـوِّئُهُ فـي بـاحَـةِ المَـوْتِ مَـصْرَعـا
أعِـنّـــي عـــلى دهْـــرٍ تَـكـادُ خُـطـوبُهُ ... تُـبَـلِّغُ مَـنْ يَـضْـرَى بِـنـا مـا تَـوَقَّعـا
فـقَـدْ هَـدَّ رُكـنَـيَّ العَـدُوُّ ولـم يـكُـنْ ... يُـحـاولُ فـيـنـا قَـبْـلَ ذلـكَ مَـطْـمَـعـا
أفـي الحَـقِّ أن يَسْتَرقِـعَ العِـزُّ وَهْـيَهُ ... وأنْ أتَـــردّى بـــالهَـــوانِ وأضْـرَعـــا
ويَـرْتَـعُ فـي عِـرْضـي ويُـقْـبَـلُ قَـولُهُ ... ولَـوْ رُدَّ عـنْهُ لـمْ يَـجِـدْ فـيـهِ مَـرْتَـعـا
أُراعُ ولـمْ أُذْنِـبْ وأُجْـفـى ولـمْ أُخَـنْ ... وقـد صُـدِّقَ الواشـي فـأخْـنـى وأقْذَعـا [1]

الواضح من الأبيات الشعرية معاناة الشاعر النفسية في محاولة ابعاده والتخلص منه. كما جاءت الابيات وصف لنفاق الطبقة التي تحيط بالحكام مما أثر تأثيراً سلبياً في الشاعر و نجده قد عبرَّ عما يختلج في داخله لانه أراد ان يكون حراً ، ورفض هذا الواقع المزري وذلك " لأن الفرد لا يستطيع أن يكون حراً إلا بوصفه كائناً سياسياً " [2] فجاءت اشعاره معبرة عما كان يعانيه من الوشاية السياسية مستعملاً لغته الحادة " فاللغة تتيح للفرد أن يأخذ موقفاً واعياً ضد أقرانه " [3] . ورأى أن غربة الإنسان في وطنه تأتي من فقدانه لحريته في التعبير عن أفكاره وآرائه السياسية ، فالشاعر عاتب الخليفة لأنه سمع من الوشاة ما يسيء إليه وفي الختام طلب العفو والاستعطاف.

صوَّر الشاعر الوشاة وعرّض بالوزير ، وكان يقصده بشعره ، تصويراً دقيقاً بكل انفعالاته منتقداً إياهم ذاكراً عيوبهم ، وبما أضمروه من حقدٍ وغلٍ ، داعياً عليهم بقوله (لا هدى الله سعيه) ، تميَّز نقد الشاعر بأنه نقد لاذع ناشئ من مرارة عاشها ، فانفجر فناً مثيراً منطلقاً من الواقع إلى عالم النقد لأسس سياسية كاشفاً عن أستغلال الوزراء والأمراء والقادة مواقعهم السياسية ، فسلطَّ الضوء على الظالم والمظلوم ، وسعى لاظهار خصمه بعيداً عن جادة الصواب ، ولعلَّ المتأمل لهذه المقطوعة يستشف تزييف هذه الطبقة للحقائق ، وسعيها بالوشاية للحاكم العباسي لإستثارته والتحريض ضدّه في موقفٍ ينأى بهم عن الخلق الرفيع والعادات الاصيلة !.

---

[1] الديوان : ١ / ٣٣٣ – ٣٣٨ – ٣٣٩ .
[2] العقل والثورة هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية ، هربرت ماركيوز ، ترجمة د. فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية للنشر ، ١٩٧٠م : ٣١٨.
[3] م . ن / ٩٣.

ومن شعر الأبيوردي مع الوزير ضياء الملك وقد بيَّن فيه عزمه على الرحيل وعاتبه بقصيدة شعرية قال فيها : ـــ البحر الطويل ـ

أَتَى العيدُ طَلْقَ المُجْتلى فَتَلَقَّهُ ... بِوَجْهٍ يَروقُ النَّاظِرَ المُتَأَمِّلا
وَضَحِّ بِمَنْ يَطْوي على الحِقْدِ صَدْرهُ ... فَإِنَّكَ مَهْما شِئْتَ وَلاّكَ مَقْتَلا
وَأَرْعِ عِتاباً تَحْتَهُ الوُدُّ كامِنٌ ... مَسامِعَ يَمْلأْنَ الثَّناءَ المُنَخَّلا
أَرَى مَلاَ حَيثُ التَفَتُّ يُهيبُ بي ... وَما كُنتُ أَخْشَى أَنْ أُفارِقَ عَنْ قِلى
أَمِنْ كَذِبِ الواشي وَتَكْثيرِ حَاسِدٍ ... إذا لَمْ يَجِدْ قَوْلاً صَحيحاً تَقَوَّلا
رَمَيْتَ بِنا مَرْمَى الغريبةِ جُنِّبَتْ ... عَلَى غُلَّةٍ تُدمي الجَوانِحَ، مَنهَلا
وَأَطْمَعتَ في أَعْراضِنا كُلَّ كاشِحٍ ... يُجَرِّعُهُ الغَيْظُ السِّمامَ المُثَّملا [1]

مثل النص الشعري تعبيراً عن الواقع وتوظيف مناسبة العيد لِماَ لهذه المناسبة من أثرٍ كبير في حياة المسلمين كما وظف الأفعال الماضية مثل (أنى ، وضحَّ ، وأروع ، أرى ، رميتَ) لتضفي على النص عدة معاني منها (الحركة ، والانتقال ، والتغيير ، والتبدل ، والحيوية ، والخوف ، والقلق) ، واستعمل أسلوب الاستفهام للحديث عن الوشاة وكذبهم وغدرهم وعدم الاخبار بالقول الصحيح ثم تحدث عن غربته ووحدته التي يمثلها بالناقة الغريبة التي تختلط بين الابل الأجانب فتدفع عن الماء وتضرب ضرباً ، وتحدث عن كل عدو باطن العداوة وشديد البغض. فشعر بغياب العدالة والمساواة وأحسَّ بالضياع الناجم من استبداد السلطة الحاكمة.

جسَدَّ الأبيوردي الآخر خصيماً مهجواً ، والمهجوون في شعره أولئك الذين تولوا ما لا يستحقونه من المناصب ، فقد رصد الجوانب السلبية لهم ، فحضورهم غياب ، غياب عن قناعة الشاعر ، وعن منفعة الرعية ، فنجدُ الشاعر غَيبهم شعراً بإسقاط قدراتهم وتصاريف الدهر التي مكنتهم من الحصول على ما لا يليق بهم. قال : ـ البحر الطويل ـ

بُلينا بِقَومٍ يَدَّعونَ رِئاسَةً ... لَها طُرُقٌ يَعيَى عَلَيهِم سُلوكُها
فَتَبّاً لِدَهرٍ قَدَّمَتهُم صُروفُهُ ... وَما خَيرُ دُنيا هَؤلاءِ مُلوكُها [2]

---

[1] الديوان : ١ / ٥٥٣ .
[2] الديوان : ٢ / ١٣٩ – ١٤٠ .

طمح الشاعر أن تنصفه صروف الزمان ، والمتتبع للنسق السياسي يجد أن النص الشعري اتكأ على استراتيجية تقوم على فهم النص عبر المفارقة الدلالية ليجعل القارئ أمام خطابين الأول الخطاب المكتوب والمنطوق والثاني النسقي المضمر الذي يتكأ على تأويلات الذهن البشري النابعة من أنظمة سائدة في الواقع.

فالشاعر يومئ في هجائه لمَن حكم البلاد بغير علم ودراية ، فقد عرّض الشاعر بقوم قدمهم الزمان لثرائهم فقال: – البحر الطويل –

أَرِقْنـــا وَأسْـــرابُ النُّجـــوم هُجـــوعُ ... نُعـــالِجُ هَمّـــاً أَضْـــمَرَتْهُ ضُـــلوعُ

وَنُعْـرِضُ عَـنْ بـيضٍ تُـديرُ وَراءَنـا ... عُيـــونَ مَهـــاً فيهـــا دَمٌ وَدُمـــوعُ

وَنَـــنْهَضُ لِلْعَلْيـــاءِ وَالجَـــدُّ عـــاثِرٌ ... وَنَحْـــنُ بِمُسْـــتَنِّ الهَـــوانِ وُقـــوعُ

وَهَـــلْ تَرْفَـــعُ الأَيـــامُ إِلّا عِصـــابَةً ... عَفَـــتْ بِهِـــمُ لِلْمَكْرُمـــاتِ رُبـــوعُ

لَهُـمْ ثَـرْوَةٌ يَمْتَـدُّ فـي اللُّـؤْمِ باعُهـا ... حَواهَـا نَعـامٌ فـي النَّعـيمِ رَتُـوعُ

إِذَا شَـبِعوا بـاتُوا نِيامـاً وَجَـارُهُمْ ... يُصـارِمُ جَفْنَيْـهِ الكَـرَى وَيَجُـوعُ

شَكَتْ عُقَبَ المَسْرَى مَطَايَا تَؤُمُّهُمْ ... وَتَـذْرَعُ أَجْـوازَ الفَـلا وَتَبـوعُ

فَـلا زِلْـنَ حَسْـرَى لِـمْ حَمَلْـنَ إِلَـيْهِمُ ... فَتـىً لا يُنـاغِي نَاظِرَيْـهِ خُشـوعُ

وَهُـمْ نَفَـضُ الآفـاقِ قَـدْ خَبُثَـتْ لَهُـمْ ... أُصُـولٌ فَمـا طَابَـتْ لَهُـنَّ فُـروعُ

إِذَا زَارَ مَغْنـاهُمْ كَـريمٌ فَمـا لَـهُ ... إِلَـيْهِمْ إِذَا حُـمَّ الفِـرَاقُ رُجـوعُ [1]

فالمتأمل في النص الشعري يستشف الرؤية الشعرية التي وظفها الشاعر في ذكره للمهجوين ، وفق موازنة غير عادلة ، إذ ترفع أناساً وتذل آخرين ، ومهما كانت الأرضية التي أستند إليها الشاعر في نقده وهجائه ، ومهما كان هذا الهجاء واضحاً " إلا إنه قد يصبح لوناً من الخداع أو حجاباً يرد البصر عن رؤية ما يستتر خلفه" [2] .

أبعد الشاعر هؤلاء عن الإنسانية إذ شبههم بالنعام لغفلتهم إذ ان النعام أغفل الطيور ، وثرواتهم لئيمة المنحى ، شبعوا وجارهم جائع ، وناموا وهم يصارعون الكرى ، أصولهم خبيثة وفروعهم لم تطبْ ابداً ، فإذا زارهم الكريم فلا يعاود ذلك.

---

[1] الديوان : ٢ / ٧٢ – ٧٣.
[2] الحضور والغياب في القصيدة العربية / ضحى ثامر ، ٩٨.

فلم تكن السلطة قادرة على أحتواء الخطاب الشعري فاختار الشاعر موقف الرحيل من بغداد متجهاً الى بلاد العجم ؛ لانه لم يحظَ بالقبول لدى السلطة التي انتقدها الشاعر بسبب أفعالها ومواقفها .

المبحث الثاني

التفاخر والتطلع القومي عند الشاعر الأبيوردي

المبحث الثاني

التفاخر والتطلع القومي عند الشاعر الأبيوردي .

١- الفخر وأثره في شعر الغربة والاغتراب

من أهم الأغراض الشعرية التي لعبت دوراً مميزاً في كسر اغتراب الشاعر وقهره ؛ وقد اتسم غرض الفخر بطابع الخلود والتفرد ، فالفخر تعبير عن تنازع الوجود وتحقيق الذات . فهو يمثل اعتزازاً بالنفس ويمكن القول بأنَّ غرض الفخر كان موجوداً في العصور السابقة ! العصر الجاهلي والإسلامي وبلغ أوجه في العصر العباسي في شعر أبي تمام (ت٢٣١هـ) والمتنبي (ت٣٠٤هـ) وأبي فراس (ت٣٥٧هـ) وأخذ هذا الغرض يقل تدريجياً وذلك يعود لعدة أسباب منها بعد الشعراء عن الأرض العربية ، والروح العربية الأصيلة وسيطرة غير العرب على مقاليد الحكم وأسباب أخرى كثيرة [١] .

عرف الفخر في العصر السلجوقي بالطرافة في معانيه وبالصدق في دلالته على الرغم ما يشيع فيه من المبالغة المفرطة لكن أصحابه كانوا يتصفون بالصدق في أشعارهم ، وتمتلئ به قلوبهم، وتختفي نبرات الكذب في ادعاءاتهم [٢] .

اما د. علي جواد الطاهر عند حديثه عن الفخر قال : " لقد هيأت هذه المطامح البعيدة لاصحابها اجادة كان معها الفخر من خيرة أغراض العصر لما حوى من اصالة وطرافة .... وأوهام ذات دلالات نفسية ، ومعان اجتماعية " [٣].

نظم الأبيوردي (٨٢) نصاً شعرياً في غرض الفخر وهذا يدل على احساس الشاعر في بعض قصائده بالاغتراب ، فهو من وسائل الشاعر الدفاعية ، "فبدأ الفخر كأنه صرخات مدوية يطلقها الشاعر لإثبات الوجود ضد تهديم العدم المتمثل بالمعاناة التي قاساها الشاعر" [٤] .

مَثّلَ غَرَضُ الفخرِ احتواءه على سمات عدَّة منها الاختلاف عن النسق الثقافي السياسي ، فهو يفخر بنفسه وقومه وهو الأموي في الزمن العباسي وقد سار على طريق المتنبي من حيث خروج الشعر عن النسق المألوف.

سار الأبيوردي في غرض الفخر على وفق ما سار عليه الشعراء قبله ولكنه تأثر بشكل كبير في الاعتزاز بالنفس والتفاخر بالشاعرية ، بالمتنبي شاعر العربية الأول (ت ٣٥٤هـ) ، حتى اطلق عليه بعض الباحثين لقب ((المتنبي الصغير)) ؛ لتشابه الأسلوب والصياغة .

---

[١] ينظر : حول الادب في العصر السلجوقي / ١٤٤ – ١٤٥ – والشعر في العراق وبلاد العجم ٢ / ١١٤. وتاريخ الادب العربي وعصر الدول والإمارات ٥ / ٥٩٦.

[٢] ينظر : الأبيوردي حياته وشعره : محمود إسماعيل عبد القادر عمار ، بحث رسائل جامعية ، رسالة دكتوراه ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٩٨٨.

[٣] الشعر العربي في العراق / ٤٠٧.

[٤] عراقيات الابي وردي – دراسة تحليلية ، أطروحة دكتوراه ، عماد جغيم / ٢٤.

لقد استمد الشاعر الأبيوردي (ت ٥٠٧هـ) أصالته في فن الفخر من همته العالية ومطامحه البعيدة التي كشفت عن نفسيته وآرائه الاجتماعية ، وقد جاد في هذا الفن ولم يكن على نمط واحد فيه فأحياناً يرد في قصائد طويلة وأحياناً أكثر في مقطعات قصيرة ، وفي كثير من الأَحيان يرد منبعثا في داخل مدائحه الطويلة [١] ، قال مفتخراً بنفسه وقومه .

ـ البحر البسيط ـ

النَّاسُ مِنْ خَوَلي وَالدَّهْرُ مِنْ خَدَمي ... وَقِمَّةُ النَّجْم عِنْدِي مَوْطِئُ القَدَم

وَلِلْبَيان لِساني وَالنَّدى خَضِلٌ ... بِهِ يَدي وَالعُلا يُخْلَقْنَ مِنْ شِيَمي[٢]

فَأَيْنَ مِثْلُ أَبي في العُرْبِ قاطِبَةً ... وَمَنْ كَخالِيَ في صُيّابَةِ الَعجِم

وَالنَّسْرُ يَتْبَعُ سَيْفِي حِينَ يَلْحَظُهُ ... وَالدَّهْرُ يُنْشِدُ ما يَهْمي بِهِ قَلَمي

لَوْ صِيغَتِ الأَرْضُ لي دُونَ الوَرى ذَهَباً ... لَمْ تَرْضَها لِمُرَجِّي نائِلي هِمَمِي

وَعَنْ قَليلٍ أُرَى في مَأْزِقٍ حَرِجٍ ... بِهِ تُشامُ السُّرَيْجيّاتُ في القِمَمِ[٣]

وَالبيضُ مُرْدَفَةٌ تَبْدو خَلاخِلُها ... في مَسْلَكٍ وَحِلٍ مِنْ عَبْرَةٍ وَدَمِ[٤]

فَالمَجْدُ في صَهَواتِ الخَيْلِ مَطلَبُهُ ... وَالعِزُّ في ظُبَةِ الصَّمْصامَةِ الخَذِمِ[٥]

حضور (الأنا) المتمثل بضمير المتكلم (الياء) بـ (خَولي ، خدمي ، لساني ، يدي ، قلمي).

إذ تتجلى النظرة المتعالية عند الشاعر في ذم الناس وتحقيرهم ، والغلو في ذلك غلواً كبيراً ، مع حضور الذات الشاعرة ، إذ " هي الذات المؤسسة والمنتجة للنص الشعري التي تنطلق في تأسيسه من مرجعيات ثقافية وأجتماعية وفكرية وتاريخية ، ويتفاوت حضورها تبعاً للتجربة الشعرية التي تحملها " [٦] إذ لا يمكن لأي منجز شعري أن ينشأ من فراغ.

يفخر الشاعر بمناقبه وحسبه ، ونسبه ، وآبائه ، وأخواله وأن كانوا من العجم ، وبشجاعته وببلاغته الشعرية ، الأنا مقابل الآخر الذي يمثل السلطة ، محاولاً كسر اغترابه ولعل ذلك يعود الى الصراع الذي عاشه الشاعر بين ذاته والآخر فهو يشعر بأنه أبعد ما يكون مع الآخر من حيث عدم وجود توافق روحي وفكري ، شعر بإنَّ هناك بوناً واسعاً بينهما ، وإنّه مضطهد مما أدى الى شعوره

---

[١] ينظر : بين المتنبي والأبيوردي : دراسة أدبية احصائية مقارنة د. محمد أبو صالح ، الدكتور عدنان عوض و الدكتور عمر الأسعد ، جامعة اليرموك ، الأردن ٢ / ٢٧٤.

[٢] خضل : أي رطبٌ ، لسان العرب مادة خضل ، ١١٩٠/٢.

[٣] تشام : شام السيف : أدخله في غمده ، المعجم الوسيط ، ٢٨٨.

[٤] الخدم : سرعة القطع ، لسان العرب مادة خذم ، ١١١٩/٢.

[٥] الديوان : ٢ / ٦٨ ــ ٦٩ .

[٦] جدلية الحضور والغياب في شعر الشريف الرضي.أ.م.د. حازم حسن سعدون ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، مجلة الأستاذ ، ع٥ ، مج١ ، ٢٠١٨ / ٢.

بالغربة . فهو يرفع من الأنا مقابل الآخر فيكوّنْ حالة من المقاومة والرفض. والمتأمل في شعر الأبيوردي يتبين له بوضوح الجانب الذاتي في اغلب القصائد إذ تبرز شخصية الشاعر (الأنا) جلية ، إذ تتضخم عند الشاعر ، فالفخر كل ما ((دار حول العقل والقلب واللسان ، وما دار حول القبيلة ، والآباء والأجداد)) [١].

الأبيوردي يمثل ذاته ويعتد بها أعتداداً كبيراً ، فهو يفخر بأمويته ويذكر نسبه الذي ينتمي الى عدنان القبيلة الأم لقريش وأما خواله من سروات سبأ ، ويجسدّ ذلك في ابياته :

ـ البحر البسيط ـ

أَنـا المُعـاويُّ أَعْمـامِي خَلائِـفُ مِـنْ ... أَبْنـاءِ عَـدْنانَ وَالأَخْـوالُ مِـنْ سَـبإِ

فَمـا لجـدِّي وَلا لِـي فـي العُـلا شَـبَهٌ ... وَأَيْـنَ شِـبْهُ أَبـي سُـفيانَ فـي مَـلإِ

سَـادَ الأَنَـامَ فَلَـمْ يُعْـدَلْ بِـهِ أَحَـدٌ ... وَكُـلُّ صَـيْدٍ كَمـا قـد قيـلَ فـي الفَـرَإِ[٢]

لَكِنَّنـي فـي زَمـانٍ أَهْلُـهُ هَمَـجٌ ... وَكُلُّهُـمْ حِـينَ تُطْريـهِ أَبـو لَجـإِ[٣]

يـا دَهْـرُ حَتّـامَ تَجْفـو مَـنْ تُـزانُ بِـهِ ... أَمَـا لَـدَيْكَ بِمـا يَلْقـاهُ مِـنْ نَبَـإِ [٤]

تمثل لفظة (أنا) الفخر المتعالي وحضور الذات الشاعرة ، كما يبالغ في حضور ذاته بقوله (ولا لي في العُلا شبهٌ) فهو يُعلّي من أنا على غيره ، ثم يربط هذا الحضور بالزمان.

أي أن التغييب أرغمه عليه أناس (همج) فالزمان أنصف هؤلاء وظلمه ، ومن الملاحظ أنَّ ذاته قد مثلت في هذه الأبيات حالة من التسامي الذي يعرف بإنه شعور بتعالٍ مبالغ فيه لقيمة الذات ، او الموضوع ، وتمثيل رؤاه الذاتية تجعله في مقام ومنظور أعلى من حالته الاجتماعية وتمنعه من الشعور بالإنكسار [٥] .

سلك الشاعر في غرض الفخر مسلكين فمرة يفخر بنفسه ومرة يفخر بقومه والعجيب أنه يمدح حكام بني العباس ، وهو يصرح بنسبه لبني أمية ويشيد بأمويته ، وهو العَالِم النسَّابَة ، هل خَفِيَ عليه موقف العباسيين من الأمويين !؟ مع ذلك فهو يصرُّ على أمويته في كل مديح يقوله لخليفة أو وزير ، وكأنه ينوي مقدماً أن يتحمل في سبيله كل عناء أو عتب أو غضب أو جفاء أو قتل فضلاً عن غربته ، ويرى نفسه فوق ذلك ، قال :

أنـا ابـنُ الأكـرَمينَ أبـاً وأمّـاً ... وهُـمْ خَيْـرُ الـوَرى عمّـاً وخـالا

---

[١] الفخر والحماسة ، د. حنا الفاخوري ، ط٥ ، دار المعارف ، د.ت ، ٥.

[٢] الفرأ : حما الوحشي ، وقيل الفتيُّ منها ، لسان العرب مادة فرأ ، ٣٣٦٧/٥.

[٣] الهمج : ذباب صغير كالبعوض يسقط في وجوه الغنم والحُمُر وأعيُنها ، لسان العرب مادة همج ، ٤٦٩٦/٦.

[٤] الديوان : ٢ / ١١٣.

[٥] ينظر: نقد الشعر في المنظور النفسي ، د. ريكان إبراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، أفاق عربية ، ١٩٨٩ : ٢٩.

فـــإنْ أفْخَـــرْ بِآبـــائِي فـــإنّي أراهُـــمْ أشْـــرَفَ الثَّقَلَـــيْنِ آلا

فـــإنْ أمْـــدَحْ إمامـــاً أو هُمامـــاً فَـــلا جاهـــاً أرومُ ولا نَـــوالا[1]

يبالغ الشاعر بذاته ويفخر بنسبه وهذا الفخر يذكرنا بفخر المتنبي ولكن الفرق بينهما " أن الأبيوردي أكثر قصداً في فخره وثورته وتحدثه عن مطامحه على أنّ له أصلاً في الملك يجعل كلامه أقرب الى القبول وأدنى الى التصديق " [2] .

وليس بغريب أَنْ لا نرى الشاعر الأبيوردي من شعراء الحاكمين اللذين عاصرهما الشاعر، هما المقتدى بأمر الله ، والمستظهر بالله ، ولا يعد المؤرخون الأبيوردي شاعراً معهم ، لأنه لم يتكسب بالشعر كما فعل غيره من الشعراء ولم يتملق أو ينافق السلطة الحاكمة بل كانت أشعاره تعبر عن ارضاء لذاته [3] .

إنّ أشعاره عبرت عن معاناته النفسية وأثارت القلق في الذات وقيل أنه اختلق هذا النسب ولكن لا نجد في ديوانه إشارة الى هذه التهمة ، ولو شاء الشاعر ان يختلق نسباً لاختلق غير هذا لعلم الشاعر كره أهل خراسان لبني أمية وكره بني العباس كذلك ، ويمكن القول إنّ أشعاره اكبر دليل على نسبته لبني أمية [4] .

وتبرز الأنا المتضمنة عند الشاعر في كثير من الأبيات ومنها قوله : - البحر المديد -

نقمـــــي تتبعهـــــا نعمـــــي ويمينـــــــي درَّةُ الـــــــدِّيمِ

لَيْـــتَ شِـــعْري ، وَالمُنـــى خُـــدعٌ هَـــلْ أُرَوِّي صـــارمي بِـــدَمِ

وَجِبـــــاهُ الصِّـــــيدِ لاثِمَـــــه مـــا تَمَـــسُّ الأَرْضُ مِـــنْ قَـــدَمي

تَقْتَفـــــي الأَفْـــــواهُ مَوْطِئهـــــا راعِيـــــاتٍ حُرْمَـــــةَ الكَـــــرَمِ

أَتَـــــراه خَـــــدَّ غَانِيَـــــةٍ مَـــــدَّ لِلتَقْبيـــــلِ كُـــــلَّ فَـــــمِ [5]

في الأفعال والأسماء الموجودة في النص (نقمي ، نعمي ، يميني ، شعري ، أروي ، صارمي ، قدمي ، تقتفي) والتي نسبت إلى ياء المتكلم إشارة الى الذات المتعاظمة وكأنما يلغي الآخر وهي إشارة الى سلب حقوقه وإلغائهِ من قبل السلطة الحاكمة.

---

[1] الديوان : ١ / ١٤٢.

[2] أبو المظفر الأبيوردي : شاعر القرن الخامس ، د. عبدالوهاب عزام ، مجلة الرسالة ، العدد ٤١٩ ، القاهرة ؛ ١٩ جمادي الآخر ، ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م. السنة التاسعة : ٨٨٨.

[3] ينظر: أبو المظفر الأبيوردي شاعر العروبة في القرن الخامس الهجري ، د. جميل سعيد ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج٣ ، مج٣٩ ، بغداد ، ١٩٨٨م / ١٧٩.

[4] م . ن / ١٧٢.

[5] الديوان : ٢ / ٤٢ – ٤٣ .

هذا الصراع النفسي سلب منه الطمأنينة من ذاته فصاغ أشعاره محاولاً الدفاع عنها ويتجلى ذلك بافتخاره بالذات . وأصبحت مستودعاً لعواطفه النفسية وسجلاً لشخصيته الذاتية ومرآة لصناعته الشعرية ، محاولاً إخفاء العجز الذاتي أمام نوائب الدهر وسياسية الحكم.

ـ البحر الطويل ـ

خليلـيَّ إنَّ الأرضَ ضـاقتْ برحبهـا وكـم بـينَ أطـرافِ القنـا مـنْ منـادحِ

ولا عزَّ إلاّ صـهلةُ الخيلِ فـي الـوغى فَـلا تَأْلَفـا شَـدْوَ القِيـانِ الصَّـوادِحِ

وأحظـى بملـكٍ مـنْ جـدودي ورثتـهُ فزنـدي وريٌّ وهوَ فـي كـفِّ قـادحِ [1]

لم يقتصر فخر الشاعر الأبيوردي على ذاته ، ونسبه ، وشجاعته ، وعفته وكرمه بل كان شديد الفخر بشاعريته والاعتزاز بشعره ، محسَّاً بجودته وعظيم قيمته ، قوي الثقة من بقائه وخلوده على مدى الزمان . إذ قال الشاعر: ـ البحر الخفيف ـ

كلمـــــاتي قلائـــــدُ الأعنـــــاقِ سَوْفَ تَفنى الدُّهُورُ وَهْيَ بَواقِ [2]

والخلاصة: أن الأبيوردي شاعر العرب في القرن الخامس ، وشعره يفصح عن عزه وإبائه ويصور أخلاقه وطباعه ، مما قهر اغتراب الشاعر، بأسلوبه الشعري الذي كان وسيلة لتحقيق أهدافه وطموحاته وتطلعاته ، فلجأ الشاعر الى الاعتداد بنفسه وبنسبه وتعظيم لذاته ؛ لأنه يرى الذات " في درجاته المعقولة أمراً صحياً لإنّه سوف يقي الشخصية من الترهل ويحصن الذات من الابتذال " [3].

ويظهر ذلك جلياً في شعره في قوله : ـ البحر الطويل ـ

وتسحبني ذيلَ الخصاصةِ، والعُلا تُحَمِّلُنـي عِـبْءَ السِّـيادَةِ مُعْـدِما

وأهتـزُّ عنـدَ المكرمـاتِ فشـيمةٌ لنـا سـاعَةَ الضَّـرَّاءِ أَن نَتَكَرَّمـا

.

.

وَتَـأْلَفُ نَفْسـي عِزَّهـا وَهْـيَ حُـرَّةٌ ترى الكبرَ غنماً والضَّراعةَ مغرما

ولـي نظـرةٌ شـطرَ المعـالي وهمَّـةٌ أبـت أن تـزورَ الجانـبَ المتجهِّمـا

---

[1] الديوان : ٢ / ١٢٦ ـ ١٢٧.
[2] الديوان : ٢ / ٩٩.
[3] نقد الشعر في المنظور النفسي / ريكان إبراهيم : ١٢٣.

.

.

وَأَقْــرَعُ أَبْــوابَ المُلــوكِ بِوالِــدٍ حَوى بِأَبي سُفيانَ أَشْرَفَ مُنْتَمَى [1]

عُرِفَ غرضُ الفخر بأنه من أكثر الموضوعات لأثبات دلالة الأنا وتعاليها وتفردها ، فهو بمثابة احتجاج ورفض ، وإنصاف لنفسه بعد تهميش الآخر له ، فيجعل الشاعر نصيباً من الاعتداد بالنفس والمدح الذاتي مقابل مدح الآخر ، وشعوره بتفوق الآنا شعرياً ؛ مما يقلل من حدّة الشعور بالغربة [2].

٢ـ التطلع القومي عند الشاعر الأبيوردي.

يُعدُّ الشاعر الأبيوردي علماً من أعلام الشعر العربي فهو يمثل النقلة بين العصور العباسية الزاهية ومن أعلامها النابهين ، وما تلاها من العصور التي عزّ فيها الشعراء المتميزون ،

---

[1] الديوان : ١ / ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ .

[2] يُنظر: جدلية الحضور والغياب العربية عند شعراء الدولة الحمدانية ، ضحى ثامر محمد ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩.

فالأبيوردي من بقايا فصّاح تلك العصور الأدبية العباسية وبلغائها ، ممن عاشوا في العصر السلجوقي ، في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، ولم يكتب لشعرهم الذيوع ولا لأسمائهم الاشتهار [١].

عاش الشاعر في ظل أحداث سياسية مليئة بالآلام والاضطهادات ، إذ شهد أحداثاً تأريخية عميقة فضلاً عن تطورات سياسية مهمة مثلت نقطة تحول في التاريخ الإسلامي ، ولتوسع ما جرت على تلك الأحداث من تطورات ، وما تركت فيه من مضاعفات جعلته يعيش حالة الاغتراب في داخله . ويكون ذلك ردة فعل على العجز السياسي الخاص بمجتمعه مما وَلَّدَ عدم الثقة بالزعماء السياسيين إذ سيطر على مقادير المجتمع مما أدّى الى إصابة الإنسان العربي بالشلل السياسي وغيره وذلك بسبب " طغيان فلسفة القمع والعنف السياسي والانغماس في الملذات لدى الحكام ، وسيادة عقلية الرضوخ والاستسلام لدى الشعوب ... وبالتالي عذاب الإنسان وضياعه " [٢].

عبّر الشاعر عن تلك المرحلة الصعبة التي مرت بها الدولة بالشعر لِماَ له من أهمية كبيرة في تمثيل الخطاب السياسي ، وذلك لأن الشاعر له رؤية اجتماعية إنسانية يبحث فيها عن الأفضل ، ولابدَّ من أنه يتمتع أكثر من غيره بالخبرة والدراية وتشخيص الآلام النفسية ، ولأنه أكثر شعوراً بالاغتراب مما أثر في خدمة مجتمعهم المتمثل بدورهم السياسي مدافعاً عن حقوق الوطن والأمة وإن اختلفت طريقة كل شاعر منهم وكذلك تباينت وجهات نظرهم [٣].

ويمكن القول إن ما يجتمع عليه الشعراء وهو الرفض للقسر السياسي بمختلف أنواعه ومراحله.

وبسبب مقدرة الشاعر وشاعريته كان اكثر الناس تأثراً بالاغتراب بسبب احساسه بعدم الرضا فحاول جاهداً إعادة صياغة الوجود في ذهنه " وطبيعي انه عندما يحسُّ بضرورة إعادة صياغة الوجود ، فانه بالتأكيد لا يكون راضياً عن الصيغ الموجودة والمتحققة بالفعل في الواقع الآني والحاضر والمتحقق من حوله " [٤].

ولاسيما أن هذا الوجود الذي أراد إعادته الشاعر مليئٌ بالتقلبات المثيرة ، فقد عاصر الأبيوردي من حكام بني العباس كلاً من القائم (ت ٤٦٧ هـ) ، والمقتدي (ت ٤٨٧ هـ) ، والمستظهر (ت ٥١٢ هـ) .

---

[١] ينظر: الأبيوردي المتنبي الصغير ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز ـ السعودية ، عمر الاسعد ، ع ٢ ، ١٩٧٨م / ١٠١.

[٢] دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر ، قادة عقاق ، منشورات أتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠١م / ١٩٠.

[٣] ينظر : الاغتراب في الشعر العراقي ، د. محمد راضي جعفر / ٢٣.

[٤] سيكولوجية الابداع في الفن والادب: يوسف ميخائيل أسعد ، مشروع النشر المشترك ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (افاق عربية) ، بغداد والهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٨٥.

فأدرك من عهد القائم سبع عشرة سنة وهي سني حياته الأولى ، وعايش المقتدي الذي استخلفه سنة ٤٦٧ هـ مدة عصره كلها وهي قرابة عشرون سنة ، أما المستظهر عايشه الشاعر لمدة خمس سنوات ثم مات بعدها وبويع المستظهر بالحكم سنة ٤٨٧ هـ ، ولقد عاصر أربعة من سلاطين السلاجقة وهم محمد بن ميكائيل المعروف بطغرلبك (٤٤٧هـ – ٤٨٥هـ) ومحمد بن داود المعروف بألب أرسلان (٤٣١هـ – ٤٦٥هـ) وملكشاه بن محمد (٤٤٧هـ – ٤٨٥هـ) وابنه محمود ، وبركيارق (٤٧٤هـ – ٤٩٨هـ) ومحمد (٤٧٤هـ – ٥١١هـ) ابني ملكشاه. وعاصرهم معاصرة تامة ، وأثنان منهم معاصرة جزئية ، وقد شهد الشاعر الكثير من الأوضاع التي مرت بها الدولة آنذاك ، وكذلك شهد ما حفلت به عهودهم من صراع عائلي على السلطة بلغ أحياناً حد القتل ، وبالتالي ذهب الشاعر ضحية لتلك الدسائس والمؤامرات التي نجمت عن ذلك الصراع ، وتفرعت عنه [١] .

تفاعل الشاعر مع هذا الواقع بكل اضطراباتهِ ، وعاش هموم الامة ، ونظر الى جميع احتياجاتهم وشؤونهم مما عكس ذلك على سلوك الشاعر وشعره.

وظهر تعلق الشاعر بالعرب وتمثيل ذلك في شعره ، إذ اعطى صورة واضحة عنهم ، وقال:

ـ البحر البسيط ـ

مــنِ الطَّوالــعُ مــنْ نجــدٍ تظلُّهــمُ سـمرُ القنــا أنــزاراً يــدَّعونَ أبــا؟

أرى ســيوفهمُ بيضــاً كــأوجههمْ فَمــا لأَعْيُـنِهِمْ مُحْمَـرَّةً غَضَـبا[٢]!؟

عُرِفَ الشاعر بموقفه القومي وعصبيته العربية ، والقومية وهي " أحساس وشعور داخلي موجود عند الفرد العربي ، كونه المزيج من العوامل خلال التاريخ الطويل .... وذلك ما يسمى بشعور الانتماء ، والسمة القومية " [٣].

فالأبيوردي عربي النسب ، ولكنه نشأ في بلاد فارس ، وانتسب الى غير العرب لجهة أمه ولكن ذلك النسب لم ينسيه نسبه العربي واعتزازه بالشخصية العربية ، فلذا تميَّز الشاعر بشعره القومي . نظر الباحثون لمفهوم القومية كل منهم حسب وجهة نظره الخاصة ولكن الذي يهمنا ايُّ معنى كان قريب من معنى الاغتراب وهو " أنَّ القومية ليست موقفاً سياسياً مباشراً بل هو شعور كلي شامل أتجاه الامة " [٤] واحساس بألآمها ومطالبها في سبيل سعادة الامة ورفاهيتها فالشعور

---

[١] ينظر: الأبيوردي المتنبي الصغير ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز – السعودية، عمر الأسعد، ع٢، ١٩٧٨، ١٠٢.

[٢] الديوان : ٢ / ٢٢٥.

[٣] دور الادب في الوعي القومي العربي ، مجموعة من الباحثين ، مقال الادب والوعي والقومي . آراء فيما يجب أن يكون للدكتور سعدون حمادة ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط، ١٩٨٤ ، ٣٠.

[٤] التيار القومي في الشعر العراقي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ حتى نكسة حزيران ١٩٦٧، د. ماجد احمد السامرائي ، ط١ ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ٦.

بالقلق والمعاناة النفسية يُولد الحزن في نفسية الشاعر وبالتالي شعوره بالغربة والاغتراب السياسي في عمق وجوده الذي يحتويه ؛ وذلك لشدة الظروف السياسية التي مرَّ بها الشاعر.

تميز الشاعر الأبيوردي عن غيره من شعراء القرن الخامس بالحس القومي الذي تُعرف به أبياتُ قصائده ، هذا الحس الذي تتوقد فيه الروح العربية هو الطابع الذي تميَّزت تغاريده في ذلك العصر وعبرت عن إحساسه وحزنه لما أصاب العرب الى جانب الصراعات النفسية في ذات الشاعر ، في حين لاذ كثير من الشعراء بالصمت ، وابتعدوا عن الإفضاء بمكنونات قلوبهم ، وامتازوا بالنفاق السياسي والتملق للحكام ، مبتعدين كل البعد عن التغني بالعروبة وأمانيها ، تجنباً للأذى . ويظهر الحس القومي واضحاً في جميع اغراضه الشعرية [١]. وتتجلى قيمته بحسه العربي الأصيل ، وسمو خلقه وترفعه.

لم يكن الشاعر الأبيوردي هو الوحيد الذي يتميز بحسه القومي بل سبقه الكثير من الشعراء منهم المتنبي الذي يعد في مقدمة الشعراء العروبيين ، الذين أهتموا بأحوال عصرهم ولاسيما السياسية منها ، فكان إحساس بالعروبة لازمه من لاوازم المتنبي يعيش معه أينما حلَّ وأرتحل ، حتى في آخر أيامه وكانت لا تفارقه فهو يعتز بوجوده القومي وأصالته العربية .

وقال الأستاذ الملاح " إنَّ تأكيد المتنبي لعروبته وأصالة أجداده والتعرض للاعاجم هو متنفس لعقدة النسب " [٢].

وهناك رأي آخر يمثل عروبة الشاعر كون الشاعر عاش في العصر الذي تعرضت له البلاد للتجزئة ، ويحكمها ناس لم يكن بينهم وبين العرب وشيجة ، وأغلبهم من الدخلاء ، قد طلبهم الخلفاء ، بدافع الأمن الشخصي ، واستولى بعضهم على مركز الخلافة مما أدى الى الشعور بالغربة السياسية[٣] .

ولم يكن المتنبي مثل غيره من الشعراء ، بل كان رافضاً هذا الواقع رفضاً حاداً وإيجابياً ، واستمر الشاعر على هذا الحال على طول المدة التي عاشها [٤] .

إذ أقام في مصر ، فبرز أحساسه بالغربة ، إذ وجد نفسه غريباً إذ أنه شعر باليتيم وسط جماعة من اللئام ، قلَّ فيها العنصر العربي ، وأصبحت مقاليد الأمور بيد الموالي مما أدى الى تصدّعه النفسي وضياعه العروبي [٥] .

وكذلك صور الشاعر أبو العلاء المعري (ت٤٤٩هـ) الواقع السياسي ، حيث سُلب من العرب سلطتهم ونفوذهم ، وازداد التسلط الأجنبي سواء كان ذلك متعلقاً بالأتراك أم البويهيين أم غيرهم.

---

[١] ينظر : الأبيوردي حياته . دراسة في شعره القومي ، نوري شاكر الالوسي / ٨٨.
[٢] ينظر: التطلع القومي عند المتنبي ، جاسم محسن عبود ، منشورات وزارة الاعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٠٧
[٣] ينظر: م . ن / ٨٥.
[٤] ينظر : التطلع القومي عند المتنبي ، جاسم محسن عبود : ٨٥.
[٥] ينظر: الاتجاه العروبي في الشعر العباسي ، وفاء يوسف الدويري ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، كلية الأداب للعام ، ١٤٣٧هـ ، ١٨١.

فكان إحساس الشاعر بالاغتراب السياسي نتيجة عدم تحقق العدالة والسير على طريق الصواب من قبل ساسة الحكم.

كان الأبيوردي شاعر العروبة من الطراز الأول " ناضل في سبيل العروبة كل حياته ، وقاوم الشعوبية خلال نصف قرن ، كانت تتربع فيه على ذروة قوتها ، وقمة مجدها وجبروتها " [١] .

إذ حاولت السلطة الاعجمية السيطرة على أرض العرب بقوة السلاح ، مما أثار الشاعر فكان شعره مستهجنا لذلك الزمن الفوضوي السياسي ، متمرداً على الواقع ، ثائراً عليه ، فقد دعا الى حشد الطاقات العربية للتخلص من السيطرة الاعجمية والتحكم الأجنبي [٢] إذ قال الشاعر :

ـ البحر البسيط ـ

مَتـــى أرى مَشـــرَفيّاتٍ يُضَـــرِّجُها دَمٌ رَسَتْ فِيهِ أَيدِي الخَيلُ وَالإبلِ [٣]

فيحاول استنهاض الهمم وإثارة العزائم القوية ، لنجدة هؤلاء المستضعفين ، بعد أن استولى الاعاجم على بيت المقدس وقد سعى الى نجدتهم وانقاذهم مما يعاني هؤلاء إذ قال :

ـ البحر الطويل ـ

وإخـوانكمْ بالشَّـامِ يُضـحي مقـيلهمْ ظهـورَ المـذاكي أوْ بطـونَ القشـاعمِ

تَسُـــومُهُمُ الـــرُّومُ الهَـــوانَ وَأَنْـــتُمُ تجرُّونَ ذيلَ الخفضِ فعلَ المسالمِ [٤]

[٤]

وهكذا استطاع الشعراء على أمتداد العصر العباسي أن يبينوا موقفهم الرافض لذلك الواقع المؤلم ، ويرسموا معالم المشهد الاجتماعي والسياسي على وجه الخصوص ، أثر ذلك على اغترابهم ، ونفورهم مما رأوه من ظلم ، ونفاق ، وبؤس ، وسيادة الاعاجم ، وتراجع مكانة العرب في اكثر من موقع [٥] .

ومن أبرز قصائد الشاعر الأبيوردي والتي تمثل التطلع القومي لديه ميميته المشهورة وسبب هذه القصيدة يقول السيوطي في أحداث سنة ٤٩٢ هـ : " وفيها أخذوا الفرنج بيت المقدس ، بعد حصار دام شهر ونصف ، وقتلوا به أكثر من سبعين الفاً ، منهم جماعة من العلماء والعباد والزهاد، وهدموا المشاهد ... وورد المستنفرون الى بغداد فأوردوا كلاماً أبكى العيون ..." [٦]. وللأبيوردي في ذلك ..... وذكر قصيدة الأبيوردي التي يحث الناس على نجدة أخوانهم المسلمين

---

[١] الأبيوردي شاعر العروبة في القرن الخامس ، د. ممدوح حقي ، ١٢.
[٢] ينظر: الاتجاه العروبي في العصر العباسي ، وفاء يوسف الودويري ، ١٩٦.
[٣] الديوان : ١ / ٢١٦.
[٤] الديوان : ٢ / ١٥٦.
[٥] ينظر: الاتجاه العروبي في العصر العباسي ، وفاء يوسف الدويري ، ١٩٨.
[٦] تاريخ الخلفاء: للإمام جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، حققه وقدمه : الشيخ قاسم الشمّاعي الرفاعي ، الشيخ

قال الشاعر : ـ البحر الطويل ـ

مزجنـــا دمـــاءً بالـــدُّموعِ السَّـــواجم فَلَـــمْ يَبْـــقَ مِنَّـــا عَرْصَـــةٌ لِلَمـــراحِم

وَشَـــرُّ سِـــلاحِ المَـــرْءِ دَمْـــعٌ يُفيضُـــهُ إذَا الحَـــرْبُ شُـــبَّت نارُهـــا بِالصَّـــوارِم

فَإيهـــاً بَنـــي الإسْـــلامِ إنَّ وَراءَكُـــمْ وَقـــائِعَ يُلْحِقْـــنَ الـــذُّرَا بالمناسِـــم

أَتَهْويمَـــةً فـــي ظِـــلِّ أَمْـــنٍ وَغِبْطَـــةٍ وعـــيشٍ كنـــوَّارِ الخميلـــةِ نـــاعم

وكيـــفَ تنـــامُ العـــينُ مـــلءَ جفونهـــا علـــى هَفَـــواتٍ أَيْقَظَـــتْ كُـــلَّ نـــائِم؟[1]

الأبيات الشعرية تعبر عن حزن صاحبها وألمه فموضوعها ليس رثاء فحسب ، بل ان الشاعر الأبيوردي عُرف عنه من غرور وتكبر ، كما ذكرت كتب التراجم القديمة فكان له موقف مختلف ، فهو يصوّر ويرثي ويستنهض الهمم محاولاً إنقاذ المدينة من سيطرة الاعاجم ، فهو يرى العرب بكونهم المثل الأعلى في جميع النواحي ، وما تعرض إليه العرب من الواقع المؤلم ومشاركة الشاعر لآلام أمته ، القصيدة دعوة من قبل الشاعر لأبناء أمتهِ أن لا يرضوا بالذل والهوان والحفاظ على الأرض العربية من شر الأعداء للحفاظ على الأمة الإسلامية وهي دعوة يستمر صداها الى يومنا الحالي ، وقد برز الالتزام بالقضايا القومية بروزاً واضحاً في شعر الأبيوردي خصوصاً في ميميته المشهورة إيماناً منه بإنَّ " الشعر القومي هو شعور إنساني عميق مقروناً بعاطفة الصدق والايمان" [2] .

صوّر الشاعر مأساة طويلة ، وأختار الميم المكسورة التي تنتهي بدعوة مفتوحة تدل على الألم والتوجع و تكمن منطقية الشاعر الذي دعا العرب والمسلمين الى نجدة القدس المدينة المقدسة دون اللجوء الى أي شعار مقدس ، وإنما لجأ الى المعاني الإنسانية السامية و تقدم على غيره من الشعراء الذين صوروا المأساة فقط ، وبعد مدة من الزمن تم تحرير القدس ولكن هذا التحرير لم يتم لولا الشاعر [3] .

نعم كانت للشاعر آمال كثيرة وطموحات تركت في نفسه الماً وحزناً ومات مسموماً في سنة ٥٠٧هـ ولم تتحقق آماله ، ولكنه مات مرفوع الرأس حيث انه لم يذل نفسه إزاء حصوله على مكانة سياسية ، وبَعد فشل السلطة القائمة من (خليفة ، ووزير ، وسلطان) من الدفاع عن بيت المقدس عمل على رفض مدائحه السابقة في حقهم والغائها ، إذ قال : ـ البحر البسيط ـ

محمد العثمان ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت – لبنان ، ٣٣٦.

[1] الديوان : ٢ / ١٥٦.

[2] الاغتراب في شعر أحمد الوائلي ، أثير عبد الزهرة عبد علي ، ٥٥.

[3] ينظر : الأبيوردي وفرنجة القدس – مدينة ضائعة وشاعر مضيع ، إسماعيل مروة ، ع ٤٤ه ، كانون الثاني ٢٠٠٩ ، ٤٣٥.

غَمَّـتْ نِـزاراً وَسَـاءَتْ يَعْرُبـاً مِـدَحٌ زُفَّتْ إلـى ذَنَـبٍ إذْ لَـمْ أَجِـدْ راسَـا [1]

وله ايضاً : ـ البحر المتقارب ـ

وعـــدتمْ وأخلفـــتمُ ، والفتـــى إلـــى مـــا يلـــين بـــهِ منجـــذبْ

وقـــد كنـــتُ أكـــذبُ فـــي مـــدحكمْ فجـــازيتمُ كـــذباً بالكـــذبْ [2]

ويمكن القول " إنَّ نص الهجاء هو النواة النسقية لنص المديح إذ هو خطاب عدواني ضد الآخر يقوم على رغبة التدمير ، لابراز الأنا المفردة الطاغية ، وسحق الآخر " [3] ، وحمل الخطاب الشعري المتمثل بالأبيات الشعرية أعلاه النسق المضمر والمعلن الذي يقوم على الرغبة والرهبة.

ومن هنا نستطيع أن نستخلص أمور منها: إنَّ شعر الأبيوردي حمل مشاعر اغترابية كان سببها السياسات الخاطئة من قبل حكام الدولة العباسية ، وما صاحبها من مشاكل تصدى لها الشاعر في قصائده ، فضلاً عن السياسة الخارجية التي أثارت لديه حسه القومي فعمل على توظيف مشاعره لغرض التمرد على السلطات الظالمة.

---

[1] الديوان : ٢ / ٤٣.
[2] المصدر نفسه : ٢ / ١٣٩.
[3] النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية) ، د. عبد الله الغدامي ، المركز الثقافي العربي ، ط٣ ، بيروت ، الدار البيضاء ، ٢٠٠١م ، ١٦٧.

الفصل الثالث
الاغتراب الاجتماعي

الاغتراب الاجتماعي

توطئة:

يَتمثل هذا النوع من الاغتراب بعلاقة الفرد مع المجتمع ، فقد يعيش الإنسان حالة من حالات الإحباط من مجتمعه ويعود السبب في ذلك الى طبيعة مخزون اللاوعي الذي يحمله ، وعدم موافقة هذا المخزون مع طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه ، فيخلق لديه شيئاً من التغاير والتخالف بين الفرد والمجتمع أي بين ما يريده الفرد وما يمليه عليه المجتمع من جانب آخر [١] .

فالشاعر يسعى دائماً الى ابتكار آراء وأفكار ومبادئ جديدة قد تكون مناقضة لأفكار مجتمعه ، مما يبرز لديه حالة من الاغتراب ، فضلاً عن أوضاع التمرد التي تدفع الأفراد إلى البحث عن بديل للقيم التي يعتمد عليها البناء الاجتماعي لمجتمعهم [٢] ، فينتج عن ذلك إحساس الفرد بالبعد عن الناس بسبب عدم الانسجام مع المجتمع والعالم المحيط به ، فيشعر بحالة من تهديد الذات مثلما يهدد النسيج الاجتماعي ، فيحدث حالة من التمزق الاجتماعي ، فيشعر الفرد بالاغتراب حين لم تتح له الفرصة للمشاركة مع الآخرين في تحقيق ذاته ، لأنه لم يشعر بالتقدير لما ينتجه أو يسهم في انتاجه ، وإنجاز بعض الأمور المتعلقة بالمجتمع من حوله ، ومن ناحية أخرى فإن الشخص الذي لم تكتمل فرديته من خلال رفض الآخر له سواء كان الآخر سياسياً ، أم اجتماعياً ، أو ثقافياً ، أو اقتصادياً ، وتوقعات الآخرين له ، فعدم إتاحة الظروف الملائمة لتطوير شخصيته من خلال المشاركة الفاعلة في النشاط الإنتاجي الموجه ذاتياً في تجسيد ذاته [٣] ، فينتج عن ذلك الشعور بالاغتراب .

ومن هنا فإنَّ الاغتراب الاجتماعي يُعرف بأنه " شعور الفرد بالانفصال عن جانب أو اكثر من جوانب المجتمع ، كالشعور بالانفصال عن الآخرين ، أو عن القيم والأعراف والعادات السائدة في المجتمع " [٤] .

---

(1) ينظر: الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر ، نبيل رمزي إسكندر ، ١٩٨٨م ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية – مصر – ط١ ، ٣٢.

(2) ينظر: الاغتراب اصطلاحا ومفهوماً وواقعاً ، قيس النوري : ١٧.

(3) ينظر: الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر ، نبيل رمزي إسكندر ، ٣٢.

(4) الاغتراب في الشعر العباسي : القرن الرابع الهجري ، سميرة سلامي ، ١٥١.

وهناك من فسر الغربة الاجتماعية بأنها وجهةٌ مباشرٌ من وجوه الاغتراب السياسي ، لاتصالها الوثيق بالظروف السياسية ، وتقلبات الأحداث ، ومصير الأشخاص الفاعلين من جهاز الدولة في صفوف المجتمع [١] .

وتسهم العوامل الموضوعية والنفسية في إبراز الظواهر الاجتماعية ، قد ينتج الاغتراب الاجتماعي في شعور الإنسان بالاغتراب في المجتمع نتيجة لتعرضه للفصل أو الخلع أو التجاهل أو التهميش بطريقة ما عن مجمل أفراد مجتمعه وثقافته العامة السائدة [٢] . هذا ما لا نلمسه عند الأبيوردي (ت ٥٠٧ هـ) فهو ينتمي لعائلة عريقة لها مكانة كبيرة في عموم المجتمع العباسي ، والمعروف أنَّ غربة الشاعر الأبيوردي لم تتخذ شكل العزلة الفردية والانقطاع عن الناس كما فعل غيره من الشعراء أمثال المعري (ت ٤٤٩هـ) وأنما هي غربة قامت على نقد المجتمع بما فيه من سلبيات ؛ للرجوع الى الفضائل والأخلاق الكريمة.

يُعدُّ الاغتراب الاجتماعي واحداً من أبرز أنواع الاغتراب الذي يعاني منها الشعراء قديماً وحديثاً ، فالشاعر بوصفه إنساناً وكائناً اجتماعياً بطبعه وتداخل المواقف الاجتماعية لديه فتشكل موقفاً من الحياة . ولذا قد تظهر مجموعة من العناصر الاجتماعية التي تقود الشاعر الى الاغتراب، وتحمل في نفسه الإحساس بالغربة ضمن مجتمعه الذي يعيش فيه[٣] .

ومن ناحية أخرى فإن مغادرة الوطن تقود الى الاغتراب الإجتماعي وذلك بسبب التغير الذي يحدث لدى الشاعر من مغادرة ذلك الوعي بمكوناته الاجتماعية كافة ، والثقافية ، والدينية ، وحتى السياسية ، وينتقل الى مكونات جديدة ضمن وطنه الجديد أو ضمن مكانه الجديد مما يؤدي الى الإحساس بالغربة اتجاه وطنه ، والاحساس بمشاعر الأسى والحزن والألم تجاه المكونات الاجتماعية التي افتقدها في وطنه ذاك ، فتولد تلك الحالة مركباً عاطفياً يقود نحو الإحساس بالغربة الاجتماعية ضمن المكونات المحيطة به [٤] .

---

(1) ينظر: الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي ، عزيز السيد جاسم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٨٧ / ٩٧.

(2) ينظر:الاغتراب في الشعر الاموي، د. فاطمة محمد حميد السويدي، مكتبة مربولي، القاهرة ١٩٩٧/ ٩٨.

(3) ينظر: اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، عباس أحسان ١٩٧٨ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ط١ ، ٥٥.

(4) ينظر: ظاهرة الاغتراب في شعر مخضرمي الجاهلية والاسلام ، امال عبد المنعم الحراسيس ، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدبها ، ٢٠١٦ ، ٥٤.

والصَّراع القائم بين الذات والبيئة المحيطة بالشاعر أو الاديب بصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء وتزايد القلق [١] ؛ فالأبيوردي واحدٌ من الذين عانوا من آلالام المجتمع فوقع في أحضان الاغتراب فضلاً عن هموم الشاعر الذاتية التي عززت الاغتراب لديه.

ولكون الشاعر عنصراً فاعلاً في المجتمع ، فإنه يتأثر ويؤثر في المجتمع ، فهو يساير ما يطرأ على مجتمعه من أحداث وتطورات ؛ لأنه ليس بمعزل عن مجتمعه ، وبما انَّ الشعر يُعدُّ أكثر وسيلة يستعملها الشاعر في نقل الواقع الاجتماعي والتعبير عنه ، أذ نجد مجموعة من الشعراء قد قصروا أنفسهم على المظاهر الشعرية في شعرهم ، فعبرت أشعارهم عن الحاجات الملحة التي يعيشونها ضمن مجتمعهم [٢] .

فالشاعر يسعى الى تحقيق الكمال في عالم الواقع ، وتصحيح ما ابتنى عليه من أسس بالية . فالإنسان بطبيعتهِ الفطرية " يسعى الى تحقيق فكرة التجمع والاستئناس بأخيه الإنسان الذي يشاركه في السراء والضراء للمحافظة على النوع البشري " [٣] ، فالإنسان الذي يتلائم مع الواقع يعيش حياة جميلة أما إذا كان هذا الواقع قلقاً وتكثر فيه الأسئلة ، فهنا تبدأ رحلة الألم ، وفقدان الأمل ، ومرارة الحرمان ، والضياع فيغترب الإنسان في حياته.

بدأت معاناة الشاعر الأبيوردي بعد هزيمة البويهيين أمام السلاجقة ، إذ مَرَّ العراق بحالة مأساوية جعلته في حالة اهتزاز عنيف ، فاضطربت الحياة الاجتماعية إضطراباً شديداً ، وفقد الأمن وضعفت الروابط بين الأفراد ودق حبل الوفاء مما أدى إلى كثرة النهب والسلب وأصبح الاعتداء على الحرمات أمراً مألوفاً ، وانتشر القتل [٤] ، وكان لهذا الوضع المزري الأثر الكبير في اغتراب الشاعر.

---

(1) ينظر: الاغتراب في شعر شعراء نقائض العصر الاموي ـ جرير ـ الفرزدق ـ الأخطل ، نوال نعمان كريم ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة تكريت ، ٥.

(2) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام (د.ت) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ط١٢ / ٧٠.

(3) دعائم الفلسفة ، أدريس خضير ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط٤ ، ١٩٩٢ : ١٠٥.

(4) ينظر: تاريخ دولة آل سلجوق ، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني (ت ٥٩٧ هـ) ، قرأه وقدم له ، د. يحيى مراد ، ط١ ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠٠٤م / ٢.

عبَّر الأبيوردي بأنه وحيد عصره في تفرده ـ بهذه الخاصية الإجتماعية أي إنه امتاز بالتخلص من طغيان الفردية بالوسائل الممكنة كلها ، فكانت هذه الخاصية تمثل أحد الأسباب التي ساهمت في طمس هوية الشاعر ، لأنه لم يُفهم من عامة الناس ، ولأنه تقدم عليهم وسبق عصرهم بدهور ؛ لذا فالمجتمع بليد لا يستطيع لحاقه [١] وكأنَّه شعر بهذا فترجم ذلك شعراً بقوله : ـ البحر الطويل ـ

يُعيِّرُنـــي أنـــي غَريـــبٌ بأرضـــهِ أجَـل أنـا فـي هـذا الأنـامِ غَريـبُ [٢]

ويمكن القول أنَّ هذا البيت الشعري جمع بين اغتراب اجتماعي حاد وبين الغربة والاغتراب المكاني فقد أشار الى لفظة الأرض ⇐ غربة مكانية وكذلك الى لفظة الأنام ⇐ إشارة الى الناس غربة اجتماعية .

وأما لفظة (غريب) وهي من الالفاظ الدالة على الاغتراب ، وقد كرر الشاعر هذه اللفظة دلالة على تأكيد المعنى ، فلذا يعد التكرار من الأساليب الشائعة في الشعر العربي التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً باللغة وجسدت الباعث النفسي للشاعر المغترب لأن الغرض الرئيسي للتكرار تقوية ناحية الانشاء " أي ناحية العواطف كالحنين والإستغراب وما الى ذلك" [٣] .

وتجدر الإشارة إلى أنَّ أنواع الاغتراب كلها ترتبط معاً وتتداخل فيما بينها مما يصعب الفصل احياناً بين الأجتماعي والسياسي والنفسي والديني منها ، لكن ردود الفعل التي تظهر على الفرد تدفع باتجاه شكل يبدو أكثر وضوحاً [٤].

وتبرز أهمية الاغتراب الإجتماعي من كونه أحد الموضوعات التي ارتبطت بالإنسان بشكل مباشر ومستمر ، إذ يلجأ الى الاغتراب إما هروباً من الواقع ، أو بحثاً عن مثال أعلى أو إرضاء لنزوع ذاتي.

---

[1] ينظر: الأبيوردي ممثل القرن الخامس في برلمان الفكر العربي ، ممدوح حقي / ٩٠.
[2] الديوان: ٢ / ٨.
[3] المرشد الى فهم أشعار العرب : عبد الله الطيب المجذوب ، منشورات دار الفكر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٠م ، ٤٥ ، الاغتراب في الشعر النسوي في عصر صدر الإسلام والعصر الاموي ، جنان خير الله
مرعي ، رسالة ماجستير ، جامعة تكريت ، كلية التربية في اللغة العربية وآدبها ، ١٢٠.
[4] ينظر: الحس الاغترابي في اعمال روائية لغسان كنفاني (بحث) مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ، مج٢٦ ، ع٣ ، ٤ ، ٢٠١٠م ، ٢٩٦.

فالاغتراب الاجتماعي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالاغتراب النفسي والثقافي والمكاني ايضاً.

المبحث الأول
النقد الاجتماعي

المبحث الأول
النقد الاجتماعي

عمل شعراء العصر العباسي بشكل عام والشاعر الأبيوردي بشكل خاص على تسجيل أحداث عصرهم الاجتماعية والتأريخية والاقتصادية وقد صوروا بشعرهم الحياة الاجتماعية بجوانبها كافة ، سواء كانت سلباً أم إيجاباً ، فضلاً عن الوقوف على أَبرز المؤثرات فيها.

فالشعر يُعبر عن فكر الإنسان العربي ، وعن أسرته ومجتمعه ، فهو وعاء ثقافي يستوعب جميع الأنشطة الإنسانية في الأوقات كلها وبمختلف المراحل.

تُعدُّ العلاقة بين الفن والمجتمع من المشكلات التي أثيرت في أوساط الفنانين والأدباء ، وأتخذت أَشكالاً متباينة وانواعاً مختلفة فـ " هناك الغربة أو الاغتراب وهناك الثورة على المجتمع ، وهناك التأقلم بالمناخ الاجتماعي ، وهناك العزلة الكلية عن المجتمع " [١] .

إنَّ علاقة الشاعر بالمجتمع إما تتخذ موقفاً من حيث صلته بالعوامل الاقتصادية والبيئة الاجتماعية التي تُمثل شعره ، أو المضمون والغاية الاجتماعية التي يسعى الشاعر الى تحقيقها أو التأثير الاجتماعي للشعر على المجتمع [٢] . وهنا قد يطرح تساؤل :

ما فائدة نقد المجتمع ونقد السلوكيات والتصورات الخاطئة ؟ لأَن تفكيرنا يهتم بقضايا المجتمع ويتصدى لانقاذه من الضلالات والمشكلات فضلاً عن إصلاح المجتمع وإعادة بنائه ، فالنقد الاجتماعي هو وسيلة لاصلاح المجتمع من براثن السلوكيات الخاطئة.

وتأثر الشاعر بالمجتمع وتأثيره فيه معروف لدى الجميع ولكن على الرغم من ذلك فإنه لا يستطيع أن يذوب في تياره أو أن يتجانس تجانساً كاملاً مع اتجاهاته وموضوعاته [٣] .

فأنَّ المجتمع الذي يفرض على الأديب مطالب تنافي طبيعته الخاصة يحبطه ويقييده ، ويجعل منه كائناً غريباً عن موقفه الإنساني [٤] ، وهذا ما حصل للشاعر الأبيوردي إذ وجد صعوبة

---

(1) اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، د. احسان عباس ، عمان : دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط٣ ، ٢٠٠١م - ١٤٢١ هـ / ١٥٥.

(2) ينظر: فن الشعر ، د. إحسان عباس ، عمان ، دار الشروق للتوزيع والنشر ، ط٥ ، ١٩٩٢م / ١٣٤.

(3) ينظر: سيكولوجية الابداع في الفن والادب، يوسف ميخائيل اسعد، مشروع النشر المشترك، بغداد، مصر،٩٩.

(4) ينظر: الإنسان بين المظهر والجوهر، أريك فروم، ترجمة سعد زهران ، مراجعة : لطفي فطيم ، سلسلة

في التعامل مع العالم من حوله ، فشكل لديه الاغتراب في موضوعات محددة متخذاً فيها أنواعاً متعددة.

فالشاعر يسعى جاهداً إلى إبراز مواطن الخلل والأخطاء في حياة المجتمعات الإنسانية ، الى جانب بيان الجوانب الإيجابية في حضور الفعل الإنساني في محيطه الاجتماعي ، فهو يسعى الى اظهار وجه المجتمع الحقيقي الذي يعيش فيه ، فنظرة الشاعر للمجتمع نظرة موضوعية شمولية ؛ وتُعدُّ المرتكز الأساسي في تحقيق الأهداف والمطامح وانتشال المجتمع من براثن التخلف والنكوص [١] .

ومن الوسائل المهمة التي عمل عليها الشاعر لإصلاح المجتمع هو النقد الاجتماعي ، إذ حاول الشاعر الأبيوردي بالوسائل الممكنة كلها لإصلاح أو تغيير الواقع المرفوض ، الذي تمزقت فيه وحدة الامة وظهرت طبقات متباينة من حيث الغنى والفقر ، والحر والعبد ، والجاه والانزواء وأضطرب نظام المجتمع وظهرت الفتن المذهبية التي كثر وجودها بين الطبقة العامة إذ يغذيها المتنفذون من ذوي المصالح حتى أصبحت تلك الفتن ناراً آكلة [٢].

وقد أشار الشاعر الأبيوردي في ذكر هذه الفتن في أبيات من شعره على نحو قوله:

ــ البحر الطويل ــ

علــى حــينَ صَــاحَت بالضَّــغائِنِ فِتنَــة ومَــدَّت هوادِبهــا الــى الَقــوم آجــالُ [٣]

وكذلك أشار الى طبقة الفقراء بدلالة لفظة (سوق) إذ قال: ــ البحر الكامل ــ

مــا نحــنُ مــن سُــوَقِ[٤] فَنُشــبِهَهُم لـــــم يَنْمِنـــــا إلاّ أبٌ مَلِـــــكُ [٥]

عالم المعرفة ، مطابع السياسة ، الكويت ، ١١/١٩٨٠.

[1] ينظر: النقد الاجتماعي في الشعر العربي الحداثي ـ الرؤية والابعاد ـ رسالة مقدمة لنيل الماجستير في الادب العربي ، فيصل احمد محمد المتعب ، السعودية جامعة أم القرى ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م / ١٤.

[2] ينظر: محاضرات في تأريخ الأمم الإسلامية ، تأريخ الدولة العباسية ، الشيخ محمد الخضري ، كتب هوامشه : محمد ضناوي ، ط٢ ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ١٩٩٨م / ٤٥.

[3] الديوان: ١ / ١٢١ .

[4] السّوقة : خلاف الملك ، أي بمنزلة الرعية التي تسوسُها الملوك ، لسان العرب ، مادة سوق، ٢١٥٦/٣.

[5] الديوان: ٢ / ٨٢ .

وقد صوَّر الشاعر الأبيوردي كيفية مصادرة الأموال التي يختلسها وينهبها السلاطين والوزراء والولاة فضلاً عن مضاعفة الضرائب الفادحة وغيرها من السرقات وذكر ذلك في شعره على نحو قوله : ـ البحر الطويل ـ

لئن رَمَّ من أحوالهم حادث الغنى فقد كادَ من أموالهم يقطرُ الفقرُ [1]

أجاد الشاعر في البيت الشعري بالتعبير عن حالة الغنى والفقر ، وأختار أسلوب الاستعارة المكنية ليتوصل الى هجاء القوم ، مما منح الصورة كثافة وديناميةإضافيتين بما يلقيه الفعل في نفس المتلقي من حركية وإيهام تساعدان في تنشيط الوظيفة الجمالية في المنجز الشعري [2] .

وصفهم الشاعر بالبخل وذكر ان الفقر حالة معنوية لا تمت الى المادة بصلة ، فقوله (يقطر الفقر من افعالهم) ، تمثل الحيز ونقطة التقاء بين العالم المادي والعالم المعنوي ، فالأفعال والفقر أخلاقيات تدرك من خلال الذهن فقط ولا تخضع للحواس أما الأشياء التي تقطر فهي الماديات واستخدام الشاعر هذا الأسلوب لانه اكثر عمقاً وخيالاً وحذف المشبه به أو المستعار منه لكنه أبقى على لازمة من لوازمه وهو الفعل يقطر وقرنه بالمشبه أو المستعار له وهو الفقر ليتشكل من عالمي الحضور والغياب شيء بين المادة والمعنى " ومع أنَّ كلمة (كاد) تجذب المجاز الى منطقة المقاربة وتمحو شيئاً من معالم الاستحالة ، إلا أنه استطاع أن يحاصرها من خلال البيئة التقابلية بين (الغنى / الفقر) مما جعلها تبدو أكثر فاعلية لوقوعها بين القطبين المتضادين " [3] .

لم يكتف الشاعر في تصوير حالة الفقر والغنى التي كانت السبب الرئيس في تقسيم المجتمع فقد صوَّر ضياع الأخلاق وفسادها خصوصاً طبقة الحكام والمترفين والأمراء والوزراء ومن ارتبط بهم[4].

---

(1) الديوان: ٢ / ٥٨ .

(2) ينظر: البنيات الدالة في شعر أمل دنقل (دراسة) : عبد السلام المساوي ، منشورات أتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٤ : ٩٢، عراقيات الأبيوردي دراسة تحليلية ، عماد جغيم عويد ، ١٤٣.

(3) ينظر: عراقيات الأبيوردي ، ١٤٣.

(4) ينظر: الجهود الأدبية والنقدية في كتاب (زاد الرفاق) لإبي المظفر الأبيوردي (ت ٥٠٧هـ) ، أطروحة دكتوراه ، جواد عوده سبهان ، جامعة كربلاء ، كلية التربية ، ٢٠١٦م ، ٨ .

إن ذكر الشاعر ونقده لهذه الطبقات دليل على اغترابه لأنه يشعر بأنه غريب عن هذا المجتمع ، إذ يشعر بداخله بنوع من التهميش والمعاناة وألم الوحدة فهو يحس بانَّهُ لا ينتمي الى المجتمع ، فقد عاش الشاعر حالة من الصراع المستمر مع الحياة وأراد فرض ذاته على الآخرين ، فنراه ينقد كل ما يتنافى ولا يتماشى مع أفكاره وتوجهاته وقد جسد الشاعر في شعره ذكره للحراك الطبقي إذ قال: ــ البحر الطويل ــ

بَنـــي مَطَـــرٍ إنَّ الخُطـــوبَ تَهُـــونُ ... وإنَّ حـــــديثي عـــــنكمُ لشـــــجونُ
فـــأيَّ لئـــامٍ كنـــتمُ فـــي رعـــايتي ... وأيَّ كـــريمٍ فـــي الجـــزاءِ أكـــونُ
صـــحبتكمُ والعـــيشُ أغبـــرُ والغنـــى ... تحسَّـــرَ عـــنكم والرِّيـــاحُ ســـكونُ
فَلَمّـــا اسْـــتفَدْتمْ ثَـــرْوةً طِـــرْتُمْ بِهـــا ... نَعَـــمْ وَبَطِـــرْتُمْ، والجُنـــونُ فُنـــونُ
وغـــرَّتكمُ نعمـــى لبســـتمْ ظلالهـــا ... علـــى ثقـــةٍ بالـــدَّهرِ وهـــوَ خـــؤونُ
فـــلا تشـــربوا حـــبَّ الثَّـــراءِ قلـــوبكمْ ... فَكُـــلٌّ عَلَيْـــهِ لِلْزَّمـــانِ عُيـــونُ[1]

ربط الشاعر في الأبيات الشعرية بين الاغتراب الاجتماعي والاغتراب الزماني ، إذ خاطب الشاعر بني مطرٍ وأن المصائب والبلايا تهون والحديث عنكم فيه شجون واحزان ، فقد صحبهم الشاعر في وقت الفقر والشدة وكانوا فرحين بالغنى وفي الفقر قد أصابهم الحزن والتحسرُ وأرجع ذلك الى الدهر الذي يمثل الزمان وأن من يثق به يكون خؤوناً .

رسم الشاعر الأبيوردي صورة شعرية في التعبير اللغوي والتمثيل الذهني التي عبر عنها في الابيات الشعرية مما أعطى قيمة فنية باظهار الأسلوب الجمالي للقصيدة ، والصورة الشعرية تمثل العمل الإبداعي فهي " ادراك حسي انفعالي ينقله لنا الشاعر عن طريق اللغة الشعرية يكون للمخيلة الفنية دور أساسي في صياغته وتشكيله ، وعمل المخيلة الفنية هذا يصدر من رحم التجربة الشعرية لا من خارجها. والصورة وسيلة تعبيرية فنية يعمد اليها الشاعر في تقديم أفكاره وفاعليتها وموافقه تقديماً جمالياً يسلك فيه طرائق تصوير شعرية متنوعة تتحقق فاعليتها وأصالتها بأمرين مجتمعين معاً هما: علاقتها بالتجربة الشعرية وجوها الانفعالي والتعبيري ، وصلتها بالابتكار والخلق الفني لتكون معبرة مدهشة في آن واحد " [2].

❖ فاغتراب الشاعر تجسد بذكره للحراك الطبقي

---

[1] الديوان: ٢ / ٥٠.
[2] الشعر في الامارة المزيدية بين وهج التعبير وخبّوه : د. علي عبد رمضان ، ١٥٠.

❖ فتحول بنو مطر من طبقة الى طبقة أخرى لم يكن الشاعر بمنأى عنها ، إذ كان يتمتع بمكانة عليا في زمن أبيه وبعد وفاته انتقل الى الطبقة السفلى وقد ذكرنا ذلك في اغترابه السياسي.

وقد أشار الى ذلك في شعره ، إذ قال: (البحر الكامل)

نَزَلَــتْ بِمَغْشِــيِّ الــرَّواقِ ، فِنــاؤُهُ مَثــوى وُفــودٍ أَوْ مَقَــرُّ ضُــيوفِ
مَــدَّتْ هَوادِيَهــا الرِّئاسَــةُ نَحْــوَهُ فــي حــادِثٍ يَلِــدُ الشِّــقاقَ مَخُــوفِ
وَأَقَــرَّ نــافِرَةَ القُلــوبِ فَلَــمْ يَثِــبْ أَسَــدٌ يُجِيــلُ الطَّــرْفَ حَــولَ غَريــفِ
وَقَــدِ امْتَطَــى رُتَبــاً مُنِيفــاتِ الــذُّرا حَــلَّ السُّــها مِنْهَــا مَكــانَ رَديــفِ[1]

أشار الشاعر إلى الحالة الاجتماعية التي كان يتمتع بها الشاعر ازاء حكم والده ، فقد كان فناء والده يعج بالضيوف ، ولكن كلُ ذلك ذهب سدى بعد وفاة والده.

عكس الشاعر اغترابه عن مجتمعه ، إذ عَدَّ الفقر حاجزاً أمام أحلامه وطموحاته ، قال:
ـ البحر الطويل ـ

رَأَتْنِــي فتــاةُ الحَــيِّ أغبَــرَ شــاحِباً فــأَذْرَتْ دُموعــاً كالجُمــانِ تُريقُهــا
ولــمْ تَــدْرِ أنِّــي مُسْــتَهامٌ برُتْبَــةٍ مــنْ المَجْــدِ لــمْ يــنهِجْ لِغَيْــري طَريقُهــا
أرومُ العُــلا والعُــدْمُ عَــنْهُنَّ حــاجِزٌ فتلــكَ لعمــري خطَّــةٌ لا أطيقهــا[2]

صور الشاعر تغير حاله وصار لونه كلون الغُبار إشارة للجوع الشديد وشحوب الوجه ثم ذكر صورة تشبيهية ((فأذرت دموعاً كالجمان تريقها)) شبه سيلان الدمع بأداة التشبيه الكاف كالجمان أي كاللؤلؤ جمع بين المشبه والمشبه به بأداة التشبيه الكاف. وعكس اغترابه السياسي والأجتماعي معاً ، بدلالة قوله ((ولم تدرِ أني مستهام برتبةٍ)).

لقد ذكر الشاعر نماذج عِدَّة حول مسألة الغنى والفقر مما يعكس حالة الاغتراب لديه منها قوله: ـ البحر الطويل ـ

وَمـا أَنَـا مِمَّـنْ يَـأْلَفُ الضِّـحْكَ فـي الغِنـى وإنْ نــالَ منــي الفقــرُ لــمْ أتعــبَّسِ
فَفــي العُسْــرِ أَحيانــاً وفــي اليُسْــرِ تــارَةً يَعيشُ الفَتى ، وَالغُصْنُ يَعْرَى وَيَكْتَسي[3]

---

(1) الديوان: ١ / ٦٥٣ ــ ٦٥٤ .
(2) الديوان: ٢ / ١١٥ .
(3) الديوان: ٢ / ٤٦.

أشار الشاعر الى مجموعة من التضادات أمدت الابيات الشعرية المتمثلة بالصورة الشعرية بالقوة والقدرة على التعبير مما جعلها أكثر قدرة على الإيحاء (الضحك ، العبس) (الغنى ، الفقر) (العسر ، اليسر) (يعري ، يكتسي) .

وهي تضادات جاء بها الشاعر بصورة منفصلة ما عدا التضاد الأخير الذي جاء بصورة متجاورة وهذا يحتاج الى مهارة لغوية ومقدرة فنية لا يخلو من التأمل والطرافة فضلاً عن دلالاتها النفسية ، ويمثل التضاد الأخير قيمة برهانية لإنّه وضع في قالب من الحكمة وكأن الشاعر رغب أن يخفف صرامة التجريد فألحق به البرهان والتعليل[1] .

أقتبس الشاعر نصه الشعري من قوله تعالى ((لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ)) [2] أي لا يبطر في الغنى ولا يذل في الفقر. امَّا البيت الثاني من الشعر أقتبس من الآية المباركة ((ث ث ذ ذ)) [3].

يُعد القرآن الكريم المعين اللغوي الذي لم يلبث الشعراء ينهلون منه ، متأثرين به ، وبعباراته ، إذ تأثر الشعراء بالأسلوب القرآني والأعجاز التنظيمي لهذا الكتاب المقدس ، والمعروف أنَّ الشاعر الأبيوردي أمتاز باتساع الثقافة وإمتداد أفق المعرفة العلمية مما أعطى النص الشعري ثراءً يكتسبه من خلال تلك المعرفة وقد زاده قيمة فنية عالية.

يمكن القول بأنَّ الفقر والحرمان كان من أسباب الاغتراب الاجتماعي فعملت هذه الثلة على المطالبة بحقوقهم ، والوقوف ضد الطبقية ؛ لإنهم يَرونَ أنَّ العيش إما أنْ يكون ذلة وهواناً أو تجلَّة واحتراماً.

يمثل الواقع الاجتماعي مصدراً مهماً من مصادر مَدُّ الصورة الشعرية بالأفكار والمضامين التي يصورها الشاعر من خلال التجارب التي عاشها فيعكسها في شعره ،

---

[1] ينظر: شعر الأبيوردي دراسة أسلوبية ، أكرم علي عنبر ، ٢٢٤.
[2] سورة الحديد / ٢٣ .
[3] سورة الانشراح / ٦ .

فالصورة تمثل " حواراً ذاتياً بين المبدع والواقع ، يكشف عن طبيعة المواقف التي تثيرها التجربة في حياة المبدعين " [1]. قال: ـ البحر الطويل ـ

رَعى الله نَفْسي ما أَشَدّ اصْطبارَها ... ولو طلبتْ غيرَ العلا ما تعنَّتِ
إذا ذُكِرَ المَجْدُ التَّليدُ تَلفَّتَتْ ... إليهِ بعينيْ ثاكلٍ وأرنَّتِ
فليتَ اعتراضَ اليأسِ دونَ رجائها ... ثَنى غَرْبَها أَوْ أَدْرَكِتْ ما تَمَنَّتِ
ولولا دواعي همَّةٍ أمويَّةٍ ... تذكّرها أجدادها لاطمأنَّتِ
ولَمَّا رَأَتْ أنّ الثَّراءَ يَخُونُها ... لَوَتْ جِيدَها عَما تَمنَّتْ وَظَنَّتِ
وما استهدفتْ للذُّلِّ حينَ تكدَّرتْ ... عَلَيْها اللَّيالي، فَالقَناعَةُ جُنَّتي[2]

فالأبيات الشعرية تمثل حديثٌ عن النفس وقد بدا الانكسار بشكل جلي ؛ وذلك بأختيار قافية التاء المكسورة ، وعكس النص صراع الشاعر مع ذاته وأخذ يتطور ويتسع فيظهر انعكاسه في المجتمع ، وكان لهذا النزاع أثره فغدا رمزاً لتنازعه مع الوجود والقدر والمصير ، فالتجربة الشعرية تنطلق من الواقع الفردي ولكنها لا تصل الى مرحلة التكامل حتى تعانق الواقع الاجتماعي وتحل فيه [3] .

فقول الشاعر ((رعى الله نفسي)) وهو دعاء للذات وشدة اقتدارها وسعة صبرها ، وذاته تدفعه لعظائم الأمور ، للوصول الى التميز ، والتفرد ، وبلوغ المكانة العالية ، بدلالة قوله ((ولو طلبت غير العلا ما تعنت)) فالعلا بلوغ المكانة المرموقة في المجتمع ، وهي رغبة الشاعر في التغيير والإصلاح ، فشكل مطمحاً ذاتياً واجتماعياً في آن واحد ، وقد وظف الشاعر بعض المفاهيم منها (اليأس – الرجاء) (الفقر – العلا) (الذل – القناعة) وهي مفاهيم أجتماعية أنتقد فيها الشاعر بعض السلوكيات الخاطئة متخذاً من الذات وسيلة للتعبير عن ذلك ، أثر الفقر على نفسية الشاعر بشكل كبير ، إذ قال: ـ البحر البسيط ـ

---

[1] الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بشرى موسى صالح ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١، ١٩٩٤/٥٩.
[2] الديوان : ٢ / ٢٥ – ٢٦ .
[3] ينظر: الاغتراب في الشعر العراقي في القرن السابع الهجري ، د. أحمد علي أبراهيم ، ط١ ، بغداد ، ٢٠١٣ ، ٥٩.

يـا دَهْـرُ حَتّـامَ تَجْفـو مَـنْ تُـزانُ بِـهِ ... أَمَـا لَـدَيْكَ بِمـا يَلْقـاهُ مِـنْ نَبَـإِ
تُـدني اللِّئـامَ وتُقصـي كـلَّ ذي حسـبٍ ... وَهَـلْ يُقـاسُ نَميـرُ المَـاءِ بِالْحَمـإِ
فَالعَبْـدُ رَيّـانُ مـنْ نُعْمـى يَجـودُ بِهـا ... والحـرُّ ملتهـبُ الأحشـاءِ مـن ظمـإِ
وَالفَقْـرُ تُطْفَـأُ أَنْـوارُ الكِـرامِ بِـهِ ... كَمـا يَقِـلُّ وَمـيضُ السَّـيْفِ بِالصَّـدَإِ[1]

يُعبرُّ الشاعر عن حزنه وتألمه ومناداته للدهر وشكوى حاله له ، وأما البيت الأخير فقد تحدث عن الفقر وكيف أطفأ نور الشاعر ((كما يقل وميض السيف بالصدأ)) فهو صورة تشبيهية ، إذ شبه فقره وحاله بقلة وميض السيف نتيجة الصدأ ، مثلت هذه الابيات الشعرية تأملاً واعياً بفضل عمق تجربته الشعرية . فقد كشفت عن مساوئ العصر المتمثل بالزمن والفقر والناس، وكذلك التعبير عن حاجاته النفسية التي جعلها متنفساً لهمومه وأحزانه ووطأة آلامه .

إنَّ حالة التمزق والتباين الطبقي الذي عاشه الشاعر في ذلك العصر أثَّر فيه بشكل كبير ، مما جعله يشعر بحالة من الوحشة والضياع فيحدث ردة فعلٍ يظهر صداها في ذاته أو في نفسه لعدم التوافق مع الاحداث وانعدام الصلة بينه وبين المجتمع ، فيتحقق عنده الشعور بالاغتراب عن المجتمع وهذا ما يعانيه الإنسان العادي فكيف اذا كان ذلك الإنسان شاعراً وأديباً فيشعرهما بحالة من التناقض الداخلي التي تحصل بين طموحه الذاتي وبين الواقع الرافض لذلك الطموح ، فيأتي تعبير الشاعر المليء بالشكوى والألم والتبرم ، لأنَّه يعيش في عالم يحاول مصادرة شخصيته والسيطرة عليها مما يمنعه من الحصول على الإستقرار الداخلي : ويمكن القول " رحلة العذاب بين الجوهر الداخلي وتحققه الخارجي " [2] ومصداق ذلك

ـ البحر الطويل ـ

فيـا نفـسُ صـبراً إنَّ للهـمِّ فرجـةً ... ومَالَـكِ إلاّ العِـزُّ عِنْـدي أَو القَبْـرُ
ولـي حسـبٌ يسـتوعبُ الأرضَ ذكـرهُ ... علـى العدمُ والأحسابُ يدفنها الفقرُ [3]

---

[1] الديوان: ٢ / ١١٤ ، كذلك ينظر الديوان : ٢ / ١٥١.
[2] اغتراب المثقف العربي : د. فيصل دراج ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، لبنان ، مجلة المستقبل العربي ، ع٢ ، ١٩٧٨م ، ١١٩.
[3] الديوان: ٢ / ٦١.

الابيات الشعرية المتمثلة بالألفاظ التي اختارها الشاعر فيها نسق الحزن والانكسار والحديث مع النفس وخلق الشاعر الجو النغمي الشعري المفعم بالصدق المتناغم مع النص الشعري ، وأما من الناحية الفنية فقد وظف الشاعر أسلوب النداء بقوله (فيا نفسُ) وأسلوب التوكيد إذ أكد على إنَّ الهم الذي يعيشه الشاعر لابد له من الفرج ، ويواسي نفسه أن يعيش عزيزاً أو يموت عزيزاً ، فهو شاعر همام يرفض الذلة والمهانة ويرفع من حالته النفسية إذ يفخر بحسبه ولكن هذا الحسب يذهب إذا كان الإنسان فقيراً معدماً فانه حين ذاك لا أحد يذكره ؛ وكأنما كان الشاعر يدعو لقهر اغترابه الاجتماعي بمواساة نفسه بالصبر والافتخار بالحسب.

لقد أثر الفقر على الشاعر وذكره في شعره في مواطن كثيرة [1] ، فهو يرضى بالفقر ولكن لا يرضى بالذل والمهانة وهتك الأَعراض ويعود ذلك لعزة نفسه واستعلائه والفخر بذاته ، فهو يطمح الى الغنى دائماً لأنه يرى بأنَّه طريقٌ لتحقيق المنى والعلا ومصداق ذلك قول الشاعر:

ـ البحر الكامل ـ

لــولا العُــلا، وأَنــا القَمــينُ بِنَيْلِهــا لَنَفَضْـتُ مِـنْ مِـنَحِ المُلـوكِ يَمينــي [2]

أما وضع الشاعر من الناحية الاقتصادية فقد تولى الشاعر مناصب مهمة ومنها أشراف مملكة السلطان محمد بن ملكشاه ، عاش الشاعر في مسيرة حياته حزيناً وحيداً مغترباً بعيداً عن أهله وأحبته مجهولاً قدره وشعريته ، فضلاً عن ظلم التأريخ له فقد ضاعت الكثير من أشعاره ولم يصلنا إلا القليل. [3]

إنَّ العلاقة بين الشاعر ومجتمعه لا تتخذ نمطاً واحداً أو اتجاهاً معيناً ؛ لإنَّ الشاعر لديه حرية التعبير عن كل ما يدور في داخله ، ومع ذلك فهو ملتزم بقضايا أمته ومجتمعه ومشارك فيها فكرياً وروحياً ، فيتطلب منه الصراحة والوضوح والإخلاص ، ولا يقيد هذا الإلتزام حريته في التعبير ، إذ إنّه يقوم على المبادرة الإيجابية النابعة من ذاته ، والمستجيبة لدوافع نفسية

---

[1] للاستزادة الرجوع الى الديوان (٢ / ١٢٦ – ١٢٧ ، ٢ / ١٠٥)

[2] الديوان : ١ / ٥٠٨ .

[3] خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء العجم): عماد الدين الأصفهاني (ت٥٩٧هـ) ، تحقيق: د. عدنان محمد آل طعمة ، مرآة التراث ، ط١ طهران ، ١٩٩٩م / ٢٣٧.

ووجدانية نابعة من صميم قلبه [١]. خاصةً وأنَّ العصر الذي عاشه الشاعر عُرِف بعصر المتغيرات وعصر الملذات ، إذ ارتفعت فيه صوت الشهوة فضعفت القيم الأخلاقية ، وابتعد الناس عن الكثير من المفاهيم مما أحس العقلاء بغربة عميقة ، انَّ الأفراد الذين يتمسكون بالقيم التي ألفوها وتأثروا بها فإذا ضاعت يشعرون بالحزن لفقدانها [٢] ، ومن الأمور التي أنتقدها الشاعر الحقد الذي يتصف به بعض الناس، قال الأبيوردي : ـ البحر البسيط ـ

يـا رَوَّعَ اللّـهُ قَوْمـاً ريـعَ جـارُهُمُ وَالـذُّلُّ حَيـثُ ثَـوَى جَنْـبٌ وَهَمْـدانُ
مَلَطَّمـونَ بِأَعْقـار الحِيـاضِ لَهُـمْ بِكُـلِّ مَنْزِلَـةٍ لِلُّـؤْمِ أَوْطـانُ
فَلَـيسَ يَـأْمَنُهُمْ فـي السِّـلْمِ جيـرَتُهُمْ وَلا يَخـافُهُمُ فـي الـرَّوْعِ أَقْـرانُ
فـارَقْتُهُمْ وَلَهُـمْ نَحْـوي إذا نَظَـروا لَحْـظٌ تُلَظِّيـهِ أَحْقـادٌ وَأَضْـغانُ
وَبَـيْنَ جَنْبَـيَّ قَلْـبٌ لا يُزَعْزِعُـه علـى مُكافَحَـةِ الأَيّـامِ أَشْـجانُ [٣]

رصد الشاعر بعض السلوكيات السلبية مثل اللؤم والحقد والضغينة ، مما نتج عنه فراق الشاعر لهم ؛ لإنّه يرى إنه لا مكان له بينهم ، فهو يملك قلباً قادراً على مكافحة الأحزان ، وقد تميز الشاعر الأبيوردي باحساسهِ المرهف فقد صقل شاعريته ، ورفع من حالته المعنوية في البيت الأخير ومواجهة الاغتراب المكاني والاجتماعي – الروحي – وقد عبَّر عن تجاربه المريرة المتأثرة بالواقع ، وصقل الروح المغتربة النابضة بالوعي والحيرة.

والدليل على ذلك قول الشاعر في موضع آخر . ـ البحر الطويل ـ

سَـأَرْحَلُ عـنهمْ والمُحيّـا بِمائِـهِ وَعِرضِـيَ مـنْ مـسِّ الهَـوانِ سَـليمُ
فَـإن جَهلُـوا فَضْـلي علـيهمْ فَـإنَّني بِتَمْزيـقِ أَعْـراضِ اللِّئـامِ عَلـيمُ [٤]

قابل الشاعر بين عرضه واعراض اللئام مما كشف عن حجم الصراع والقلق الذي يعانيه ، فعرضه سليمٌ من الذل والضعف ، وأما الآخر فالشاعر مزق عرضه وطعن فيه .

---

[1] ينظر: الالتزام في الشعر العربي، د. أحمد أبو حاقة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩، ١٤.
[2] ينظر: الاغتراب أصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً : قيس النوري ، ٣٤.
[3] الديوان: ١ / ٥١١ .
[4] م . ن : ١ / ٦٤٤ .

وقوله ((سأرحل عنهم)) تدل على معنى الانعزال إي إنكفاء على الذات مع الحفاظ على قوة وصلابة الموقف ((اغتراب بلا إنكسار)) ، وإختيار الرحيل يمثل لحظة انهيار تام ، فقد عبَّر عن غربة الذات بين هؤلاء اللئام والحاسدين بتوظيف الصيغة الحوارية الحاضرة فكانت نفسه حاضرة باستخدام ياء المتكلم ، وأما المغيب فهو الطرف الآخر وقد دفع هذا الحوار بشيء من الإغراء النصي لجذب انتباه الآخر ليكون ما يتمنى حاضراً في نهاية المطاف، وذلك عَبْرَ استعماله لإسلوب التضاد (الجهل ، العلم).

أنطلق الشاعر الأبيوردي من قاعدة ثقافية أخلاقية إسلامية ، وذلك بتوظيف دلالة الالفاظ التي تدل على معنى سامٍ يصف الشاعر من خلالها محنته ومعاناته وشعوره بالاغتراب.

ولكون الشاعر دائم التأمل بالجوانب الاجتماعية وما يتعلق بها فهو الأكثر مقدرة بالتعبير عنها ، وفقاً لما تقتضيه مقدرته الشعرية . بخاصة اذا اشتملت هذه الحياة الى عناصر مؤدية الى النقد والاضطراب فيؤثر ذلك في حياة الشاعر الأدبية [1] . قال : ــ البحر الوافر ــ

تأَمَّلــــتُ الـــورى جِـــيلاً فجـــيلا ... فَكـــانَ كَثيـــرُهُمْ عِنـــدي قَلـــيلا

لَهُـــمْ صُـــوَرٌ تَـــروقُ ولا حُلـــومٌ ... وَأَجْســـامٌ تَـــروعُ ولا عُقـــولا

وَأُبْصِـــرُ خـــامِلاً يَجْفـــو نَبيهـــاً ... وَأَسْـــمَعُ عالِمـــاً يَشْـــكو جَهـــولا

إذا مـــا شِـــئْتَ أَنْ يَلقـــاكَ فـــيهم ... عَـــدُوٌّ فاتَّخِـــذْ مِـــنْهُمْ خَلـــيلا

وَإنْ تُـــؤْثِرْ دُنُـــوَّهُمُ تُمـــارِسْ ... أَذىً تَجِـــدُ العَنـــاءَ بِـــهِ طَـــويلا

وَإنْ نـــاوَلَهُمْ أَطـــرافَ حَبـــلٍ ... وَهـــي فـــاهجُرهُمُ هَجـــراً جَمـــيلا

وَلِـــنْ لَهُـــمُ وَخـــادِعْهُمْ أَوِ اشْـــدُدْ ... عَلـــى صَـــفَحاتِهِمْ وَطْئـــاً ثَقـــيلا

فَإمّـــا أَنْ تغـــالِبُهم عَزيـــزاً ... وَإمّـــا أنْ تُـــدارِيَهُمْ ذَلـــيلا [2]

---

[1] ينظر: الادب وفنونه ـ دراسة ونقد ـ ، عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٩ ، د. ٢٠١٣م ، ١٢٢ .

[2] الديوان: ١ / ٣٩٨ .

جاءت الابيات الشعرية بأسلوب سلس وواضح لجميع الطبقات فهو يُعبر عن ما يختلج القلب اتجاه المواقف ، فَتُريح النفوس وتزيل عن الارواح الهموم وتذهب عنها المتاعب والألآم ، فجاءت بصورة جميلة يُعبر فيها الشاعر عن تأمله موظفاً الأساليب البلاغية التي تعبر عن مكنوناته وما يعانيه من ألم وحسرة ، إذ بدأ بأسلوب خطابي بقوله (تأملتُ) هذا التأمل الذي يمثل منبعاً لقول الحكمة للمخاطب بصورة عامة وقد وظَّفَ فعل الامر (أبصرَّ ، اسمعُ ، فاتخذ ، فاهجر ، أَشدُد) إذ أراد الشاعر تحريك مشاعر المخاطب وحثهم على الإنصات له ويمثل هذا الخطاب الشعري مجموعة من النصائح والتوجيهات ويخير المخاطب بين الصدود والرضوخ لمشاعره وتوجيهاته وهو راضٍ بما اختاره ومما أيدَّ هذه الفكرة إكتناز النص للعديد من التقنيات البلاغية ، منها التضاد بالألفاظ (كثير ، قليل) (خاملاً ، نبيهاً) (عالماً ، جهولاً) (عزيزاً ، ذليلاً) وكان لهذا الأسلوب أثره البلاغي في المخاطب ، ومن التقنيات أسلوب التكرار بقوله جيلاً فجيلا وكذلك أسلوب المفارقة المتمثل بالبيت الرابع إذ أتخذ العدو خليل فضلاً عن أسلوب الاقتباس في البيت السادس بقوله " وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا " [1] ثم ختم الابيات بأسلوب غاية الروعة وهو كيفية أن يختار الإنسان طريقة عيشه فأما يعيش عزيزاً ويتغلب على هؤلاء الاراذل من الناس أو أن تعيش ذليلاً وذلك بالرضا والمدارة وهي دعوة جميلة تدعو الإنسان الحر للعيش بحرية وكرامة .

فالابتعاد عن القيم الأخلاقية للشخصية السائدة في مجتمعه إذ وصفها بالجهل والخمول ، ولدَّ الإحساس بالغربة ، لإنّه يرى نفسه يختلف عن النمط السائد في المجتمع ، وهو بسبب ذلك عانى من الاغتراب.

أستمر الشاعر في نقد المجتمع لأنه مراقب ، لذاته ومراقب للمجتمع من خلال ذاته واذا وصف الشاعر العوالم الخارجية ، أو نظر الى مجتمعه أو بيئته نظرة ناقدة ، فإن العالم وما فيه يتحول لدى الشاعر الى حالة نفسية [2] .

إنَّ موقف الشاعر من النظم والعادات والتقاليد البعيدة عن القيم الاخلاقية ، موقف الرافض لتلك الإيديولوجيات ؛ فلقد كانت مواجهة الشاعر للأمور السلبية في المجتمع مواجهة إيجابية تنبع من الدافع الذاتي ومن نظرته الإنسانية المتأملة ، فكان الشعر وسيلة الشاعر في التعبير ،

---

[1] المزمل : ١٠ .

[2] ينظر: الاغتراب في شعر حسين زيدان (ديوان شاهد الثلث الأخير آنموذجاً) ، جعلاب مريم ، رسالة ماجستير ، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي ، كلية الآداب ، ٢٠١١م ، ٥٠.

الذي هو مزيج من الأغراض الشعرية ، فقد جمع بين الفخر والمدح والهجاء والحكمة ، مما زاد شعره مكانة بين الشعراء بأقواله الخطابية المفعمة بمعاني الألم والعاطفة الجياشة ، مما زاد من قيمة شعره الاغترابي. وقد جاء شعره دليلاً على ذلك على نحو قوله :

ـ البحر الطويل ـ

قَضَتْ وَطَراً مِنّي اللَّيالي فَلم أَبُحْ بشكوى ولمْ يدنسْ عليَّ قميصُ

أغالي بِعِرْضي والنَّوائِبُ تَعتَري وغيري يبيعُ العرضَ وهوَ رخيصُ

وقدْ علمتْ عليا كنانةَ أنَّني على ما يزينُ الأكرمينَ حريصُ

أصونُ على الأطماعِ وجهاً لبشرهِ إذَا عَبَسَ الدَّهْرُ الخَؤونُ وبيصُ[1]

فظهري بأعباءِ الخصاصةِ مثقلٌ وبطني منْ زادِ اللِّئامِ خميصُ [2]

يرتفع صوت الشاعر معبراً عن ذاته مقنعاً كلامه بمعاني العز والابتعاد عن الذل والبخل، فضلاً عن إعطاء صورة عن ذلك المجتمع وقد كثرت الشكوى في عهد الشاعر ووجدت مكانها على ألسنة الكثير من الناس ، وخاصة الشعراء وأعربت عن حالة من القلق النفسي ، المتولد من إضطراب سياسي وفكري وإجتماعي ، وقد ذكر ذلك أحد الباحثين بقوله وظهرت: " الشكوى بين الشعراء منذ أوائل عصر السلاجقة بتعقيد المجتمع ، والشاعر منه بخاصة ، فالمتناقضات تقلقهم والدهر يحاربهم ، والحظ يعاكسهم ، ومتحكمون ليسوا بذوي تفهم للعلوم والآداب ، حيث يسيطرون على مقاليد الأمور " [3] .

وقد زاوج الشاعر بين الزمان بدلالة الألفاظ (الليل ، الدهر) ، والاغتراب الاجتماعي ؛ والتظلم من الليالي والدهر ، والناس وفيها إشارة إلى بُعد نفسي أكدَّ معنى الغربة ، والوحدة ، وبعد سياسي واجتماعي.

---

[1] وبيصُ: البريق ، وبص الشيء يبصُ وبصاً ووبيصاً وبصةً ، برقَ ولَمَعَ . لسان العرب مادة : وبص ٤٧٥٤/٦.

[2] الديوان : ج ٢ / ١١٥ ــ ١١٦ .

[3] حول الادب في العصر السلجوقي ، محمد التونجي، ١٥٨.

وقد وجه النقد الاجتماعي الى حالة الذل التي مَرَّ بها المجتمع وبيع النفس بأرخص الاثمان ، والطمع المستشري في المجتمع ، أما هو فيرى نفسه بعيداً عن أخلاق هذا المجتمع ، وقد وظفَّ أسلوب التضاد البشر – عبس ، والكناية فقد كنى عن الدهر بلفظة عبس فالدهر لا يعبس .

وأراد الشاعر بالتخفيف من وطأة الاغتراب الاجتماعي بالفخر بنفسه ، وقدرته على تحمل المصاعب والشدائد.

كان موقف الشاعر من الناس مرتبط بأفعالهم وتصرفاتهم وأقوالهم ، قال:

ـ البحر البسيط ـ

مجْـدٌ علـى هامَـةِ العَيُّـوقِ مَرْفـوعُ ... راقَ الـوَرى مِنْـهُ مَرْئِـيٌ وَمَسْـمُوعُ

وسـؤددٌ لـم يجُـبَّ الـدَّهرُ غاربـهُ ... وغيـرهُ فـي نـديِّ الحـيِّ مـدفوعُ

طَـرْفُ الحَسـودِ غَضـيضٌ دونَ غَايَتِـه ... وَسِـنُّهُ بِبنـان العَجْـز مَقْـروعُ

وَقَـدْ وَرِثْنـا هُمـا غُـرّاً جَحـا جِحـةً ... أريـبهمْ فـي النَّـدى بالحمـدِ مخـدوعُ

لكنَّنـا فـي زمـانٍ ليـتَ دابـرهُ ... بمـا يشـقُّ علـى الأوغـادِ مقطـوعُ

غَـاضَ الكـرامُ كمـا فـاضَ اللِّئـامُ بِـهِ ... فـالخيرُ مجتنـبٌ والشَّـرُّ متبـوعُ

ومـا لهـمْ نسـبٌ لكـنْ لهـم نشـبٌ ... وكـلُّ لـؤمٍ بـهِ فـي النّـاسِ مرقـوعُ

وَهَـلْ يَضُـرُّهُمُ أَنْ لـيسَ عَمَّهُـمُ ... عَمـرُو العُـلا هاشِـمٌ وَالخَـالَ يَربـوعُ [1]

يعقد الشاعر مقارنة بين زمنين زمن الماضي كان الشاعر من أصحاب مجد وسيادة ولم يستطع الحاسد ان ينال منه .

اما الزمن الحاضر فقد امتلأ بالتناقضات والمتضادات ، ونال اللئام فيه مكان الكرام ، وأصبح الخير منبوذاً ، والشر متبوعاً ، فهذا التباين والتغاير في نسيج المجتمع ؛ أرهق الشاعر ، فنجده كثيراً ما يتحدث عن أبناء المجتمع وأحوالهم في معرض النقد ، ويتعرض الى ناس قدمهم الدهر وهم لا يستحقون التقديم إذ قال :

---

[1] الديوان: ٢ / ٢٤ .

ـ البحر الطويل ـ

وهــلْ ترفــعُ الأيــامُ إلاّ عصــابةً ... عفــتْ بهــمُ للمكرمــاتِ ربــوعُ

لَهُـمْ ثَـرْوَةٌ يَمْتَـدُّ فـي اللُّـؤْمِ باعُهـا ... حَواهَــا نَعــامٌ فــي النَّعــيمِ رَتُــوعُ

إذا شــبعوا بــاتوا نيامــاً وجــارهمْ ... يُصــارِعُ جَفْنَيْــهِ الكَــرَى وَيَجُــوعُ

شَـكَتْ عُقَـبَ المَسْـرَى مَطَايـا تَـؤُمُّهُمْ ... وتــذرعُ أجــوازَ الفــلا وتبــوعُ

فــلا زلــنَ حسـرى لــمْ حملــنَ إلــيهمُ ... فَتــىً لا يُنــاغِي نَاظِرَيْــه خُشــوعُ

وَهُـمْ نَفَـضُ الآفـاقِ قَـدْ خَبُثَـتْ لَهُـمْ ... أُصــولٌ فَمــا طَابَــتْ لَهُــنَّ فُــروعُ

إذا زَارَ مَغْنــاهُمْ كَــريمٌ فَمــا لَــهُ ... إلــيْهِمْ إذا حُــمَّ الفِــراقُ رُجــوعُ [1]

نجد الشاعر يتعرض الى أناس لا ينتمون الى المكرمات ؛ فهم يملكون الأموال الطائلة وينفقونها في الفجور واللؤم دون مراعاة حق الفقير فيها ، وتوجع الشاعر من هؤلاء خلق لديه اغتراباً روحياً ممتزجاً باغترابه الاجتماعي ، وسيطرة الالفاظ الوجدانية على صور تلك الأبيات ، إذ وظف معجماً حافلاً بالدلالات النفسية (الصراع ، يجوع ، حسرى ، خشوع ، الفراق) ومن خلال تلك المفردات نستطيع ان نتبين نمطية الاغتراب الاجتماعي ، فنراه عارضاً وناقداً لبعض الظواهر ، إذ وظفَّ مقدرته الشعرية في مواجهة المشكلات التي مرَّ بها المجتمع ، والتي أبرزها المفارقة الفاحشة بين الفقراء والاغنياء ، وتعرض لبعض السلوكيات السلبية منها الحقد والبخل واللؤم ، والجهل ، وعدم قدرته على التوائم مع المجتمع لأسباب من أهمها الاضطراب السياسي ، فالذي يعيش حالة الاضطراب السياسي هو الأكثر تعرضاً للاغتراب الاجتماعي ، لإنَّه أكثر ارتباطاً بالمجتمع مما يكون أقرب لآلامهم وأحاسيسهم.

[1] الديوان : ٢ / ٧٣ .

المبحث الثاني
غربة الأصدقاء

المبحث الثاني

غربة الأصدقاء

بسبب سيطرة العلاقات المادية بين الناس وطغيان الدوافع المصلحية، أدى ذلك الى فقدان معاني الصداقة والوفاء والمحبة ، وأصبح أساس التعامل بين الافراد هو الكذب والتزلف والنفاق والخداع [١]، وبالرغم من إقامة بعض الشعراء بين أهليهم وذويهم إلا أنهم شعروا بالغربة والوحدة وذلك لعدم توافقهم وأنسجامهم مع المجتمع ومنهم الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) والمعري (ت ٤٤٩ هـ) .

تمثل اغتراب الشاعر الأبيوردي باغترابه عن الآخرين أي من الناس عامة وكذلك اغترابه من الأصدقاء وقد ترك ذلك أثرٌ بليغ على نفسية الشاعر ، فاغترابه عن الآخرين حدث بسبب أختلال الموازين ، وأنحراف القيم الأخلاقية والأجتماعية ، وتبدل الأعراف ، وتطغى عليهم القيم الفاسدة فتشعر النفوس النبيلة الأصيلة بالاغتراب عن الناس الذين عمهم الفساد ، فتلجئ الى التعبير عن اغترابها بكلمات عقد أو سخرية أو رفض أو ثورة أو هجوم [٢] ..... .

وقد ترجم ذلك الشاعر بقوله: ـ البحر الكامل ـ

فَسَدَ الأنامُ فَكُلُّ مَنْ صاحَبْتُهُ راجٍ يُنافِقُ أَو مُداجٍ خاشِ

وَإِذا اخْتَبَرْتُهُمُ ظَفِرْتُ بِباطِنٍ مُتَجَهِّمٍ ، وَبِظاهِرٍ نَشَّاشِ [٣]

يتحدث الشاعر عن فساد المنظومة الإجتماعية الإنسانية فهم إما منافق أو مدارٍ ، وإذا اختبرت هؤلاء وجدت باطناً كريهاً وغليظاً وبظاهراً هشاشاً.

وقد علق العماد الأصفهاني على هاتين البيتين " انظر الى هذه القسمة القسيمة ، والوسمة الوسيمة ، والجملة الجميلة ، والكلمة الجزيلة ، ولقد صدق في هاتين البيتين وأصاب الشاكلة لذكر النقيصة في أهل العصر والمصيبة الشاملة بين الدهر" [١] .

---

[1] الاغتراب في الشعر العباسي في القرن الرابع الهجري ، سميرة سلامي / ١٦٢.
[2] المصدر نفسه / ١٧٤.
[3] الديوان: ١ / ٥٦١

ان حاجة الإنسان لأخيه الإنسان حاجة ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها ؛ لأنَّ الإنسان بطبيعته الفطرية ولد أجتماعياً فهو بحاجة الى الحب والانتماء وهذا لا يتم إلا عن طريق شبكة من العلاقات الاجتماعية التي يقيمها الأفراد مع بعضهم ، وهذه الحاجة لا يمكن اشباعها إلاَّ من خلال الآخرين وذلك بإقامة علاقات إيجابية معهم ، أما في حالات الاخفاق في إشباع حاجته من الحب ، فيعطي مؤشراً لحالات الاغتراب التي يعيشها الفرد أو الآخرون بخاصة عندما يكون بعيداً عن أهله ، أو اصدقائه ، أو جيرانه ، أو مجتمعه بصورة عامة [٢] . قال الأبيوردي : ـ البحر الطويل ـ

وقد نبذتْ عيني إلى الناس نظرةً كما يتقي الظبي المروعُ واميا

كِلا ناظِرَيْهِ نَحْوَهُ مُتَشاوِسٌ يُعاتِبُ لَحْظاً رَدَّهُ الرُّعْبُ وانِيا

فلمْ تَرْضَ إلاَّ مَنْ يَحُلَّكَ مِنْهُمُ أَظُنُّ أَديمَ الأَرْضِ بَعدَكَ عارِيا [٣]

فالشاعر كره لقاء مثل هؤلاء الناس ، فلا استوفي النظر إليهم كما لا يستوفي الظبي المرتاع النظر الى الرامي ، وفي البيت وصف الشاعر نظر هؤلاء إليه وهي النظرة بمؤخرة العين وهذا معنى كلمة تشاوس ، وعتاب جميلٌ إذ أحسن معاتبة هؤلاء الناس ومنهم الأحباب ، وأعبق القلب من تذكر أيام الشباب ، أما في البيت الثالث فقد أشار الشاعر الى أن الذي يستحق ان ترضى عنه الناس هو من يقيم عندك ، وإلاَّ كانت الأرض عارية من الناس فلا أحد أقرب إليك من أهلك [٤]، والظن هنا بمعنى اليقين كقوله تعالى ((يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ))[٥].

فهو يتبرم من الناس بعد مفارقتهم ، فودَّ الشاعر بقوله أظنُّ أديم الأرض بعدك عارياً أي أن الأرض عريت من أهلها حين فُرِضَ عليه بمفارقة احبابه.

---

(1) الخريدة / قسم شعراء العجم : ٢ / ٢٩٥ .

(2) ينظر: الاغتراب الاجتماعي وعلاقته بالحاجة الى الحب لدى شرائح اجتماعية مختلفة من العراقيين المقيمين في بعض الدول العربية / مجلة كلية الآداب / العدد ٨٥ / م . د. بشرى عناد مبارك ، جامعة ديالى – كلية التربية الأساسية .

(3) الديوان: ١ / ١١١ .

(4) ينظر: شرح الديوان / ١١١.

(5) سورة البقرة : ٤٦ .

وقد أشار الشاعر الأبيوردي الى توجعه ونظرته الى الناس الذي قلَّ فيه الناصر وضعف فيه المعين وهي رؤية اجتماعية ونفسية وتأملية ليرسم لنا المشهد الاجتماعي العباسي ، ويحلل لنا ما كانت تعانيه النفس الإنسانية التي عاشت في ظروف شطت فيها عن حياة القيم والمبادئ والأخلاق.

ومن جانب آخر أراد الشاعر أن يرسم صورة جميلة عن المجتمع الذي تسود فيه المحبة والمودة والتآزر والتعاطف ، صورة أن يقف الإنسان بجانب أخيه الإنسان في جميع الأوقات ، إذ يدفع بعضهم بعضاً نحو التطور والحضارة والتغيير والتجديد.

وفي موضع آخر يتحدث الشاعر عن غياب محبوبته فهو " يعبر عن اغترابه بسبب عدم قدرته على تحقيق التواصل مع البنية الاجتماعية " [١] .

كان للصداقة صدىً كبيرٌ في شعر الشعراء ، منذ القدم لِما لها من أثرٍ في النفس الإنسانية ، فكان وفاء الصديق وفقدانه ، تمثل هاجساً يؤرق خيال الشاعر وفكره ونفسه ، وقد أفتتح بعض الشعراء مطلع قصائدهم بذكر الصديق ، أمثال امرئ القيس (ت٥٤٠هـ) ، وبشار بن برد (ت١٦٨هـ) وغيرهم .

تمثل الصداقة من أسمى العلاقات الاجتماعية . ولقد كانت حاضرة في شعر الشاعر الأبيوردي فكان يتمنى الحصول على الصديق الوفي المخلص وقد ذكر ذلك في شعره.

ـ البحر الطويل ـ

فَمَنْ لي على غَيِّ التَّمَنِّي بِصاحِبٍ سليمِ نواحي الصَّدرِ لا يحملُ الحقدا

يَعُدُّ الغِنَى فَضْفاضَةً ذاتَ رَفرَفٍ وَصَمْصامَةً عَضْباً وَذا خُصَلٍ نَهْدا

ولولا افتراشُ الذِّئبِ للغدرِ صدرهُ لَما كُنْتُ أَتْلَو في مَطالِبِها الأُسْدا [٢]

يتكلم الشاعر عن أصدقائه الذين لم يخلصوا له كما أخلص لهم رغم الأَيادي البيضاء التي تمد لهم في الليالي السوداء ؛ لذا تعرض لهم الشاعر بالذم لأنهم صموا أسماعهم عن نداء العُلا ،

---

[1] الاغتراب في شعر العبسيين عنترة بن شداد وعروة بن الورد ، نصرت صالح يونس العكيدي ، رسالة ماجستير ، جامعة الموصل ، كلية التربية ، ٢٠٠٠م ، ٥٦.

[2] الديوان : ٢ / ١٢ .

فهم يظهرون المودة ويبطنون البغضاء ويستغلونه لنيل المآرب ، لذلك أحسَّ الشاعر بالاغتراب لأنه لم يكن لديه أحد يلتجأ إليه في نوائب الأحداث .

وقد وظَّف أسلوب الاستفهام في البيت الشعري إذ يخرجه الى التمني الصعب المنال ، وقد منح الكلمات الشعرية أبعاداً دلالية وفنية ، عبَّر عن طريق الاستفهام عن الحيرة والألم والحسرة التي يعانيها الشاعر. وقد أرتفع مستوى الغربة الاجتماعية في نفس الشاعر الى حالة اغترابية أكثر مأساوية وهي خذلان الأصدقاء ، وهي حالة تمثل الاختلاف الخانق الذي يسد أبواب التضامن الأخوي والروحي بوجهه لذا عاش الشاعر الغربة والاغتراب وعانى من خذلان الأصدقاء وغدرهم وعدم وفائهم وذكر نماذج كثيرة من شعره كانت مصداقاً لتجلي الاغتراب الاجتماعي لديه فشعوره بالوحدة عمق احساسه بالاغتراب ، قال:

ـ البحر الطويل ـ

ولا أرتضـــي خـــلاً يـــدومُ ودادهُ ... علـــى طمـــعٍ مـــا دامَ عنـــدي مـــالُ

أرى النـاسَ أَتْبـاعُ الغِنـى ، وَلِمَـنْ نَبـا ... بِـــهِ الـــدَّهْرُ مِـــنْهُمْ ضَـــجْرَةٌ وَمَـــلالُ

إذا مـا اسـتَفَدْتَ المـالَ مـالُوا بِـوُدِّهِمْ ... إِليـــكَ ، وَحـــالوا إِن تَغَيَّـــرَ حـــالُ

فَمـنْ لـي علـى غَـيِّ التَّمَنِّـي بِصاحِبٍ ... عَزيمَتُـــــهُ لِلْمَشْـــــرَفِيّ مثـــــالُ

إذا مَـدَّ مِـنْ أَثْنـاءِ خُطْوَتِـهِ المَـدى ... فلـــيسَ ينـــاجي أخمصـــيهِ كـــلالُ

إذا مَـا سَـأَلْتَ الحـيَّ عَـنْ خَيْـرِهِمْ أَبـاً ... أشـــارت نســـاءٌ نحـــوهُ ورجـــالُ [1]

يتحدث الشاعر في الابيات الشعرية عن نوعين من الأصدقاء وهما : الصديق الوفي والصديق السيء فهو لا يرتضي ولا يريد ان تكون هذه الخلة على طمع وفي حالة الرخاء فالصديق الحقيقي هو من يكون معك في وقت الشدة والحاجة وليس في وقت الرخاء فقط بل في جميع الأوقات في الشدة والرخاء وقد عبَّر أمير المؤمنين (عليه السلام) عن هذا المعنى إذ قال " الغريب من لم يكن له حبيب " [2] .

---

[1] الديوان: ١ / ٥١٥ ، ٥١٦ .

[2] نهج البلاغة : شرح محمد عبده ، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ٢٠١٢م ، ٣ / ٣٧.

الثنائية المؤلمة بين حاجته الى صديق ، وبين حرمانه من وفاء الأصدقاء بالتوجه في شكوى الدهر ، لأن انعدام وفائهم ينقله الى الدهر آلت إليه أمورهم من تغيير الأحوال ، وفي نهاية الأبيات يتمنى الشاعر الصديق المثال الذي يسعى للحصول على هذا الانموذج الرائع والتمني قد يكون عادة لأمر بعيد الحصول أو قد يستحيل الحصول عليه فهو يئس من تحقق الحصول على صديق وفي لا يغدر ولا يخون وأن يكون مثالاً للأخوة الصادقة . وقد رسم الشاعر في هذه الأبيات الشعرية لوحة شعرية ذات بناء فني متين وإيقاع موسيقي مما يبعث الطمأنينة في النفس التي توجت هذه العلاقة بالمحبة والود الصافي.

فكان بحثه عن المثال هو انفصالٌ عن الواقع المألوف ، وذلك بسبب استفحال الظلم والقهر الاجتماعي ـ الاقتصادي مما يدفع الى الشعور بالاغتراب وذلك لعجزه عن مواجهة الواقع ، فهو يعيش في مجتمع فيه الفقر وعدم الوفاء فأثر ذلك في ذاته مما يدفع الشاعر أحياناً الى رفض الواقع فيلجأ الى التركيز على ((الأنا)) فالجانب النفسي للذات يكشف عن نبرة حزينة مغلفة بالوحدة والانكسار .

فالإحساس بالاغتراب الاجتماعي والإيماء بتعبير الذات كان حاضراً في شعر الأبيوردي إذ قال:

ـ البحر الكامل ـ

فَسَدَ الزَّمانُ فَلَيسَ يَأْمَنُ ظُلْمَهُ ... أَهْلُ النُّهى ، وَبَنوهُ مِنْهُ أَظْلَمُ

أَينَ التَفَتَّ رأتَ مِنْهُمْ أَوْجُهاً ... يشقى بِهِنَّ النّاظِرُ المُتَوَسِّمُ

وَأَضَرُّهُم لَكَ حِينَ يُعضِلُ حادِثٌ ... بِالمرءِ مَنْ هُوَ في الصَّداقَةِ أَقْدَمُ

وَمَتى أَسَأْتَ إِلَيْهِمُ وَخَبِرْتَهُمْ ... أُلفِيتَ بعدْ إساءةٍ لا تَنْدَمُ

نَبَذوا الوَفاءَ مَعَ الحَياءِ وراءَهُمْ ... فَهُمُ بِحَيْثُ يَكونُ هذا الدِّرْهَمُ

وَعَذَرْتُ كُلَّ مُكاشِحٍ أُبلَى بِهِ ... فَبَلِيَّتي مِمَّنْ أَصاحِبُ أَعْظَمُ

مَذِقُ الوِدادِ، فَوَجْهُهُ مُتَهَلِّلٌ ... لِمكيدَةٍ ، وضَميرُهُ مُتَجَهِّمُ

يُبْدِي الهَوى وَيَسُورُ، إِنْ عَرَضَتْ لَهُ ... فُرَصٌ عَلَيَّ، كَما يَسورُ الأَرْقَمُ

وَيَــرومُ نَيــلَ المَكرُمــاتِ، ودُونَهــا أَمَــدٌ بِــهِ انتعــلَ النَّجيــعَ المَنسِــمُ[1]

ذكر الشاعر صورة مزدوجة عن ظلم الزمان وغدر الأصدقاء وهي صورة بلاغية تحمل جنبة الاستعارة يقول فَسد الزمان والزمان لا يفسد ولكن الناس هم من يقوموا بالإفساد فلا يأمن أهل العقل وغيرهم فالكل سواء في الظلم.

ثم يحول الحوار الى الأسلوب الاستفهامي الاستنكاري إذ حاول عن طريق هذا الأسلوب إثارة المتلقي ومشاركته في حالته النفسية والشعورية لإفهامه عمق ما يعانيه من ألم وحزن لأنه وجد أنَّ مثل هؤلاء الأصدقاء موجودون بكثرة فوجوههم لا تُشعِرك بارتياح ، بل بشقاء فهم يتصفون بعدم الوفاء بل لا تأمن شرهم لأن كل ما يهمهم هو المال ومن كان هكذا صديقه فلا عجب لما يصدر من غيرهم.

وهذه الشكوى التي صدرت عن الشاعر في بيان غدر الأصدقاء ناتجة أيضاً من غدر وحسد " الكثير من الناس وخاصة أقرباءه إذ لم ينصروه في حياته وكان هذا الإخفاق مركب النقص الذي دفعه للعمل والجهد طوال حياته كي يسد خلله ويرقع وهيه" [2] .

من الجدير بالذكر أنَّ الشاعر في هذه الأبيات الشعرية يشير الى أنَّ من يتصف بمثل هذه الصفات الذميمة لهم المناصب العليا والحظوة والمال رغم تخليهم عن القيم الأخلاقية ، لذا نجدُ كثيراً من الاشعار التي تبين دناءة هؤلاء الناس ويظهر اغترابه عنهم فيحاول الشاعر أن يكون ناصحاً فقد أشار الى عدم الثقة الى هؤلاء وقد ينتج عن ذلك عدم ثقته بمجتمعه الذي عاش فيه إذ قال: ـ البحر الكامل ـ

لا تُخْلِــدَنَّ إلــى الصَّــديقِ، فَإنَّــهُ بِــكَ مِــنْ عَـدُوِّكَ فــي المَضَـرَّةُ أَعْلَـمُ

يَلقــاكَ، والعَسَــلُ المُصــفَىَّ يُجتَنَــى مِــنَ قَوْلِــهِ، وَمِــنَ الفَعــالِ العَلْقَــمُ

هــذا وَرُبَّ مُشــاحِنٍ عَلِقَــتْ بِــهِ شَـمْطاءُ تُلْقِحُهـا الضَّـغائِنُ مُتْـئِمُ [3]

قول الشاعر (لا تخلدنَّ) منح النص ثراءً لغوياً ودفقاً حيوياً عبّر الشاعر عن طريقها عن أفكاره وانفعالاته . أي لا تطمئن لمن قد يضرك ولا تظهر سرك عند صديقك فضلاً عن

---

(1) الديوان: ١ / ١٧٤ ــ ١٧٥ .
(2) الأبيوردي ممثل القرن الخامس ، ممدوح حقي ، ٧٢.
(3) الديوان : ١ / ١٧٦ .

أسلوب التضاد بين الكلمات مثل (الصديق ، العدو) (العسل ، العلقم) مما أضاف قيمة فنية جمالية ، فأبيات الشاعر تعبر عن شعور بالوحدة و وتمزق للذات مما خلق جواً نفسياً مثقلاً بالهموم والأحزان فأطلق مجموعة من الأشعار وفيها ما فيها من النصح والتوجيه والإرشاد مما أدخله في دائرة الاغتراب والأحساس بالوحدة ، فيشعر أنه لا ينتمي الى هذا المجتمع فيعكس ذلك الى التوجه الى ذاته في سبيل مواجهة التحديات التي تواجه الشاعر وقد ترجم ذلك في شعره إذ قال: ـ البحر الطويل ـ

وإخـوانِ صـدقٍ كنـتُ أرعـى مغيـبهُمْ وَأَدْفَـــعُ عَـــنْهُمْ وَالرِّمـــاحُ دَوانِ

فَلَمّـا اسْـتَفادُوا ثَـرْوَةً بَطِـروا بِهـا وضـاعَ خمـاصُ الحـي بـينَ بطـانِ

إذا عَاهَـــدُوا أوْ عَاقَـــدوا فَعُهـــودُهُمْ عُهـــودُ قُيـــونِ فـــي وفـــاءِ قيـــانِ

وجـارتهمْ فـي الأمـنِ غيـرُ مصـونةٍ وجـارهمُ فـي الـرَّوعِ غيـرُ مُعـانِ[1]

إحساس الشاعر بالبرود والجفاء من المجتمع فوجد أن هناك بوناً واسعاً بينه وبينهم ، فحاله تختلف عن أحوالهم ، وأخلاقه تختلف عن أخلاقهم وكذلك موقفه تختلف عن مواقفهم ، فيجد نفسه تتحلى بالصفات الخلقية والبطولة التي يستحق بها المنزلة العالية ، فما جاء في سلوكه أنه " كان حسن السيرة جميل المنظر منظرانياً من الرجال " [2] وقد وثق ذلك شعراً ، فهو صافي المودة لأصدقائه ولا يقبل الذل والهوان من الصغير و الكبير ، وكان يمثل الشخصية العربية أصدق تمثيل فكان يمثل رمزاً من رموز العرب المفتخر بالمجد والمتخلق بالأخلاق الحميدة والخصال الرشيدة إذ قال : ـ البحر الطويل ـ

أَسَـمْراءُ عَهْـدي بـالخُطوبِ قَرِيـبُ وعـودي بأيـدي النائبـاتِ صـليبُ

وكـلُّ خليـلٍ كنـتُ أرقُـبُ عطفـه تـولَّى بـذمٍ والزَّمـانُ مريـبُ

وقـد كنـتُ أصـفيه المـودَّةَ والظُّبـا علـى الهـامِ تَبْـدُو مَـرَّةً وَتَغيـبُ

نـأى عـامرٌ، لا قـرَّبَ اللهُ دارهُ وَآواهُ رَبْـعٌ بِـالغُمَيْرِ جَـديبُ

---

(1) الديوان: ٢ / ٦٣ .

(2) معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، ١٧ / ٢٤٤.

رَأَى مُسْتَقَرَّ السِّمْعِ مِنْ أَمِّ رَأْسِهِ يَصَمُّ وَأُدْعَى لِلْعُلا فَأُجِيبُ

وَيُظْهِرُ لِي نُصْحاً وَلِلْغِلِّ تَحتَهُ دواعِ بكلتا مقلتيهِ تهيبُ

وَيَرتَادُ مِنِّي أَنْ أَضُمَّ على القَذَى جُفُوني ، وَهَلْ يَرْضَى الهَوانِ أَرَيبُ

وكفٍّي بِهَزِّ المشرفيِّ لبيقةٌ وَباعي بِتَصْريفِ القناةِ رَحيبُ (١)

أثرت الأخلاق الدينية تأثيراً بليغاً في الشاعر الأبيوردي وقال عنه عماد الدين الاصبهاني ونقله ياقوت " وكان رحمه الله عفيف الذل، غير طفيف الكيل ، صائم النهار، وقائم الليل " (٢) فساعده ذلك على أن يكون صريحاً في الحق ، كارهاً الرياء وكأنما كان يضع قلبه على شفتيه ويخاطب الناس بما يعتقد ويصارحهم بما فيهم ويريدهم أن يعاملوه كذلك ولكن هيهات فهو يخاطب صديقاً له (٣). إذ قال: ـ البحر الطويل ـ

أَبا خَالِدٍ كَمْ تَدَّعِي لِي مَودَّةً أَرى النَّظَراتِ الشُّوسَ تُبْدي نَقيضَها

إِذَا اضْطَرَمَتْ في القَلْبِ نارُ عَداوَةٍ لَمَحْتُ بِعَيْنَيْ مُصْطَلِيها وَمِيضَها (٤)

حذف الشاعر أداة النداء بقوله (أبا خالد) وقد يكون الحذف رغبة في الإيجاز والاختصار او قد يكون الكلام أقرب وأسرع وأبلغ في المعنى (٥).

وقد رسم صورة بذيئة في ذم المخاطب وهي النفاق بأن يُظهر خلاف ما يُبطن وكذلك أشار الى معنى عميق وهي قوة نار الحقد والعداوة مما يؤدي الى تمزيق علاقة الأخوة بين الناس.

وقد عمد الى توظيف كم الاخبارية بقوله (كم تدَّعي لي مودةً) فخلق حالة عدم اطمئنان في ذهن المخاطب ، والاداة (كم) تخلق حالة من الشك والقلق التي راودت الشاعر وأراد أن تصل الحالة الى المتلقي.

---

(1) الديوان: ٢ / ٨٠٧ .
(2) معجم الادباء ١٧ : ٢٣٩.
(3) الأبيوردي ممثل القرن الخامس ، ممدوح حقي ، ٦٦ .
(4) الديوان: ٢ / ١٢٢ .
(5) ينظر: الأنا والآخر في شعر الأبيوردي ، آلاء جهاد فاضل ، ١٣٥.

إنَّ حالة الألم التي بلغ مبلغها عند الشاعر أوصلته الى حقيقة مفادها انّ الصاحب والرفيق هي الأسنة والظبا أي نصل الرمح وحد السيف والرمح والخنجر والسنان وما شابه ذلك.

ـ البحر الطويل ـ

ولا صَـحْبَ لـي إلاّ الأَسِـنَّةُ وَالظُّبـا بِحَيْثُ عُيونُ الشُّهْبِ بِالنَّقْعِ تُكْحَلُ [1]

وظف الشاعر التوكيد بأسلوب القصر والحصر، التي تمثل اقوى أنواع التوكيد باستعمال (لا وإلا) ، وكذلك قوله : ـ البحر الطويل ـ

وَصَـحْبي وَجيهِـيٌّ وَرُمْـحٌ وَصـارِمٌ ودرعٌ وصَـبري والخفـاجيُّ سـادسُ [2]

إنَّ فقدان الاحبة بما فيهم الأهل والابناء والأصدقاء له أثرٌ كبير في النفس الإنسانية فيصاب الإنسان بالحزن العميق وأحياناً قد يؤدي ذلك الى اعتزال الناس والانفصال عنهم لمدّة معينة ، والرثاء الاجتماعي موجود في حس الشاعر في كل زمان ومكان.

والملاحظ أن الاشعار التي تمثل غرض الرثاء قليلة في شعر الديوان فلا نجد إلا خمس مراثٍ في أحمد بن معز الدين ، والأمير جعفر بن المقتدى ، وأحد زعماء العلويين ، والإمام الغزالي ورثاء أهل الشام بعد استيلاء الافرنج على بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ ، وبيت قيل في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) .

وقد يعود السبب الى قلَّة هذه الاشعار إلى الاضطراب السياسي إذ صمت عن رثاء البعض خوفاً من القتل [3] ، أو لعدم وصول تلك الاشعار الى أيدينا ؛ وذلك بسبب اضطراب الأوضاع بشكل عام مما أدى الى ضياعها شأنها شأن الكثير من الاشعار التي ضاعت بسبب اضطراب الأوضاع العامة.

---

(1) الديوان: ١ / ٥٩٩.
(2) الديوان: ١ / ٥٧٢.
(3) ينظر: الأبيوردي ممثل القرن الخامس في برلمان الفكر العربي ، ممدوح حقي : ١٥٠.

المعروف أنَّ الاشعار التي قيلت في هذا المجال هي أشعار تُعبر عن الصدق الشعوري والأحساس المفعم بالود والإخلاص ، ويمكن القول إنَّ هذه الاشعار كانت مداعاة للاغتراب ومنها رثاء الشاعر لصديقه العلوي ، حيث فيها شعور حي متألم للمصاب [1] ، قال الشاعر:

ـ البحر الكامل ـ

خُـــدَعُ المُنـــى وَخَـــواطِرُ الأَوْهـــامِ أَضْـــغاثُ كاذِبَـــةٍ مِـــنَ الأَحْـــلامِ

نَهْـوَى البقـاءَ ولـيسَ فيـهِ طَائـلٌ وَالمَـــرْءُ نَهْـــبُ حَـــوادِثِ الأيَّـــامِ

وَالعَـــيْشُ أَوَّلُـــهُ عَقِيـــدُ مَشَـــقَّةٍ وَأَذى ، وَآخِـــرُهُ مَقِيـــلُ حِمـــامِ

وَالعُمْـرُ لَـوْ جـازَ المَـدَى لَتَبَـرَّمَ الـ أَرواحُ مِنْـــهُ بِصُـــحْبَةِ الأَجسَـــامِ [2]

كلمات تضم في طيّاتها ألماً شجيّاً لمصير الإنسان المحتوم ، وتعبر عن ألم صاحبها فهي مليئة بالحزن والحسرة وبلغة محكمة وبنسق متوازن لجميع أجزاء القصيدة.

عبَّر الشاعر عن أحزانه وعواطفه وقد ظهرت بشكل بارز في شعره من هذه الاشعار التي تحدث بها عن فراق الاحبة أو المحبوبة .

قاله: ـ البحر الطويل ـ

فـــؤادٌ ببـــينِ الظـــاعنينَ مـــروَّعُ وَعَـــيْنٌ علـــى إِثْـــرِ الأحِبَّـــةِ تَـــدْمَعُ

وكيـــفَ أواري عبـــرةً ســـمحتْ بهـــا وإنْ حضـــرَ الواشـــي وســـلمى تـــودِّعُ

فيـــا دهـــرُ رفقـــاً إنَّ بـــينَ جـــوانحي حُشَاشَـــةَ نفـــسٍ مـــنْ أَسَـــىً تتقطَّـــعُ

فمـــا كـــلَّ يـــومٍ لِـــي فـــؤادٌ تَروُعُـــه ولا كبـــدٌ ممّـــا بـــهِ تتصـــدَّعُ

أيجمـــع شـــملٌ أَوْ تُـــراحُ مطيّـــة وأنـــتَ بتفريـــقِ الأحبَّـــةِ مولـــعُ [3]

---

[1] م . ن / ١٥٢.
[2] الديوان: ١ / ٦٦٩ .
[3] الديوان: ٢ / ٢٠٤ .

عبَّر النص الشعري عن مجموعة من الأحاسيس المتمثلة في لحظات الوداع التي انسجمت مع حركة الأفعال التي وظفها الشاعر (تدمع ، وتودع ، وتنقطع ، وتتصدعُ) وقد قدم الشاعر الفاعل على الفعل في قوله (سلمى تُودِّع) مما أضفى على الابيات الشعرية صورة شديدة الأسى للحبيب وهو يودع حبيبته فقلبه مروع ، وعينه تدمع ، ونفسه تُقطع ، وكبده متصدع ، إذ أختار هذه العبارات البليغة ليعبر عن شدة حزنه واغترابه فليس له حبيب أو قريب يكون له سنداً في محنته لذا وظف الشاعر اللغة وطوعها لتبين احساسه الدفين مما كان يعانيه من ألم وحزن وفِراق وكذلك وظف أسلوب التقديم والتأخير الذي تجلى فاعليته في " إعطاء اللغة جِدَّةً وآفاقاً واسعةً للتعبير عن المعنى ، مما يكسب التركيب دقةً في تصوير مواطن الشحن العاطفي وتطور المعنى " [1] فرحيل الأحبة سبيلٌ لبث الحزن والشكوى والإفصاح عن الألم المبعوث من اعماقه .

يمكن القول إن الاغتراب الاجتماعي يشكل بعداً من أبعاد الاغتراب الثلاثة ، فهو يقع بين الاغتراب النفسي أي اغتراب الفرد عن ذاته والاغتراب الثقافي أي تعامل الفرد غير الأصيل مع مفردات الثقافة التي يعيش في إطارها ، ان أبعاد الاغتراب غير منفصلة عن بعضها البعض فهي متصلة نوعاً ما ، وقد يشكل الاغتراب الاجتماعي ظاهرة نفسية ، لها آثارها الاجتماعية في الفرد والمجتمع ، فالخبرات المؤلمة التي تحدث للفرد تنعكس على نفسية الفرد فلذا يعيش الفرد حالة الانفصال عن المجتمع [2] ، فلذا نتوصل الى نتيجة مفادها انَّ الاغتراب الاجتماعي مظلة لأنماط الاغتراب الأخرى ، وهناك علاقة بين الاغتراب الاجتماعي وتأثيره الكبير في النفس الإنسانية ، فالنفس هي سر الوجود في الحياة ، وهي كالطائر الذي يعلو في سماء الحرية ، لذا ينبغي على الأديب أن يصل الى التوافق مع ذاته وخارجها وما تتطلبه نفسيته كأديب خوفاً من أنْ يصل الى حالة يشعر فيها بكونه " ضائعاً حتى لتعجز عن ان تجد نفسك " [3].

---

[1] الحذف والتقديم والتأخير في ديوان النابغة الذبياني ، دراسة دلالية تطبيقية . معنوية : ابتسام احمد حمدان، دار غلاس ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٢ / ٢٢١ .

[2] الاغتراب الاجتماعي وعلاقته بالحاجة الى الحب : د. بشرى عناد مبارك ، جامعة ديالى ، كلية التربية الأساسية ، مجلة كلية الآداب / العدد ٨٥ / ٦٠٥.

[3] الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، اليزابيت دور ، ترجمة : محمد إبراهيم الشوش، مؤسسة فرنكلين للطباعة ، بيروت ، ١٩٦١، ٣٠٦.

فالشاعر كان يعاني من الكبت وهذا الامر واضح في كثير من أشعاره ، ولم يجد في ذلك مخرجاً ولا متنفساً للألم المكبوت والعاطفة السجينة غير نفسه فأخذ يناجيها ويغوص في زوايا من أعماقها [1].

إذ قال الشاعر: ـ البحر الطويل ـ

هِيَ النَّفْسُ في مُسْتَنْقَعِ المَوْتِ تَبْرُكُ وَتَأْخُذُ مِنْهَا النّائِبَاتُ وَتَتْرُكُ

فَلا الطَّمَعُ المزري بها يستفزُّني ولا الضَّيمُ مذْ عزَّتْ بجنبيَّ يعركُ

أَيَمضِي الشَّبابُ الغَضُّ قَبْلَ وَقَائِعٍ يكادُ حجابُ الشَّمسِ فيهنَّ يهتكُ

فلستُ ابنَ أمِّ المجدِ إن أُغمدِ الظُّبا وغيري بأذيالِ العلا يتمسَّكُ [2]

وظف الشاعر أسلوب الاستعارة في قوله: (مستنقع الموت) الذي أحاله الى الدنيا وإنَّ مصير الإنسان المحتوم هو الموت الذي لا مفر منه .

" لقد استخدم الشعراء في صورهم الاستعارة وما يسمى بفن التشخيص أو التجسيم بصورة واسعة حتى تكون الصورة قادرة على تأدية ما أراد الشاعر أن تؤديه وتقوم بدورها الإيجابي في العمل الفني " [3].

ولقد أَجاد الشاعر في التعبير عما يجول في خاطره ، لكي يكون متنفساً له ، تجاه وطأة الظروف التي مرَّ بها الشاعر.

وفي الأبيات رؤية تأملية إذ عبَّر عن الشباب وما يعتري الإنسان من قوة ووهن ، ففي مرحلة الشباب يتمتع الإنسان بالقوة والعطاء ولكن في الكبر يكون العجز فهو يتحسر بمضي أيام الشباب وعدم تحقيق آماله ولقهر ذلك أفتخر بشجاعته وقوة بأسه محاولاً كسر اغترابه الاجتماعي.

وفي موطن أخر ذكر الشيب إذ قال الشاعر: ـ البحر المتدارك ـ

---

(1) ينظر: حركة التطور والتجديد في الشعر العراقي الحديث منذ عام ١٨٧٠م حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، عربية توفيق لازم ، مطبعة الايمان ، بغداد ، ١٩٧١م ، ط١ ، ٢١٤.

(2) الديوان: ٢ / ٩٧ ، ٩٨ .

(3) الرثاء في الشعر العربي : العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، د. عبد الحسين عباس الحلي ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٦ ، ١٨٦.

فَطَـــوى بُـــرْدَ شَـــبابي زَمَـــنٌ بَـــزَّ عـــوُدي مـــاءَهُ حَتّـــى ذَبَـــلْ

واشـــتعالُ الهـــمِّ فـــي قلبـــي عـــلا بقتـــاعِ الشَّـــيبِ رأســـي فاشـــتعلْ [1]

اتكأ الشاعر على أنماط اغترابه الاجتماعي واغترابه الزماني إذ عبَّر عن أفول الشباب وانتشار الشيب للتعبير عن شدة الحزن وقد ذكر الصبح والليل دلالة عن الزمان وخلق بينهما علاقات جديدة بين الصبح والشيب من جهة والليل والشباب من جهة أخرى وفاعلية التضاد بين الأسود والأبيض ، فاللون الأسود دلالة الليل واللون الأبيض دلالة الصباح ، واختار هذه العلاقات لما فيها من انسجام مع بعضها ولكن يمكن القول إنَّ صورة الليل لم ترتبط باللون فقط وإنما ارتبطت بالحالة النفسية التي انتابت الشاعر في موقفه من الليل.

فالليل عند أحد الباحثين يمثلُ " الكثير من الشعراء رمزاً للمعاناة والشقاء ، لإنه يستشيرُ بوحشته وظلامه الحالك الكثيب ، آلامهم وأحزانهم " [2] .

أما الشيب يمثل نهاية المطاف " بما فيه من ضعفٍ ، وعجزٍ وفقدان للأمل ، وأنين وشكوى ، وتوجع ، وتحسُّر ، وإهمالٍ وعزلةٍ ، والشكل الفني الذي ينهض به هو شكوى الشيب وبكاء الشباب " [3] وهذا ما جسدهُ الشاعر في ذكره للشيب في الأبيات الشعرية السابقة.

أنماز الشاعر بالسمو الذاتي والنظرة التأملية في نظرته للناس والأصدقاء وحقيقة الفرد البشري وفضلُ التفرد والتفوق الفردي الذي خلقه الشاعر لنفسه لقهر ما كان يعانيه من الغربة والاغتراب الاجتماعي ، وقد ارتبطت تجربة الشاعر الشعرية بالناحية النفسية ، والسياسية ، والمكانية ، والاجتماعية وقد صورها جميعاً في شعره ، وعبَّر عن همومه تعبيراً صادقاً ، لاسيما عند حديثه عن أصدقائه ، الذي أصبح سمة بارزة.

---

(1) الديوان: ٢ / ٢٢٨.

(2) الشكوى في شعر القرن الرابع الهجري ، جواد رشيد مجيد : رسالة ماجستير ـ الجامعة المستنصرية ـ كلية الآداب ، ١٩٨٨ : ١٣٧ .

(3) أدب المواجهة في شعر الشريف الرضي ، صالح احمد رشيد الغريري، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، ١٤١٧ – ١٩٩٧ / ١١٦.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي تفضل عليّ بإتمام هذه الدراسة ، ويطيب لي وأَنا في ختام البحث أن أُسجلَ ما توصلت إليه في دراستي ، وقد أَظهرت الدراسة النتائج الآتية :

١- كانت ردّة فعل الشاعر الأبيوردي إزاء الأوضاع تنبثق من شخصيته المجبولة على الجرأة والتحدي إذ لجأ الى الرفض بقوة الكلمة فكلما زادت الأوضاع سوءاً ، أزدادَ اغترابه ، وتبددت أحلامه في تحقيق المجتمع المثالي .

٢- شكلَّ الزمن محوراً أساسياً في غربة الشاعر واغترابه فقد تداخل مع أنماط الاغتراب الأخرى (المكاني ، والسياسي ، والاجتماعي) ومدى تأثير الزمان والتوافق النفسي بما يحمله من أحداث وآلام منها فقدانه لآبيه ولمكانته المرموقة ، والغنى وزمن اجتماع الأحبة ، وتفرقهم ، وزمن الشيب والضعف كل هذه الأسباب جعلت من الزمن سبباً في غربة الشاعر واغترابه.

٣- اعتمد الأبيوردي في شعر الغربة والاغتراب على مجموعة بحور شعرية وكان أوفرها حظاً البحر (الطويل والبسيط والكامل والوافر) وهي بحور تستوعب عاطفة الشكوى وإبراز معاني الغربة ، فيها فرصة أكبر للتعبير ، كما أهتم بالجانب الموسيقي فعكس جانباً من معاناته وهمومه مع أعطاء نغم صوتي حزين يكشف عن حالة الألم ، وجاءت القافية تلائم الجو النفسي وقد أكثر من (النون ، الميم ، اللام) فخروجها من الخيشوم يحمل دلالة الحزن ، كما وظف أسلوب التكرار والتضاد والوزن جميعاً في الاعراب عن اغترابه النفسي.

٤- يعد اغتراب الشاعر الأبيوردي اغتراباً إيجابياً فلم يشعر بحالة العجز والعزلة والانفصال عن المجتمع ، فقد أدى اغترابه الى الابداع في الإنتاج الادبي ، كما اشتركت الطبيعة في اغتراب المكان.

٥- كان للظرف السياسي أثر كبير في اغتراب الشاعر فنراه مادحاً تارةً ، وناقداً للوضع السياسي تارة أخرى محاولاً التخفيف من حالة الاغتراب لديه.

٦- كشفت أجواء الحسد والمؤامرات والدسائس عن حجم الصراع الذي عاشه الشاعر مع نفسه ومع السلطة والمجتمع ، لأنهم كانوا يخشون من طموح الشاعر وتطلعه وهذا ما اودى به في نهاية المطاف.

٧- كثر الفخر بالذات والاعتزاز بـ (الأنا) مقابل الآخر فكانت احدى وسائل الشاعر للتخفيف من وطأة الاغتراب ، كما كشف شعوره الاغترابي في رثاء المدن العربية والابداع بأظهار حسه القومي والدفاع عن البلاد العربية وأَن تكون قيادة البلاد بيد من يستحقها.

٨- بُنِيَ المجتمع في العصر العباسي الثاني على الطبقية والتفاوت الاجتماعي فثنائية (الغنى والفقر) كان صداها واضحاً في شعر الأبيوردي الاغترابي والاجتماعي.

٩- أَنتجت دراسة المنجز الشعري للشاعر الأبيوردي من مدى صدق التجربة وعمقها ومدى انفعاله مما دفعه الى تكرار بعض المفردات الاغترابية التي أسهمت بشكل كبير في تصوير حالة الاغتراب لديه ، والافصاح عما في قلبه من معاني الحزن والغربة لبيان مدى معاناته ورغباته التي لم يستطع تحقيقها.

١٠-جسَدَّ شعر الأبيوردي الاغترابي أحداثاً عدَّة مرَّ بها المجتمع العباسي الثاني فكان وثيقة أدبية تأريخية فضلاً عن كونها سياسية أجتماعية.

١١-إنمازت لغة الشاعر بالوضوح والانسجام مع الشعور النفسي ليعبر عن صدق انفعالاته.

١٢-إنَّ أهم أسباب الغربة والاغتراب لدى الشاعر هو عدم حصوله على منصب سياسي وعلى مقعدٍ في الإدارة الحاكمة.

١٣-وظف الشاعر الأساليب البيانية والمحسنات البديعية ومن أبرزها الرمز والاعتماد على الإيحاء خاصةً عند ذكر المرأة فقد ذكرها بأماكن عدَّة ، في غربة المكان والزمان.

١٤-تداخل مفهوم الاغتراب النفسي مع أنواع الاغترابات الأخرى ، فأصل مفهوم الاغتراب أحساس وشعور نفسي يمر به الفرد والاخفاق مع الوضع السائد في المجتمع يؤدي في النهاية الى احساسه بأَنهم لا ينسجمون معه فكرياً . لذا لم أفرد له باباً لكونه مظلة عامة لجميع أنواع الاغترابات.

١٥-كان الأبيوردي مقلداً محاكياً لغيره من الشعراء في نجدياته اذ كانت مقطعات غزلية فيها حنين وأرتبط وثيق بالمكان.

١٦-تغير المكان كان عاملاً مهماً لقهر الاغتراب ، فظل متحركاً بخيارات لا تخضع لأحد غيره.

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولاً : الكتب

- آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي ، محمد بلوجي ، بحث في تجليات القراءات السيافية ، ط١ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٤.
- ابن باجة وفلسفة الاغتراب ، محمد ابراهيم الفيومي ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٨م.
- الأَبيوردي: حياته ، دراسة في شعر القومي ، نوري شاكر الالوسي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠م.
- الابيوردي ((ممثل القرن الخامس في برلمان الفكر العربي)) ، ممدوح حقي ، دار اليقظة للتأليف والترجمة والنشر ، سوريا ، (د ، ت).
- اتجاهات الشعر العربي المعاصر: عباس أحسان ، ط١ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٧٨.
- أدب الطف أو شعراء الحسين (من القرن الاول الهجري حتى القرن الرابع عشر) : جواد شُبّر ، ط١ ، مؤسسة التاريخ ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠١م.
- الأدب وفنونه ـ دراسة ونقد : د. عز الدين إسماعيل ، ط ٩، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠١٣م.
- الازمنة والأمكنة ، المرزوقي ـ ابو علي ، أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف . الهند ـ حيدر آباد الدكن ١٣٣٢هـ .
- الاستهلال فن البدايات في النص الادبي: ياسين النصير ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٣م.

- الإشارات الإلهية : أبو حيان التوحيدي (ت ٤١٤هـ) ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، ط١ ، وكالة المطبوعات ، الكويت دار القلم ، بيروت (مشترك) ١٩٨١.
- إشكالية المكان في النص الادبي: ياسين النصير ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦م.
- إضاءة النص: اعتدال عثمان ، ط١ ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٨م.
- الأعلام : قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، ط١٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ٢٠٢٢م.
- الإغتراب : ريتشاردز شاخت ، ترجمة: كامل يوسف حسين ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٢م.
- الاغتراب سيرة ومصطلح: محمود رجب ، نشأة المعارف المصرية بالاسكندرية ، ١٩٧٨م.
- الإغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي ، عزيز السيد جاسم ، ط٢ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧م.
- الإغتراب في الشعر الأموي ، د. فاطمة محمد حميد السويدي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٧.
- الإغتراب في الشعر العباسي في القرن الرابع الهجري ، د. سميرة سلامي ، ط١ ، دار الينابيع ، دمشق ، ٢٠٠٠م .
- الإغتراب في الشعر العراقي ، محمد راضي جعفر ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٩م.
- الإغتراب في الشعر العراقي في القرن السابع الهجري : د. أحمد علي إبراهيم ، ط١ ، بغداد ، ٢٠١٣.

- الإغتراب وأزمة الانسان المعاصر: د. نبيل رمزي اسكندر ، ط١ ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ـ مصر ، ١٩٨٨م.
- الإغتراب والتطرف نحو العنف دراسة نفسية ، أجتماعية ، د. محمد خضر عبد المختار ، دار غريب ، القاهرة ، ١٩٩٦م .
- الإلتزام في الشعر العربي : د. أحمد أبو حاقه ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩.
- الإنسان بين الجوهر والمظهر : اريك فروم ، ترجمة: سعد زهران ، مراجعة وتقديم : لطفي فطيم ـ سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت ، اغسطس ، ١٩٨٩م.
- بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار: الشيخ محمد باقر المجلسي، ط٢ ، مؤسسة الوفاء ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٣م.
- البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، تحقيق : أحمد أبو ملحم وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د ، ت) .
- البنيات الدالة في شعر أمل دنقل: عبد السلام المساوي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٤م.
- بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، المركز الثقافي ، بيروت ، ط ١ ، الدار البيضاء ، ١٩٩٠م.
- تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، مطبعة دار الفكر ، بيروت ١٩٩٤م.
- تاج اللغة وصحاح العربية: الجواهري ت ٣٩٣ ـ ٤٠٠ هـ ، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٧٩م.
- تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ، نقله الى العربية : د. رمضان عبد التواب ، راجع الترجمة : السيد يعقوب بكر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦.

- تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والامارات) : د. شوقي ضيف ، ط١ ، منشورات ذوي القربى ١٤٢٨هـ .
- تاريخ الخلفاء: للإمام جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، حققه وقدم لـه : الشيخ قاسم الشمّاعي الرفاعي ، الشيخ محمد العثمان ، شركة دار الأرقم بن أبـي الأرقم ، بيروت – لبنان.
- تاريخ دولة آل سلجوق: عماد الدين الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ) قرأه وقدم لـه: د. يحيى مراد ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠٠٤م.
- تحول المثال (دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي) : صالح زامل ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٣م .
- التطلع القومي عند المتنبي : جاسم محسن عبود ، منشورات وزارة الاعلام ، الجمهورية العراقية.
- التفسير النفسي للأدب : عز الدين اسماعيل ، ط٤ ، القاهرة ، ١٩٨٤م.
- التيار القومي في الشعر العراقي الحديث منذ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ حتى نكسة حزيران ١٩٦٧) د. ماجد أحمد السامرائي ، ط١ ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٨٣.
- جماليات المكان : غاستون باشلا ، ط٢ ، ترجمة: غالب هلسا ، بيروت ١٩٨٤م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد الهاشمي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٦٠م.
- الحذف والتقديم والتأخير في ديوان النابغة الذبياني دراسة دلالية تطبيقية . معنوية : ابتسام احمد حمدان ، ط١ ، دار غلاس ، دمشق ، ١٩٩٢م.
- حركة التطور والتجديد في الشعر العراقي الحديث منذ عام ١٨٧٠م حتى قيام الحرب العالمية الثانية، عربية توفيق لازم، ط١، مطبعة الايمان، بغداد ، ١٩٧١م .

- الحنين الى الوطن في الادب العربي حتى نهاية العصر الأموي ، محمد ابراهيم حوّر ، ط٢ ، دار القلم ، الامارات العربية المتحدة ، ١٩٨٩م.
- الحنين والغربة في الشعر العربي: يحيى الجبوري ، ط١ ، عمان ، دار مجدلاوي ، ٢٠٠٨م .
- حول الادب في العصر السلجوقي : محمد التونجي ، ط١ ، منشورات مكتبة قورينيا ، ليبيا ، ١٩٧٤.
- خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء العجم) : عماد الدين الأصفهاني (ت٥٩٧هـ) ، تحقيق: د. عدنان محمد آل طعمة ، ط١ ، مرآة التراث ، طهران ، ١٩٩٩م.
- دراسات في النص الشعري العصر العباسي: عبده بدري ، ط٢ ، دار الرفاعي ، الرياض ، ١٩٨٤م.
- دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي ، حسين مروة ، ط٢ ، دار الفارابي ، بيروت .
- دعائم الفلسفة : أدريس خضير ، ط٤ ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٩٢م.
- دلالة المدنية في الخطاب الشعري العربي المعاصر ، قادة عفاف ، ط١ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١م.
- دور الادب في الوعي القومي العربي ، مجموعة من الباحثين ، مقال الادب والوعي والقومي . آراء فيما يجب ان يكون للدكتور سعدون حمادة ، ط٣ ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤م.
- ديوان الابيوردي (ت٥٠٧هـ) ، تحقيق: د. عمر الآسعد ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٧٤.

- الرثاء في الشعر العربي العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري: د. عبد الحسين عباس الحلي ، ط١ ، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع بغداد ، شارع المتنبي ، ٢٠٠٨م.
- رحلة الشعر من الأموية الى العباسية: د. مصطفى الشكعة ، ط٢ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٧٩.
- رسائل الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت٢٥٥هـ) ، ت عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٤م.
- الرواية والمكان : ياسين النصير (الموسوعة الصغيرة) ، دار الشؤون الثقافية ـ بغداد ، ١٩٨٠.
- روضات الجنات : محمد باقر الخونساوي ، تحقيق: محمد تقي الكشفي، الدار الاسلامية ، بيروت ، ١٩١٢م.
- الزمان الوجودي : عبد الرحمن بدوي ، ط٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥م.
- الزمان والمكان في شعر أبي الطيب ، حيدر لازم مطلك ، ط١ ، دار الصفاء للطباعة ، عمان ٢٠٠٩م.
- زمن الشعر : أدونيس ، ط٢ ، دار العودة بيروت ، ١٩٧٨.
- الزمن عند شعراء قبل الاسلام : عبد الإله الصائغ ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢م.
- الزمن في الأدب : هانز ميرهوف ، ترجمة: أسعد رزوق ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٢م.
- الزمن في الشعر الجاهلي: عبد العزيز محمد شحادة ، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية ، عمان ، ١٩٥٥.

- زهر الاداب وثمر اللباب : القيرواني ـ أبو اسحاق ، ابراهيم بن علي الحصري (ت٤٥٣هـ) ، ط٤ ، تحقيق زكي مبارك ، دار الجيل ، ١٩٧٢م.
- سوسنه المنافي : حمده خميس وتحولات الاغتراب السياسي ، د. سعيد خاطر الفارسي ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٣.
- سير أعلام النبلاء : للإمام الذهبي (ت٧٣٨هـ) ، ط٤ ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٦م.
- سيكولوجية الابداع في الفن والادب : يوسف ميخائيل أسعد ، ط١ ، مشروع النشر المشترك ، دار الشؤون الثقافية العامة ، افاق عربية ، بغداد والقاهرة ، ١٩٨٧.
- شرح ديوان جرير : شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦م.
- الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه : د. محمد النويهي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة (د.ت) .
- الشعر العربي في العراق وبلاد لعجم في العصر السلجوقي اواسط القرن الخامس / اواسط القرن السادس : د. علي جواد الطاهر ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٨م.
- الشعر في الامارة المزيدية بين وهج التعبير وخبّوه : د. علي عبد رمضان ، ط٣ ، الرافد للمطبوعات ، ٢٠١٧م.
- الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، اليزابث دور: ترجمة محمد ابراهيم الشوش ، مؤسسة فرنكلين للطباعة ، بيروت ، ١٩٦١م.
- صحيح مسلم: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاءه ، د. ط ، ١٩٥٥.
- الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث: بشرى موسى صالح ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٤.
- الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحس ، وحيد صبحي ، ط١ ، منشورات أتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٩م.

- طبقات الشافعية : تاج الدين ابي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧١هـ) ، تح : محمود الطناحي ، عبد الفتاح محمد الحلو ، ط١ ، طبع في مطبعة عيسى الباجي الحلبي وشركاؤه ، ١٩٦٤.
- العقل والثورة هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية هربرت ماركوز ، ترجمة د. فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية للنشر ، ١٩٧٠.
- العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده : ابن رشيق القيرواني(ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، دار الجيل ، بيروت ـ لبنان ، ١٩٧٢.
- عناصر الابداع الفني في شعر ابن زيدون / د. فوزي خضر ، الكويت ، ٢٠٠٤م.
- الغربة في الشعر الجاهلي: عبد الرزاق خشروم ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٨٢.
- الغربة والاغتراب والشعر : عبده بدوي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨م.
- الغربة والحنين في الشعر الاندلسي : فاطمة طحطح ، مطبعة النجاح الجديدة ، ط١ ، الدار البيضاء ، ١٩٩٣م.
- الفخر والحماسة : حنا فاخوري ، ط٥ ، دار المعارف ، د.ت.
- فن الشعر : إحسان عباس ، عمان ، ط٥ ، دار الشروق للتوزيع والنشر ، ١٩٩٢م.
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي: شوقي ضيف ، أحمد عبد السلام (د.ت) ، ط١٢، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ،.
- قراءة نقدية في نجديات الابيوردي: عبد اللطيف محمد السيد الحديدي ، ط١ ، وزارة المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٧م.
- الكنى والالقاب : عباس القمي ، ط٥ ، طهران ، ١٣٠٩هـ .
- لسان العرب : الإمام العلامة أبن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١هـ) ، ط مصورة ، مطبعة بولاق بالقاهرة ١٨٨٢.

- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، تاريخ الدولة العباسية: الشيخ محمد الخضري ، كتب هوامشه : محمد ضناوي ، ط٢ ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ١٩٩٨م.
- المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها : عبد الله الطيب المجذوب ، ط٤ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٩٥٥م.
- معجم الادباء: ياقوت الحموي الرومي (ت ٦٢٦هـ) ، تحقيق: إحسان عباس ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان ، ١٩٩٣م.
- معجم البلدان: ياقوت الحموي الرومي ، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ١٩٩٠م .
- المعجم المفصل في الادب : د. محمد التونجي ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٩م.
- المعجم الوسيط : د. ناصر سيد أحمد ، د. مصطفى محمد ، أ. محمد درويش ، أ. أيمن عبد الله ، ط١ ، مؤسسة التاريخ للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨م.
- مفهوم الزمن ودلالاته في الرواية العربية المعاصرة: عبد الصمد زايد ، الدار العربية للكتاب ، تونس ١٩٨٨م.
- ملامح الرمز في الغزل العربي القديم: د. حسن جبار محمد شمسي ، ط١ ، دار السياب ، لندن ، ٢٠٠٨م.
- منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، ط٢ ، دار القلم بمصر ، د.ت.
- النقد الجمالي وأثره في النقد العربي ، روز غريب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٢.
- النقد الثقافي (قراءة في الافاق الثقافية العربية) : د. عبد الله الغدامي ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ٢٠٠١م.

- نقد الشعر في المنظور النفسي : د. ريكان إبراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، أفاق عربية ، ١٩٨٩م.
- نهج البلاغة : شرح محمد عبده ، ط٣ ، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠١٢م.
- وفيات الاعيان وأنباء الزمان : ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٦٨م.
- الوافي بالوفيات : صلاح الدين بن ايبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، تحقيق : هلموت ريتر ، فرانز ستاينز بفسباون ، ١٩٦١م.

ثانياً: الرسائل الجامعية

- الاتجاه العروبي في العصر العباسي : وفاء يوسف الدويري ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، كلية الآداب ٢٠١٦م .
- أدب المواجهة في شعر الشريف الرضي : صالح أحمد رشيد الغريري ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة المستنصرية ، ١٩٩٧م.
- الإغتراب في شعر ابي العلاء المعري ، رفل حسن الطائي ، رسالة ماجستير ، كلية (ابن رشد) ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٠م.

- الإغتراب في شعر حسين زيدان ((ديوان شاهد الثلث الأخير نموذجاً)) جعلاب مريم ، رسالة ماجستير ، جامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي ، كلية الآداب ، ٢٠٠٧م.
- الإغتراب في شعر الشيخ أحمد الوائلي (دراسة تحليلية) أثير عبد الزهرة عبد علي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة ذي قار ، ٢٠١١م.
- الإغتراب في شعر العبسيين عنتر بن شداد وعروة بن الورد ، نصرت صالح يونس العكيدي ، رسالة ماجستير ، جامعة الموصل ، كلية التربية ، ٢٠٠٠م.
- الإغتراب في شعر شعراء نقائض العصر الأموي ـ جرير ـ الفرزدق ـ الأخطل ، نوال نعمان كريم ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة تكريت ، ٢٠٠٥م.
- الانا والآخر في شعر الابيوردي : آلاء جهاد فاضل ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة ، كلية التربية ، ٢٠١٨م.
- الجهود الأدبية والنقدية في كتاب (زاد الرفاق) لأبي المظفر الابيوردي (ت٥٠٧هـ) ، جواد عوده سبهان ، أطروحة دكتوراه ، جامعة كربلاء ، كلية التربية ، ٢٠١٦م.
- الحضور والغياب في القصيدة العربية عند شعراء الدولة الحمدانية ، ضحى ثامر محمد ، أطروحة دكتوراه ، جامعة كربلاء ، كلية التربية ، ٢٠٢٠م .
- الرحلة في أَدب أبي العلاء المعري دراسة تحليلية ، ماجد حميد فرج ، ماجستير ، جامعة المستنصرية – كلية التربية ، ١٩٩٩م.
- السلطة السياسية والشاعر في العصر العباسي : حيدر جبار عطية الطائي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠١٤م.
- شعر الابيوردي دراسة أسلوبية : أكرم علي عنبر ، أطروحة دكتوراه ، جامعة المستنصرية ، كلية التربية ،٢٠١١م.

- الشعر العربي في بلاد العجم في القرن السادس للهجرة من خلال خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني (ت٥٩٧هـ) ، جنان قحطان فرحان ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦م.
- الشكوى في شعر القرن الرابع الهجري ، جواد رشيد مجيد ، رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، ١٩٨٨م.
- ظاهرة الاغتراب في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام ، امال عبد المنعم الحراسيس ، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها ، ٢٠١٦م.
- عراقيات الابيوردي دراسة تحليلية ، عماد جغيم عويد العبودي ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ،٢٠١٠م.
- الغربة والاغتراب في روايات غائب طعمة فرمان : ميساء نبيل عبد الحميد ، رسالة ماجستير ، جامعة تكريت ، كلية التربية ، ٢٠١١م.
- الغربة والحنين في شعر الجواهري : محمد حسون نهادي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية ، بغداد.
- الغربة والحنين في الشعر الاندلسي ، احمد حاجم محمد ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٣م.
- الغربة والحنين في شعر القرنين السابع والثامن الهجريين في العراق (دراسة موضوعية فنية) زينب فاضل أحمد النعيمي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، في اللغة العربية وآدابها ، ٢٠٠٧م.
- المكان في روايات غالب هلسا : سحر ريسان حسين ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٤م.
- المكان في شعر الشريف الرضي دراسة فنية ، زينب عبد الكريم حمزة ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢م.

- المكان في شعر صدر الإسلام : فنن نديم دحام ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٠م.
- النقد الاجتماعي في الشعر العربي ـ الرؤية والابعاد : فيصل أحمد محمد المتعب ، رسالة ماجستير ، السعودية ، جامعة أم القرى ،٢٠٠٣م.

ثالثاً: الدوريات

- أبو المظفر الأبيوردي شاعر العروبة في القرن الخامس الهجري: د. جميل سعيد ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج٣ ، مج٣٩ ، بغداد ، ١٩٨٨م.
- ابو المظفر شاعر القرن الخامس : عبد الوهاب عزام ، مجلة الرسالة ، ع٤١٩ ، القاهرة ، ١٩٤١م.
- الأبيوردي حياته وشعره : محمود اسماعيل عبد القادر ، بحث مستل مقدم للدكتوراه ، جامعة الإمام بن سعود الاسلامية ، كلية اللغة العربية.
- الأبيوردي شاعر مشهور وعبقري لم يعرف قدره ، بهروز إلهي ، محمد شايكان مهر ، مجلة الكلية الاسلامية ، ع٢٦.
- الأبيوردي المتنبي الصغير : عمر الاسعد ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز ، السعودية ، ع ٢ ، ١٤٧٨هـ .
- الأبيوردي وفرنجة القدس ـ مدينة ضائعة وشاعر مضيع ، اسماعيل مروة ، ع٥٤٤ ، كانون الثاني ٢٠٠٩.
- الإغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً : قيس نوري ، مجلة عالم الفكر ، مج١٠ ، ع١ ، ١٩٧٩م.

- الإغتراب الاجتماعي وعلاقته بالحاجة الى الحب لدى شرائح اجتماعية مختلفة من العراقيين المقيمين في بعض الدول العربية.
- الإغتراب السياسي للشباب العراقي وتأثيره على قيم المواطنة ((دراسة ميدانية بغداد)) هيثم فيصلي علي ، مجلة جامعة الفيلين ، مج٧ ، ع٢٦ ، ٢ / ١ / ٢٠١٧م . جامعة تكريت ، كلية الآداب.
- الإغتراب في الاسلام فتح الله خليف ، عالم الفكر ، مج١ ، ع١ ، ١٩٧٩م.
- الإغتراب في شعر المتنبي أ.د. فليح كريم ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، مجلة المورد ، م٣٦ ، ع(٢) ، ٢٠٠٩م.
- الاغتراب في الفكر الماركسي : د. شاكر نوري ، مجلة الثقافة ، بغداد ، ع٦ ، ١٩٨٣م.
- اغتراب المثقف العربي : د. فيصل دراج ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، لبنان ، مجلة المستقبل ، العربي ، ع ٢ ، ١٩٧٨م.
- بين المتنبي والابيوردي دراسة أحصائية مقارنة د. محمد أبو صالح ، د. عدنان عوض و د. عمر الاسعد ، جامعة اليرموك ، الاردن.
- تجليات الزمن في عراقيات الابيوردي دراسة نصية ، د. علي محمود الطوالبة و د. نواف عبد الكريم غرايبة ، جامعة البلقاء التطبيقية ، الاردن ، المجلد ٣ ، ع ٧ ، جوبلية ، ٢٠١٨.
- الثورة والاغتراب في شعر مصطفى وهبي التل (عراز) : د. جهاد شاهر المجالي ، مجلة مؤتة ، مج٨ ، ع٦ ، ١٩٩٣م.
- جدلية الحضور والغياب في شعر الابيوردي : أ.د. فهد نعيمه البيضاني ، جامعة كربلاء ، كلية العلوم الاسلامية ، مجلة دراسات اسلامية معاصرة ، ع٢٣ ، السنة العاشرة ، ٢٠١٩م.

- جدلية الحضور والغياب في شعر الشريف الرضي: د. حازم حسن سعدون ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، مجلة الاستاذ ، ع٥ بالمؤتمر الدولي السادس ، المجلد الاول ، ٢٠١٨م.
- الحس الاغترابي في أعمال روائية لغسان كنفاني (بحث) مجلة ، جامعة دمشق للآداب والعلوم الانسانية ، دمشق ، مج٢٦ ، العددان (٣،٤) ، ٢٠١٠م.
- الحنين والغربة في شعر ابن الساعاتي : حميد رضا ، زهره ابي ، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة ـ النجف الاشرف ، ع٤١ ، م١ ، ١٩٦٧م.
- الطبيعة في شعر الابيوردي دراسة موضوعية : غنيم محمد عبد الحميد ، جامعة الازهر ، ع٢٧ ، ج١ .
- الغربة المكانية في الشعر العربي : عبده بدوي ، عالم الفكر ، م١٥ ، ع١ .
- الغربة والحنين في شعر النشابي (ت ٦٥٧هـ) : أ.م.د. أحمد علي ابراهيم ، كلية العلوم الاسلامية ، الفلوجة ، جامعة الانبار ، مجلة الآداب ، ع١٠٨ ، ٢٠١٤م.
- مع الابيوردي في نجدياته : محمد عبد الرحمن الربيع ، مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة محمد بن سعود ـ السعودية ، ع١٠ ، ١٩٨٠م .

Abstract

The terms alienation and the estrangement were known by the man since a long time. The estrangement is a holistic concept of the whole aspects of the life, including the nostalgia of the alien for the land, the culture of the homeland with dissatisfaction with the culture of the estrangement which is especially shown by poetry. This type of poetry shows the suffering, anxiety and the loss of the man that can be either political, social or economic situations, while the estrangement presents the internal feeling that arises from the self and psychological motivations only. I studied this phenomenon in the Al-Abyordi who is one of the most famous poets of the fifth century and his poems are resources for those who want to know the authenticity of Abbasid poetry.

The topic of the research is shown by the introduction, the summary and the conclusion followed by list of the resources by these I show the main results of my research in the introduction I talk about the different between the alienation and the estrangement.

The first chapter of the research is about the spatial estrangement and the temporal estrangement, while the second chapter is about the political alienation which contains two topics the political criticism, the bragging and the nationalism, where as the third chapter is about the social alienation which includes the social criticism and the estrangement of the friends. Finally I thank and gratitude the professor Dr.Fahd Naimah AlBaydani 's valuable guidance and advice which contribute to success of this study.

Ministry of Higher

Education and Scientific Research

Karbala University

College of Education

Department of Arabic Language

Alienation and Alienation in the poetry of Al-Abyordi (d. 507 AH)

A study submitted by the student

Jannah Taqi Obaid Sultan Al-AArd

To the Council of the Faculty of Education at the University of Karbala, which is part of the requirements for obtaining a master's degree in Arabic language and literature.

Under the supervision of Professor

Fahad Naima Al-Baidani

2022 1444